

المشروع القومى للترجمة

من الأدب الهندى الحديث والمعاصر

(الأم والنصيب وقصص أخرى)

ترجمة ودراسة

سمير عبد الحميد إبراهيم



٢٠٠١

المحتويات

رقم الصفحة

تصـــديــر

هذه المجموعة القصصية المترجمة عن النص الأصلي تصدر لأول مرة بالعربية ، مع دراسة مختصرة عن فن القصة القصيرة في الهند ، وقد عمد المترجم إلى اختيار هذه المجموعة القصصية المختارة لثلاثة أدباء هنود : أديبان لهما مكانتهما في الأدب الحديث ، هما " بريم تشند ، « وكرشن تشندر » اللذان يعدان في نظر النقاد من عمالقة هذا الفن في الأدب الهندي والأردي ، كتبا باللغة الأردية والهندية ، فأبدعا في فن القصة ، وأديبة معاصرة ، هي " نكية بلكرامي " التي لا تزال تثري فن القصة في الهند بما تكتبه وتنشره في المجلات الأدبية المعاصرة .

ظهر الأديب الأول في النصف الأول من القرن العشرين ، بينما الأديب الثاني ظهر في النصف الثاني من القرن نفسه ، أما الأديبة نكية بلكرامي فهي تعيش اليوم بيننا ، ولهذا فإن ما يقدم مترجما إلى العربية من قصص في هذا الكتاب يعد فرصة عظيمة للمهتمين بالدراسات الشرقية والدراسات المقارنة ، وبخاصة في أدبنا العربي الذي مرت القصة القصيرة فيه بظروف تكاد تكون شبيهة بالظروف التي مر بها هذا الفن الأدبي في الهند ، سواء من ناحية العوامل الخارجية المتمثلة في الظروف الاجتماعية أو العوامل الداخلية المتمثلة في طبيعة الأدباء أنفسهم .

فروح الحزن والرومانسية تسود القصة في الهند مثلما سادت القصة في مصر ، ومعظم البلدان العربية ، وأبطال القصص في الهند مثلهم مثل أبطال القصص العربية ، من أبناء الطبقة المتوسطة ، ومثلما تطور فن القصة في العالم العربي وظهر الاتجاه الواقعي في فن

القصة ، حدث الأمر نفسه في الهند ، وكما لعبت القصة دورها في الدعوة إلى التحرر من الاستعمار ، ومن العادات السيئة في عالمنا العربي لعبت القصة في الهند نفس الدور ، وظهرت مجلات وصحف أدبية في الهند تزامنت تماما مع عدد من المجلات والصحف الأدبية التي ظهرت في عالمنا العربي حوالي سنة ١٩٢٥م وما بعدها أو حتى قبلها .

عاش بريم تشند في الفترة التي عاش فيها أدباء من أمثال محمود تيمور وحسين فوزي ومحمود طاهر لاشين وعبد الحميد حمدي ويوسف السباعي ، وعاش أيضا كرشن تشندر في الفترة التي عاش فيها أدباء القصة القصيرة العربية أمثال محمود تيمور والمازني ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف إدريس وغيرهم ، وإذا كان محمود تيمور الأرستقراطي يعلن أنه خالط الفلاحين وعايش الطبقة الوسطى ، كما يتضح من عبارته التالية :

" إني من طبقة متوسطة عاشت بين الفلاحين .. لقد كنت أعيش مع الفلاحين في حياتهم كاملة حتى الجوانب السلبية منها ... على أن اهتمامي بالفلاح والأرض مرده إلى سبب أعمق هو أنهما أكثر تجسيدا للروح المصرية .. "

فإن كرشن تشندر يقول الشيء نفسه :

" إن أجمل ذكريات طفولتي ، وأعظم لمحات شبابي ، مرتبطة بكشمير ، تجولتُ كثيرا في الوادي ، وسكنت شهورا وشهورا في بيوت الفلاحين ، شاهدت من خلال إقامتي معهم أفراح الناس وأتراحهم ، ومسراتهم وأحزانهم ، ولمست عن قرب فقرهم وجهلهم ... وهنا يجب أن أعترف أنني لو لم أشاهد كل هذا عن قرب لما كتبت أبدا قصة واحدة مما كتبت " .

أما الأديبة نكية بلكرامى فهى امرأة شرقية تعبر مثلها مثل معظم أديبات العالم العربى عن روح الشرق وتقاليده ، وعن الأسرة الشرقية بكل ما فيها ، وعن تطلعات المرأة فى الحياة المعاصرة .. ولا أريد أن أعقد مقارانات أدبية ، ولكنى أقدم هذه النماذج المترجمة فرصة للدارسين العرب ، ليطلعوا على نماذج من أدب القصة القصيرة الحديثة والمعاصرة فى الهند ، وقد وضعت مقدمة مختصرة لتطور فن القصة القصيرة فى الهند مركزا على ما يتعلق بمن ترجمت لهم ، على أن تتضمن مجموعات قصصية أخرى دراسة أخرى تلقى المزيد من الضوء على فن القصة فى شبه القارة .

وأتوجه بالشكر إلى القائمين على شئون المجلس الأعلى للثقافة على اهتمامهم بنشر ترجمات من الآداب الشرقية ، فهم بذلك يؤكدون حرص وزارة الثقافة واهتمامها بإثراء المكتبة العربية فى مصر والعالم العربى بإبداعات أدباء الشرق جنبا إلى جنب مع إبداعات أدباء الغرب ، وذلك ضمن المشروع القومى للترجمة .

سمير عبد الحميد إبراهيم

القاهرة ٣ يناير ٢٠٠٠ م

مقدمة

القصة القصيرة فى شبه القارة

كانت اللغة الفارسية فى الأزمنة الوسطى هى اللغة الرسمية ولغة الثقافة فى شبه القارة ، وظلت هكذا حتى القرن الثامن عشر الميلادى ، وبالتدريج بدأت اللغة الهندوستانية أو الهندية التى أطلق عليها فيما بعد اللغة الأردية تنال هذه المكانة ، ويرى علماء اللغة أنه مع مطلع عام ١٨٠٠م كانت اللغة الأردية التى احتلت مكانة لغة الثقافة والأدب من البنجاب حتى البنغال ، ومن كشمير حتى الدكن ، كانت منبع الوحدة التى جمعت أهالى الهند وسط الاختلافات اللغوية[١] ، ولم تكن الأردية منذ عام ١٨٣٥م هى اللغة التى تربط أهل الهند فقط بل كانت «لغة المحاكم» ، وصنفت بها المناهج التعليمية لكلية دهلى ، كما أنشئت مراكز هامة تهتم بتطوير اللغة فى مجالاتها العلمية والأدبية ، ثم ظهرت حركة تنادى بنشر الهندية والبنغالية وغيرهما ، وكانت تلك الحركة بسبب خباثة نفوس بعض الناس وبسبب أمور سياسية محضة .

رأى علماء الهند ممن وقفوا فى صف الأردية أن حركة اللغة الهندية هى صدى للسنسكريتية ، وحاول الزعيم المسلم سيد أحمد خان مواجهة هذه الحركة ، عن طريق التوفيق بين القادة الهنادكة والقادة المسلمين ،[٢] إلا أن الاضطرابات الطائفية فى الهند ، ساعدت على تأجيج قضايا اللغة ، فى وقت حاول فيه بعض المصلحين القضاء على الاختلاف اللغوى بين أهل الهند ، وحين أسست الجامعة الملية الإسلامية

فى دهلى سنة ١٩٢٠م ، كان هدفها تدريس اللغة الهندوستانية التى تروج فيها الكلمات الأردية والهندية ، وفى عام ١٩٢٧م أسست فى مدينة إله أباد الأكاديمية الهندوستانية التى اعتبرت الهندوستانية ميراثًا مشتركًا لكل من الهندية والأردية كالكل من الهندية والأردية ، وراحت تعمل على نشرها بين الناس ، ودعا إلى ذلك الدكتور تاراتشند ، والدكتور بهكوان داس ، وعمل المهاتما غاندى على نشر الهندوستانية بين الناس ، مما جعل اللجنة العليا لحزب المؤتمر لعموم الهند تعترف بالهندوستانية لغة قومية للبلاد ، واقترحت أن تصدر جميع اقتراحات وقرارات حزب المؤتمر بالهندوستانية قدر الإمكان ، وأيد هذا الاتجاه أيضا جواهر لال نهرو ، لكن هذه الحركة مضت ببطء فلم يكتب لها النجاح .

وفى عام ١٩٣٥م نادى بعض أعضاء حزب المؤتمر الهندى باعتبار الأردية لغة المسلمين ؛ لأنها تكتب بحروف اللغة العربية لغة القرآن ، وحاول البعض التوفيق فى قضية الهندية والأردية ، عن طريق إيجاد صورة ما تكتب بها اللغة الهندوستانية يتفق عليها الجانبان : المسلمون والهندوس[٢] ، وتحولت قضية اللغة إلى قضية سياسية ، يستغلها البعض لتحقيق أغراضهم .

وحاول بعض الأدباء ومن بينهم الأديب بريم تشند الذى ترجمنا بعض قصصه هنا التوفيق بين الأردية والهندية ، وظل يقدم مشورته للأدباء ، ونجح إلى حد ما ، لكن عددا كبيرا من القادة ، رأوا أنه من الصعب تعلم الكتابة بالخط الهندى (ناكرى) والخط الأردى (العربى) فى وقت واحد ، ولم يصلوا إلى حل ، فراحوا يبحثون عن حروف لكتابة الهندية والأردية معا ، ورأوا أن الحروف اللاتينية هى الحل ، إلا أن أحدا من الطرفين لم يقبل بهذا الحل ، وهكذا ظلت الهندية تكتب بالناكرية وظلت الأردية تكتب بالحروف العربية .

وهكذا ظهر أدب هندى يكتب بلغة تكاد تكون واحدة نُطقًا ومعنًى ، لكنها تكتب مرة بحروف ناكرية ومرة بحروف عربية ، وتسمى هذه هندية وتسمى الأخرى أردية ، وبمرور الوقت راحت كل لغة تأخذ طابعا مميزًا وهذا ما سنلاحظه فيما كتبه بريم تشند ، فقد كتب قصصه بالأردية (الحروف العربية) ثم عاد وكتبها بالهندية (بالحروف الناكرية) .

ظهور القصة القصيرة فى الأدب الهندى وتطورها

رغم أن البعض يؤرخ لبداية القصة القصيرة فى الأدب الهندى (الهندوستانى - الأردى) مع بداية القرن العشرين الميلادى ، إلا أن ارهاصات هذا الفن ظهرت فى الأدب الأردى منذ فترة سابقة ، وكانت المحاولات الأولى ناقصة ، وتطور فن القصة القصيرة فى العقدين الأولين من القرن العشرين الميلادى بسرعة ؛ إذ شهدت هذه الفترة يقظة جديدة فى إحساس أهالى شبه القارة ، بالإضافة إلى الإحساس بالحزن لضياع الحرية وسيطرة الإنجليز على مقاليد الحكم فى البلاد ، وظهرت عاطفة جياشة فى قلوب الجميع من أجل الحصول على الحرية ، وظهرت حركات اليقظة السياسية فى عموم الهند وبخاصة بين المسلمين ...

تأثرت القصة الهندية - بدايةً - بالقصة فى الغرب ، وأخذت من عناصرها الكثير ، ورغم هذا فقد حافظ الأدباء على ملامح الحياة الشرقية فى قصصهم ؛ حتى إن بعض الأدباء استفادوا مباشرة من تراث الأجداد ، فمزجوا بين أسلوب الغرب والشرق مُوجِدين أسلوبا جديدا لهم ، فرغم أن الأدباء فى الهند اتخذوا من الأدب الغربى معيارا لهم ، إلا أنهم غاصوا فى تراثهم الشرقى ، فجعلو القصة الهندية تحفة فنية [٤] .

لعب النقاد - مثلما لعبت المجلات الأبية - دوراهاما فى تمهيد الطريق لكتّاب القصة فى الربع الثانى من القرن العشرين ، فصدرت كتابات عديدة عن الجوانب الفنية لفن القصة ، إلا أن فن القصة تأثر كثيرا بل استفاد من القصص التى ترجمت إلى الأدب الهندى من لغات عديدة ، وخاصة بعد عام ١٩٣٠م ، فقد ترجمت قصص قصيرة لا حصر لها من الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية والنمساوية والبلجيكية والروسية والتركية والعربية والصينية واليابانية وغيرها ، إلى اللغة الأردية ، وتأثر أدباء القصة فى الهند بتلك الترجمات سواء من الناحية الفنية أو من ناحية المضمون والموضوع ، وظهرت أسماء عديدة بالإضافة إلى المشهورين أمثال : بريم تشند ، على عباس حسين ، نياز فتحبورى ، ومجنون كوركه بورى ، كما ظهر أيضا أحمد أكبر آبادى ، وراشد الخيرى ، وعظيم بيك تشغتائى ، وغيرهم ، واكتمل شكل القصة القصيرة كفنّ أدبى فى الهند أواخر عام ١٩٣٥م (٥) .

وتعد سنة ١٩٣٦م منعطفا هاما فى تاريخ القصة القصيرة فى الهند ، فقد تأسست جمعية من الأدباء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الأدباء التقدميين ، وشكلوا اتجاها أدبيا أو مدرسة أدبية عرفت باسم : « ترقى بسند تحريك » : أى حركة الأدباء التقدميين ، وأصدر هؤلاء مجموعة قصصية ، كانت بالنسبة لعامة القراء غير مقبولة ، نظرا لما فيها من فحش وهجوم على الحضارة الهندوسية من جهة ، والحضارة الإسلامية من جهة أخرى ، مما جعل الحكومة الهندية تلجأ إلى مصادرة هذه المجموعة القصصية ، حفاظا على الأمن العام ، ولهذا نالت هذه المجموعة القصصية أهمية تاريخية ، رغم أنها كانت فى معظمها ضعيفة من الناحية الفنية .

كان هؤلاء الشبان الذين شكلوا الحركة الأدبية سابقة الذكر قد درسوا في إنجلترا ، وبعد عودتهم هالهم ماوجدوا عليه بلادهم من فساد وسوء خلق ، وتردى القيم ، وهكذا جاءت قصصهم غريبة على المجتمع ، فكانت مثل قنبلة مدوية في دنيا القصة القصيرة الساكنة ، وقد كتب أحد أبناء هذه الجماعة معبرا عن رأى الجماعة :

« لايزال أدبنا يحمل تلك الاتجاهات التى تمنع مسيرة المجتمع التقدمية أو لا تحثه على التقدم ، وأدباؤنا النائمون في نشوة الغفلة لا يتطلعون حتى إلى ماهو حولهم ، وقد اضطر هذا بعض الشباب إلى أن يعبروا عما في داخل المجتمع من صور كريهة ، وهكذا صدرت المجموعة القصصية ... » .

والحقيقة أن هؤلاء الشبان كانوا يصرخون ، ولا يدرون أحيانا ما يقولون ، ولهذا لجأوا إلى أسلوب السخرية ، ولجأوا أحيانا إلى الابتذال ، ولم تكن اللغة الأردية ، ولم يكن القراء ليسمحوا لهم بذلك ، وخاصة بعد أن تعدوا حدود الجسارة إلى الوقاحة ، وإذا كان الناقد وقار عظيم قد نعت قصصهم بالابتذال فإن سجاد ظهير – زعيم الحركة – اعترف نفسه بذلك مؤكدا أيضا على أن معظم قصص هذه المجموعة يفتقد إلى الاتزان والمعقولية ، لكنها صرخة وصيحة ضد « الرجعية الاجتماعيه » وضد « الدقيانوسية » على حد تعبيره ، ويرى الأديب الناقد عزيز أحمد أن أكبر عيب في المجموعة القصصية كان فقدان الاحتياط الواجب في الخطاب القصصي ، وعدم الالتزام بالأصول المتوارثة المتعارف عليها بين الناس ، بالإضافة إلى ماهو أخطر من ذلك ، وهو الهجوم على الدين بطريقة لاتقرها حتى العقلية الاشتراكية (الشيوعية) التى سيطرت على الشباب في الهند آنذاك ؛ مما دفع الناس إلى إعلان الاحتجاج ، ودفع الحكومة إلى مصادرة المجموعة القصصية لهذه الحركة [٢]

موقف الأدباء الكبار من الحركة

فى الجلسة الأولى لجمعية الأدباء التقدميين التى عقدت فى لكهنو فى إبريل سنة ١٩٣٦م شارك أدباء الأردية أدباء البنغالية والكجراتية والمراتهية والتاملية وأدباء التلكو ، وألقى كل منهم - بلغته - مقالاته التى تضمنت قضايا أدبية ، وترأس الجلسة الأديب بريم تشند الذى قال :

« ستظل هذه الجلسة حادثة يرويها تاريخنا الأدبى ... » .

ثم عرض لأهمية إصلاح لغة الأدب الأردى والهندى ، وركز على بيان رسالة الأدب ؛ لأن الأدب ليس مجرد لهو أو لعب ، وأهاب بالأدباء ألا يهبطوا بأدبهم إلى المستويات المتدنية فقال :

« الأدب ليس الحقيقة التى تمضى خلف شعار الوطنية أو خلف السياسة ، بل هو الحقيقة التى تمضى لتحمل المشعل أمام الجميع ، فالأدب الصحيح هو الأدب الذى يتضمن فكرا ساميا وعاطفة تجاه الحرية ، وهو الذى يتضمن جواهر الحسن ، وروح التعمير لا التخريب ، ونور حقائق الحياة التى تبث فينا الحركة والحماس ، ولاتخدرنا أو تصيبنا بالنوم والنعاس ؛ لأن نومنا الآن - ولولفترة بسيطة - يعنى الموت » (٧) .

وفى مؤتمر الجمعية الذى عقد عام ١٩٣٧م فى إله آباد ، رُشّح مولوى عبد الحق (عميد الأدب الأردى) لرئاسة المؤتمر ، إلا أنه لم يتمكن من الحضور ، فأرسل خطابا إلى المؤتمر ، فشجع المؤتمرين ، وقدم لهم المشورة :

« مهما كانت آراؤنا وأفكارنا على مستوى رفيع ، ومهما كانت حبيبة إلى قلوبنا عزيزة علينا ، إلا أننا إذا لم نبعث فيها الجدة والتجديد ؛ فسيأتى عليها يوم تكون مثل الماء الراكد فى بحيرة مغلقة ، ستتكوّن فيها جراثيم سامة تكون سببا فى هلاكنا » .

« وعلى كل أديب من أدباء الجماعة أن يطالع الأدب القديم ، وأن يرى مدى صلاحية التطوير فى أدبنا ، ما هى الأمور الواجب تركها ؟ وما هى الوسائل اللازمة للوصول بالأدب إلى مكانته العالية ؛ إنكيف يتم إصلاح ما ورثتموه إذ لم تعرفوا مواطن الحسن والقبح فيه ؟ » (٨) .

وهكذا كان مولوى عبد الحق مع حركة الأدباء التقدميين ، لكنه يقدم المشورة للأدباء ناصحا قائلا بأن التفكير فى الماضى ، ودراسة التراث لايعنى التقليد ، ولايعنى الرجعية ؛ فإن ميراثنا الأدبى ليس كله غث ، بل فيه الكثير من الأدب القيم ، أما الآخر فيمكن الاتجاه إلى إصلاحه ليكون أدبا ساميا .

وفى مؤتمر الجمعية الذى عقد فى إله آباد مارس سنة ١٩٣٨م قدم كل من جواهر لال نهرو ، والأديب البنغالى رابندرناته طاغور رسالة إلى الأدباء المجتمعين ، فطلب نهرو من الأدباء أن يكونوا عونا للمجتمع ، وأن يعبروا بكتاباتهم عن مجتمعهم ، حتى يكون لأدبهم تأثيره على أفراد المجتمع ، وهكذا عبر طاغور :

« إن العزلة فى سبيل الإبداع الأدبى مفيدة وضارة فى نفس الوقت .. فالحقيقة أن الأديب إذا انفصل عن المجتمع لا يمكنه أن يتعرف على بنى البشر ، وهكذا يحرم من يعيش فى عزلة من التجارب التى ينالها باختلاطه بمجتمعه .. لقد بقيت منعزلا عن المجتمع لمدة طويلة أمارس رياضتى الخاصة ، وكان هذا خطأ كبيرا عرفته الآن فقط » (٩) .

وكان لرعاية هذه الشخصيات أثرها على الحرمة الأدبية المذكورة ، وساعدت على دعمها وتقويتها إلى حين ؛ إذ بدأ بعض الأدباء يُعارض الحركة ، وانطلقت الشرارة الأولى بعد المقال الذى كتبه نواب جعفر على خان أثر لكهنوى بعنوان :

« الأدب الجديد .... إلى أين المسير ؟ » (١٠) .

ثم كتب البروفيسر رشيد أحمد صديقى مقالاً فى مجلة " أفتاب " الصادرة من " على كره " تناقلته عدة مجلات أخرى ، عارض فيه البروفيسر الأديب رشيد أحمد صديقى ما شاع بين الأدباء من أدب خاص يتعارض مع العقائد الدينية ، ومع الذوق السليم ، وعقد بعدها الأديب ماهر القادرى مؤتمرا يهدف إلى إصلاح الأدب الأردى ، وأعلن أن ما يقوم به الأدباء التقدميون يعنى الموت للغة الأردية ، فهم يستخدمون ألفاظا مهملة ، وبطريقة خاطئة تماما ، ولا يفعلون سوى تخريب أساس اللغة لا إصلاحها أو تطويرها ..

وحين أصدر فرقت كاكورى مجموعة من الشعر الحر لبعض الشعراء التقدميين رد عليه أدباء الأردية : عندليب شادانى ، ومسعود حسن رضوى ، ونياز فتحبورى ، وعارضوا تماما الشعر الحر قائلين بأنه يتعارض كلية مع مزاج وروح الشعر الأردى ، وكتب حسن عسكرى عدة مقالات فى نقد هذه المجموعة الشعرية ، وظهرت معارضة شديدة بين أدباء الأردية لحركة الأدباء التقدميين ، ولأسلوبها الهادف إلى تشويه اللغة الأردية أساسا ، وفى أكتوبر عام ١٩٤٥م عقدت جماعة الأدباء التقدميين مؤتمرا فى حيدر آباد ، أعلن فيه الأدباء عن معارضتهم لأدب الفحش ، وذكروا أن ما يصدر الآن من أدب فاحش باللغة الأردية لا علاقة له أبدا بحركة الأدباء التقدمين ولابنظرياتها ، فالأدباء التقدميون ضد الفحش والابتذال ، ويرون التعبير عنه فى الأدب ظاهرة غير صحيحة ، وغير مفيدة ، بل ضارة بالأدب ، إلا أن بعض الأدباء التقدميين عارضوا إصدار هذا البيان ، وعلى كل حال كان للأدباء الكبار تأثيرهم فى دفع عجلة تطوير فن القصة القصيرة فى الهند ، بينما لم يكن للغث من الأدب أى مكان بين الناس .

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ(١٧) ﴾

صدق الله العظيم

وهكذا يمكن القول باختصار بأن هدف جماعة الأدباء التقدميين كان مخالفة كل ما من شأنه أن يحول دون التطور والرقى ، وتنقية طريق الحياة مما ظنوه أشواكا فى الطريق ، إلا أن هؤلاء جاوزوا الحد ، مما أوجد مقابلهم فريقا آخر يدعو إلى التمسك بالقديم ، والمحافظة على التراث ، مما دفع بعض أباء حركة التطور هذه إلى محاولة فهم الدين فهما صحيحا بدلا من تأويله ، فأوجدوا مفهوما جديدا للتطور يمكن أن نطلق عليه « الإحياء » ، وهنا يتضح تماما الفرق بين الكُتَّاب المجيدين والكُتَّاب غير المجيدين .

تطور فن القصة فى الهند ودور الأدب النسائى :

من الجدير بالذكر أن المرأة شاركت الرجل منذ البداية كتابة فن القصة ، وكان سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكره الإسلامية قد دعا إلى ضرورة إعطاء المرأة قسطا من التعليم يتناسب مع إمكانياتها ، ولا يتعارض مع ظروفها كامرأة مسلمة ، وظهرت عدة مجلات أدبية مثل : " تهذيب نسوان " وشريف بى بى " ؛ مما أوجد فرصة لدى بعض النساء الموهوبات لكتابة القصص ثم كان للمجلات التى ظهرت فى الفترة التالية لحركة سيد أحمد خان أثرها الإيجابى على تطور القصة الأردية : فقد بدأت نماذج القصة الأردية تنتشر فى مجله " مخزن " و " زمانه " وغيرهما .

تطور فن القصة القصيرة فى العقدين الأولين من القرن العشرين ، وعبر الأدباء عن مشاعرهم وأحاسيسهم الحزينة ، نظرا لضياع الحرية وسيطرة الإنجليز على مقاليد الحكم فى البلاد ، وظهرت عاطفة جياشة

فى قلوب الجميع من أجل الحصول على الحرية ، وظهرت حركات اليقظة السياسية فى عموم البلاد وبخاصة بين المسلمين .. وأبدع بعض الأدباء فى قصصهم ورواياتهم التى جعلوا لها هدفا واضحا لخدمة الأمة الهندية ، وتطور فن القصة القصير وانتشرت وزاد عدد قرائها .

وقد شهدت فترة أوائل القرن العشرين نهضة نسائية ، تزامنت مع حركة تهدف إلى ترك العادات البالية ، وقام الأديب راشد الخيرى يعضده شيخ عبد القادر وشيخ محمدإكرام بتشجيع تعليم المرأة والحفاظ على حقوقها داخل المجتمع ، وصدرت فى " دهلى " سنة ١٩٠٨م مجلة " عصمت " ، ومن العجيب أن يقوم راشد الخيرى بكتابة عدة مقالات وبعض القصص القصيرة بأسماء وهمية لبعض النساء ؛ مما أدى بدوره إلى تشجيع المرأة على الدخول إلى ميدان كتابة القصة القصيرة ؛ فظهرت على صفحات مجلة " عصمت " أسماء حقيقية لأديبات هنديات جنبا إلى جنب مع أسماء الأدباء المشهورين .

وهكذا دخلت المرأة هذا الفن ، وكانت الكتابات النسائية ذات طابع إصلاحى تبليغى ، ومن بين الأديبات اللاتى كتبن فى هذا الفن : محمدى بيغم ، وعباسى بيغم ، ونذر سجاد حيدر ، وطيبة بيغم ، وبيغم شاه نواز ، وصغرى همايون مرزا ، واتجهن إلى كتابة الرواية بدلا من القصة القصيرة ، بهدف تعليم المرأة ونيل حقوقها .

لم يكن الأديب راشد الخيرى هو الوحيد الذى كتب بأسماء نسائية مستعارة ليشجع المرأة على دخول ميدان الأدب ؛ فقد كتب فضل حق قريشى قصصا قصيرة بتوقيع طاهرة بيغم شيرازى ، وكتب نياز فتحبورى قصصا باسم مريم زمانى بيغم ، واتسمت قصص الأديبين بروح الدعابة والشقاوة .. إلا أن الأديبات : عباسى بيغم وخاتون أكرم وأمة الوحى وراحت آرا بيغم وشائسته أختر سهروردى أخذن مكانتهن

فى مصاف الأدباء ، وكانت أفكارهن فى قصصهن أفكارا نيرة ؛ فقد انتمين إلى أسر فاضلة من الأسر التى تهتم بالعلم والعلماء والأدب والأدباء ، وقد اتخذن من قضايا المرأة موضوعا رئيسا فى كتاباتهن وأبدعن قصصا هادفة ، وكانت خاتون أكرم من أشهر الأديبات اللاتى كتبن القصة القصيرة فى مجلة " عصمت " ما بين سنة ١٩١٨م وسنة ١٩٢٤م ، ومن أهم قصصها " انقلاب زمانه " ثورة العصر " و " بيكر وفا " مجسم الوفاء ، و " بجهرى بيتى " أى الابنة التى فارقتنى ، ونالت الأديبة شهرة واسعة ونشرت مجموعة قصصها تحت عنوان " كلستان خاتون " ، وكانت خاتون أكرم أول أديبة تنال شرف الأديبة صاحبة أول كتاب ينشر ، ويتضمن مجموعة قصصها القصيرة .

وصدرت عدة مجلات فيما بعد .. من لكهنو مجلة نكار ، ومن لاهور مجلة همايون ونيرنك خيال وأدبى دنيا ، ومن دهلى ساقى وغيرها ، حيث كان لها دور عظيم فى تطور القصة القصيرة .

ثم كان عصر الترجمة ..

زادت حركة ترجمة القصص القصيرة من اللغات الأجنبية إلى الأردية ، وكان لهذه الحركة أثرها فى اطلاع كتاب القصة القصيرة على المستوى الفنى الذى وصلت إليه القصة على المستوى العالمى ، كما عرضت نماذج مختلفة من القصص .

وإذا كان النقاد يرون أن سنة ١٩٣٦م تعد منعطفا هاما فى تاريخ القصة القصيرة فى الأدب الأردى بعد تأسيس حركة الأدباء التقدميين – كما ذكرنا من قبل – فإنهم يعتبرون الفترة التى تلت عام ١٩٣٦م هى الفترة الذهبية للقصة القصيرة فى الأدب الأردى ، نظرا لتأثير حركة الأدباء التقدميين ، فقد ظهرت جماعة أخرى تسمى " حلقه أرباب ذوق " ،

وظهرت جماعة ثالثة روجت لفكرة الأدب من أجل المتعة أو الفن للفن ومن هؤلاء عظيم بيك تشغتائي وشوكت تهانوى ، كما اتجه فرحت الله بيك ورشيد أحمد صديقى وشفيق الرحمن وبطرس بخارى لأسلوب الدعابة والمزاح .

وكما كان لعصر الترجمة أثره على الأدباء الهنود فقد كان له أيضا أثره على الأديبات الهنديات ، نظرا لأن الاتجاه الرومانسى فى القصة جذب المرأة أكثر ، فذاع صيت حجاب إسماعيل التى عرفت فيما بعد باسم حجاب امتياز على ، التى كتبت قصصا تتميز بالإبداع والرومانسية ، كما ذاع صيت مسز عبد القادر التى أعطت القصة الأردية مكانة مرموقة ، وحددت لها اتجاهات واضحة ، ويشير النقاد عادة إلى تأثرها بروايات " ادجر آلن بو " الرومانسية وعنصر الخوف والرعب ظاهر فى قصصها ؛ ومن عناوينها مثلا " لاشون كا شهر " مدينة الجثث و " صدائد جرس " صلصلة الجرس و " راهبه " أى الراهبة ، وقد برعت الأديبة فى استخلاص نتائج ميتافيزيقية رومانسية من الأحداث الواقعية ، وأبدعت هذا الفن فى الأردية ، كما كان لكتابات رشيد جهان أثرها على قصص وروايات أديبات الأردية : عصمت تشغتائى ، وهاجرة مسرور ، وخديجة مستور ، وواجدة تبسم ، وقد اشتهرت من بين هؤلاء الأديبة عصمت تشغتائى التى تناولت فى أدبها موضوع الجنس لتعبر عما يدور فى المجتمع ، وقد حملت ما يدور داخل الحجب إلى خارج الحجب ، وعرضته بلذة فكرية وجدت قبولا أحيانا ؛ ورفضا أحيانا فالناقد عزيز أحمد يرى أن عصمت تشغتائى أديبة ذات اتجاهات مريضة ، ويعود فيقول : لكن أحدا لا يمكنه أن ينكر قدرتها على البيان .

أما خديجة مستور وهاجرة مسرور فقد نحيا منحى الأدباء

التقدميين ، وحاولتا رؤية الحياة من خلال التعبير عن إحساس المرأة الرقيقة وعواطفها ، ووصلتا إلى درجة عالية من التعبير الفني من خلال عرض الصراع بين الخير والشر لإخراج صورة مؤثرة لعلاقات الصداقة الإنسانية .. أما الكاتبة صديقة بيغم فقد عبرت فى قصصها عن ملامح الحياة الاجتماعية للأسرة المسلمة ، بينما كتبت زينب سجاد قصصا رائعة صورت فيها بيئة إمارة حيدر آباد الدكن بكل ملامحها الاجتماعية والسياسية ، وعن طريق القصة قامت بتشريح المجتمع ، ونجحت فى ذلك إلى حد كبير ، ويرى النقاد أن عصمت تشغتائى هى الأديبة التى احتلت مكانة ثابتة بين الأدباء التقدميين ، بينما كانت بقية الأديبات كاليراعات يحلق .. ويبرقن .. ثم ينتهين .

اتجه الأدباء قبل تقسيم شبه القارة الهندية إلى تصوير المجتمع بكل تعقيداته وبكل مشاكله ، وإذا كان أديبا مثل رام لعل قام بتصوير المناطق المحيطة بميانوالى (فى باكستان حاليا) فقد راح بعد التقسيم يصور مناطق دهلى ولكهنو ..

ومن الأدباء الذين ذاعت شهرتهم قبل التقسيم وبعده أيضا نذكر : شوكت صديقى ، وقرة العين حيدر ، وخديجة مستور ، وهاجرة مسرور، وقدرت الله شهاب ، وبروين سرور ، وأى حميد ، وسيد أنور ، وممتاز شيرين ، ومحمد أحسن فاروقى ، وقاضى عبد الستار ، وتسنيم سليم تشهتارى ، ويذكر أنه بعد التقسيم برز أدباء إلى الصف الأول منهم : إشفاق أحمد ، انتظار حسين ، غلام الثقلين نقوى ، بانو قدسية ، ألطاف فاطمة ، نثار فاطمة ، خليل أحمد ، وغيرهم .. اتجه إشفاق أحمد إلى تصويرالواقعة الصغيرة فى قصة ليركز بها على هدف معين ، وقد نالت قصته " كدريا " أى " الراعى " شهرة كبيرة ، ومن قصصه " توبه " أى التوبة و " تلاش " أى البحث " و " شبير خون " أى الغارة ليلا ، أما

انتظار حسين فقد ركز على الماضي ليصل إلى الحاضر ثم يعود مرة أخرى إلى الماضى ، وهو يستخدم الرمز وأسلوب الرواية الأسطورية ، وقد وفق من الناحية الفنية في العرض القصصى ، ومن الأديبات نذكر فرخنده لودهى التى ركزت على الريف ؛ فهى من الريف وأقدامها متصلة بالأرض والفلاحة .. وقد قدمت إلى المدينة فجمعت بداخلها ألوان الحيرة والدهشة ؛ ومن قصصها " شرابى " أى السكير و " معجزه " أى المعجزة ، بينما ركزت الأديبة ألطاف فاطمة على الجانب النفسى فى شخصيات قصصها .

أما الأديبة القديرة قرة العين حيدر فلا تزال تعطى الأدب الأردى من مداد قلمها ثروة أدبية عظيمة ، وقد نالت شهرتها قبل التقسيم وبعده ، وهاجرت إلى باكستان ثم عادت مؤخرا إلى الهند ، وقد نالت أكبر الجوائز الأدبية فى عموم الهند فى نوفمبر ١٩٩٤م ، وقد نشأت فى بيت أدب وعلم ؛ فوالدتها هى الأديبة نذر سجاد حيدر ووالدها هو سجاد حيدر يلدرم ، وكلاهما من كتاب القصة كما أشرنا .

بالإضافة إلى قرة العين حيدر ، وممتاز شيرين نذكر سحاب قزلباش ، وتسنيم سليم جهتارى ، وعائشة درانى ، وشائستة اختر ، وصالحه عابد حسين ، وپروين سرور ، وحميدة سلطانى ، وزهره جبين ، وشفيق بانو ، وسيدة أشرف وغيرهن ، ورغم أنهن لم ينلن اهتمام النقاد ، إلا أنهن نلن اهتمام القراء ؛ فقد ظلت مثلا قصص سحاب قزلباش لفترة تثير التساؤلات وتنال الاهتمام على صفحات صحيفة " جمنستان " فى دهلى ، ولا يزال صدى قصتها " آك جل رهى تهى " كانت النار مستعرة - يسمع حتى اليوم كما نشرت بعض قصصها فى مجلة " آج كل " ، ومن قصصها " بهو كا هــ بنكال " أى البنغال الجائع و " توت كيا ايك تاره " نجمة تحطمت . هذا وكتبت صالحة عابد روايات وقصص

اجتماعية إنسانية ، وعبرت بروين مسرور عن البربرية التى حدثت أثناء تقسيم شبه القارة ، كما عبرت أيضا عن سقوط دهاكه ، ولا تزال هذه الموضوعات ومثلها هى عصب قصصها .

ومنذ سنة ١٩٨٠م وما بعدها بدأ عصر الإبداع فى فن القصة القصيرة فى الأدب الأردى على يد أدباء كبار ورد ذكر بعضهم ، ومنهم : ممتاز مفتى ، ميرزا أديب ، أحمد نديم قاسمى ، وكذلك أنوار أحمد ، ومرزا أطهر بيك ، ومحمود أحمد قاضى ، وعقيلة كاظمى ، وكلزار جاويد .. كما حققت بعض الأديبات شهرة واسعة ، ونذكر منهن : نيلوفر إقبال ، ونكهت سيما ، وعطيه سيد ، وشمع خالد ، وفريده حفيظ ، وشكيله رفيق ، ورفعت مرتضى ، وخالده شفيع ، ونسرين قريشى ، وپروين عاطف ، وسلمى أعوان ، وآمنه أبو الحسن ، وغزاله محمود ، وطاهره مسرور ، وشبانه صديقى ، وسلمى ياسمين نجمى ، وشمع خالد ، وفرزانه رباب ، وسلمى صديقى ، وأديبتنا ذكية بلكرامى التى ترجمنا لها هنا قصتيها ، وغيرهن كثيرات ..

بريم تشند وفن القصة القصيرة

ولد الأديب الهندى بريم تشند فى قرية قريبة من مدينة بنارس فى شمال الهند ، وذاعت شهرته فى عموم الهند ، وترجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم ؛ فقد أبدع فن الرواية والقصة القصيرة ، وكتب معظم أعماله بالهندية والأردية معا ، مات فى أكتوبر عام ١٩٣٦م .

كان للأديب بريم تشند وجهة نظر تتعلق بالنظرية اللغوية فى الهند ، تختلف عن نظرية رجال السياسة :

« فى رأيى أن الأردية والهندية لغة واحدة ... الفعل والفاعل وغيرهما ، وكل ما حدث كان من « كرامات » فورت وليم [١١] الذى أعطى اللغة الواحدة شكلين محاولاً تمييزهما عن بعضهما .. وأنا أقول إن من يحاولون تقسيم اللغة فى البلاد إلى « قطعتين » إنما يقسمون حياتنا القومية بالتالى إلى « قطعتين » .. إن كلمة هندى كلمة قالها المسلمون ، أطلقوها على اللغة التى كان يتكلم بها الناس قبل خمسين سنة ، واللغة التى نسميها اليوم اللغة الأردية كان المسلمون يطلقون عليها أيضا اسم « هندى » [١٢] .

ولكن بقيت مسألة كتابة اللغة ؛ فقد شعر هو بصعوبة الأمر ، إلا أنه رأى أن تكتب اللغة القومية بالحروف الناكرية ؛ لأنها هى الحروف القومية للهند ، وعليه يجب نشر اللغات الأخرى بها على أن يتم ذلك بالتدريج .. إلا أن الأيام أوضحت أن الهندوستانية التى دعا إليها البعض لم تصل إلى منصب اللغة القومية ، فقد كانت لغة الحديث الرائجة على ألسنة الناس ، ولاتزال حتى اليوم ، لكن وجودها فى الأدب معدوم ، والهندية والأردية لا زالتا كما كانتا من قبل ، ترقى كل منها وتتطور على دربها الخاص لكن فى اتجاهين متغايرين .

كتب الأديب بريم تشند – ويُعد من عمالقة الأدب الهندى الأردى ومن رواد فن القصة – بالأردية ، ثم راح يكتب بالهندية ماسبق وكتبه بالأردية ، أو كتب قصصًا جديدة بالهندية ثم أعاد صياغتها بالأردية ، وهناك خلاف على بداية تأليفه بالهندية (عام ١٩٠٦م ، أو عام ١٩١٣م ، أو ١٩١٦م ، أو ١٩٢١م ،) .

وحين كتب بالهندية عارضته شريحة كبيرة من الناس ؛ ممن ظنوا أن أفكاره سم قاتل للغة ولأسلوب الأدب الهندى ، ومن هنا عارضوه واعتبروه أديب الأردية لا الهندية ، ولهذا لم ينل بريم تشند اعتراف الهيئات الأدبية ، ولم يحتل أى مكانة فى الأدب الهندى ، ولم ينل أى جائزة أدبية ؛ إذ عتبروا أسلوبة فى الكتابة غير هندى !!

على كل حال ظهرت دراسات مقارنة عن أدبه بقسميه الأردى والهندى ، توضح الفروق فى القصة الواحدة التى صاغها باللغتين ، وكان الأديب يغير أحيانا فى عناوين قصصه ، وفى بعض الأسماء الواردة فى القصة الواحدة ؛ فهو يخاطب أصحاب عقيدتين مختلفتين .

نشر عام ١٩٢٤م قصة بالأردية بعنوان (عصمت) ثم نشرها بعد ذلك بالهندية بعنوان (شانتى) أى الأمن والسلام ، وإذا ما طبعت قصة بالأردية والهندية يلاحظ أن الطبعة الثانية للقصة الأردية هى ترجمة عن الهندية ، وتكون لغة القصة بالمقارنة بالطبعة الأولى لغة صعبة غير مأنوسة ، وهناك اختلاف ، بلاشك ، فى العبارة وفى الأسلوب ، نظراً لطبيعة كل من الأردية والهندية واستخدامهما لبعض الألفاظ (١٤) .

ومن الجدير بالذكر أن الأديب الناقد الدكتور جعفر رضا فى كتابه عن بريم تشند وأدبه يشك فى أن يكون بريم تشند نفسه قد ترجم بعض قصصه من الأردية إلى الهندية ؛ إذ يقول عن قصة « الكفن » التى نشرت بالأردية عام ١٩٣٥م فى مجلة ماهنامه جامعة :

« متى ومن قام بترجمتها إلى الهندية ؟ الإجابة عن هذا السؤال أمر صعب ... ففى الطبعة الأردية توجد تفاصيل لأحداث لاتؤثر على النواحى الفنية ، بينما فى الطبعة الهندية أجرى المترجم إضافات رائعة زادت من تشويق القارئ ، لكنها تختلف عن منهج وأسلوب بريم تشند » (١٥).

كتب بريم تشند فى مرحلة حياته الأدبية الأولى قصصا رومانسية وتاريخية تعبر عن حبه للوطن ، ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة القصة الاجتماعية الواقعية ، وركز على موضوعات خاصة بالطبقة المتوسطة ؛ فنقد عادات المجتمع الهندى الفاسدة ، فشملت قصصه قضايا خاصة بالبيئة الهندوسية والبيئة المسلمة على حد سواء ، مثل قضية زواج الأرامل ، والزواج المبكر فى الصغر ، والعلاقات بين الزوجة وحماتها ، والعلاقة بين السادة ومخدوميهم ، وقام بريم تشند بالدفاع عن طبقة المنبوذين داخل المجتمع الهندى ، ودعا إلى العمل وعدم الركون إلى البطالة ؛ فالمنبوذ يعمل ويسعى والبرهمن يركن إلى الكسل ، ثم انتقل بريم تشند بعد ذلك إلى المشاركة بفنه وأدبه القصصى فى الكفاح السياسى من أجل التحرر من سيطرة الإنجليز ، واهتم فى الوقت نفسه بمعالجة قضايا الريف الهندى الذى يمثل ٩٠ ٪ من سكان الهند .

والحقيقة أن العقيدة الهندوسية كانت تسيطر على فكر الأديب وتحرك قلمه ؛ فهو يدعو إلى التمسك بالتقاليد الهندوسية وتأصيلها والاستفادة منها ، وهو كهندوسى كان من أكثر الناس معرفة بطبائع الهندوس ومشاكلهم ، فاختار منهم معظم الشخصيات القصصية البارزة والرئيسية ، ونلاحظ تعصبه الواضح ، فإذا اختار شخصيات إسلامية فهى شخصيات خارجة على القانون أو ممن دنسوا شرفهم كقطاع الطرق والمرتشين ، وأصحاب دور الدعارة والمجون ، . (١٦)

وهو في هذا يعبر عن كراهية طائفة الهندوس العمياء للمسلمين ، ومن هنا نلاحظ أن الأديب لم يقترب من المجتمع المسلم ، كما لم تكن لديه دراية بالعقيدة الإسلامية السامية .

على كل حال يعد بريم تشند من الأدباء الذين اهتموا بقضايا المجتمع ، وبخاصة الطبقات الدنيا في المجتمع الهندوسي ، وتعاطف تماما مع كل من أقبل على العمل بكل أنواعه حتى اضطرتهم الظروف إلى ارتكاب الأخطاء ، فهو يدعو إلى التسامح معهم ، ونلاحظ هذا في قصته « الطفل البرئ » التي عرض فيها للعلاقة بين السيد والخادم ، وأوضح كيف أعلن السيد أن البراءة الحقيقية في قلوب المساكين من الناس ، الذين يتسامحون ويعفون عن الأخطاء التي يرتكبها الآخرون في حقهم ، وفي قصة « الأم والنصيب » يقدم حكاية أسرة تنتمي إلى طبقة رجال الدين الهندوسي ، فرب العائلة راهب هندوسي له مكانته ، والأم تواجه أبناءها بعد موته ، فيسلبها الأبناء الذين تحولوا إلى وحوش كاسرة تحطم كل شيء حتى حياتها ، واستخدموا في ذلك قانونهم الهندوسي بعد تأويله بطريقة جعلت الأم تقول لهم : « اقذفوا بهذا القانون عرض الجبل ، احرقوه حرقوه أو ألقوابه في البحر » .

كرشن تشندر وفن القصة القصيرة

ولد الأديب الهندى كرشن تشندر عام ١٩١٢م ، ومات عام ١٩٧٧م . قال عنه الأديب الناقد وقار عظيم :

« كرشن تشندر هو أكثر كتاب القصة القصيرة فى زماننا شهرة ، وأكثرهم قبولا فى قلوب القراء ، ينتظر قراء الأردية فى كل مكان كل قصة جديدة له بلهفة وشوق ، فقد سيطر بفنه على قراء القصة حتى اعترف الجميع بأنه أفضل كتّاب القصة بلا منازع ، فلجلسوه فى أعلى مكان فى قلوبهم ، هذا الرجل الذى مر بمراحل عديدة على طريقه الفنى الأدبى حتى وصل إلى مكانته المرموقة ... » (١٧) .

صنع كرشن تشندر دائرة الفكر والمشاعر من خلال مزج الخيال بالواقعية أو الحلم بالحقيقة ، والحلم حلمٌ عن دنيا حوّل جمالها الطبيعى ، ومناظرها الخلابة وادى كشمير إلى جنة الله فى الأرض ، وقد ذكر كرشن تشندر أثر كشمير عليه هكذا : « إن أجمل ذكريات طفولتى ، وأعظم لحات شبابى مرتبطة بكشمير ، تجولت كثيرا فى وادى كشمير ، وسكنت شهوراً وشهوراً فى بيوت الفلاحين ، وشاهدت من خلال إقامتى معهم أفراح الناس وأتراحهم ، مسراتهم وأحزانهم ، ولمست عن قرب فقرهم وجهلهم ، وتحملت عنهم أحيانا عبء أوهامهم ، وأحسست برحابة قلوبهم وعطفهم ، ووصل حبهم الشاعرى للطبيعة ومافيها من شفافية إلى أعماق روحى ، وهنا يجب أن أعترف أيضًا بأننى لو لم أشاهد كل هذا عن قرب ، لبقيت لفترة طويلة أجهل عظمة الإنسان وعلو مكانته ، وربما لم أكتب أبدًا قصة واحدة مما كتبت » (١٨) .

وهكذا بدأ كرشن تشندر حياته القصصية من كشمير فتضمنت مجموعاته الأولى حياته التى عاشها هناك ، يقول :

« لاشك أننى تأثرت كثيرًا بالطبيعة فى كشمير ، وبجمال أهل كشمير ، وحاولت أن أنقل هذا فى قصصى الأولى ، لكننى داخل المناظر الخلابة صادفتنى أيضا مناظر قبيحة ، صادفنى ظلم وأذى ، لكن هذا لم يظهر فى قصصى بشكل واضح .. » (١٩) .

وفن كرشن تشندر مثله مثل فن بريم تشند عبارة عن رسم صورة واضحة بل ومقارنة بين ما فى الحياة من تضاد ، بين الحسن والقبح ، لكن كرشن تشندر يخطو خطوة للأمام ، فهو فى قصصه ، يعبر عن الرومانسية والواقعية معًا بطريقة تتضمن بيان الحقائق بجرأة فى التعبير ، وظل الأديب على الأقل فى مراحل فنه الأولى يعبر فى قصصه عن حقائق متضاربة :

« من ألبس الإنسان الذى خلقه الله حرًا طوق العبودية ؟ لماذا المرأة التى خلقها الله فى أحسن تقويم وزينها بالجمال ؛ لماذا هى مظلومة فى كل مكان ؟ هل الظلم الواقع عليه ظلم أبدى ، أم هو ضرورة ، أم نتيجة للوضع البيئى ؟!» .

ورغم أنه لم يُجب على تساؤلاته فى قصصه الأولى ، إلا أنه من خلال حياته فى كشمير بجمالها الطبيعى الذى شانه قلة من الناس ، أعماهم حب الحياة وحب المال ؛ فاندفعوا إلى ظلم الآخرين ، سطر فى قصصه حقائق الحياة التى تراءت له .

واستمر إحساسه بمشاعر الناس يمضى معه فى قصصه التى كتبها فيما بعد ، وخاصة عن الحياة فى المدينة ؛ حيث يدعى البعض المدنية والحضارة ، لكن المدينة تعج بالجوعى والمرضى والعاطلين ،

كما أن التخلف وتردى الوضع الاجتماعى فيها لايقل عن التخلف وتردى الوضع الاجتماعى فى الريف ، بل ساء الوضع فى المدينة ؛ إذ فسدت الأخلاق ، وانتشرت الأنانية ، وهذا نلمحه بوضوح فى عدد من قصصه ، ومنها القصة التى اخترناها هنا « شارع بطول فرسخين » ؛ حيث الاستخدم الأديب أسلوب الطنز والسخرية والتهكم .

ويركز كرشن تشندر - بالإضافة إلى المساوئ الاجتماعية والسياسية على نقاط ضعف الإنسان الأزلية والأبدية التى تأتى أحيانا فى شكل الوهم الذى يؤدى إلى التعصب ، أو القيم التى تتغير ، أو التقاليد البالية ، والبدع التى تسيطر على الناس ؛ فهو يحارب فكرة المتاجرة بالدين ، مهما كان أصحاب الدين ، وقد نقد أرباب المعابد الهندوسية نقدًا لاذعًا ، وكشف عن سلوكياتهم المشينة واستغلالهم لعقائد الناس وخاصة البسطاء .

وعبرت قصصه أيضًا عن مرحلة الجهاد فى سبيل تحرير الهند ، وبعد تحرير الهند راح يتساءل عما جرى فى البلاد ، ويصرخ مما أصاب الناس من عطش الامتصاص للدماء ، ويبكى حظ الإنسانية فى بلاده ، وذلك بأسلوب فنى رفيع المستوى ، ويعود الأديب ثانية إلى الإتجاه الذى سيطر عليه وهو الاتجاه الرومانسى ، ولا شك أن تطورا حدث على أدبه مما يعطيه خاصية تميزه ، فهو دائما يعترف بالحقائق المتغيرة والضروريات الاجتماعية مما يوجد فى أدبه مساحة رحبة ويوجد تنوعًا داخل فنه القصصى شمل دائما موضوعات وقضايا جديدة ، ومواد وشخصيات متنوعة (٢٠) .

ويلاحظ القارئ كل هذا فى القصص المترجمة هنا ، ففى قصته « رجل كالمجنون » يعرض لاستغلال الإنسان لطيبة أخيه الإنسان ، ومايواجهه الناس الطيبون من مكر الخبثاء ، وفى قصة « شجرة الماء »

يعرض لشريحة عريضة من الناس داخل القرية : العمدة ، وشيخ البلد ، ومأمور المركز ، والفلاح الكادح ، والعامل الذى يقضى حياته كلها داخل مناجم الملح ، وأكثر من هذا استغلال من يملك السلطة والمال لأهم عنصر فى حياة البشر : الماء ؛ فقد سلب هؤلاء القرية كلها من مصدر المياه ، فراح المساكين يحلمون بالماء كالجوعان يحلم بالخبز .

والأديب كرشن تشندر يحاول أحيانًا أن يرى الفرد فى ضوء المجتمع ، بينما يرى الاثنين معًا يتجانبان أحيانًا أخرى ، وهذا هو المنظر الأخير من قصته « موت نغمة » الذى يعبر عن هذه الحقيقة .

- « هل أعجبك ؟ » .

ظلت واقفة فى الماء لفترة ثم قالت بلهجة رزينة :

- « لقد سألتنى عما فى أعماق قلبى ، سوف أقول لك الصدق ، إنك تُعجبنى كثيرًا ، لكن لاتعجبنى لدرجة تجعلنى أهرب معك ، ثم إن الزواج فى يد الأم والأب ، وأعتقد أن زواجك بى لايمكن أن يتم أبدًا ، والسبب الأول هومسألة أمك ، ثم إنه - لاتؤاخذنى- يعنى ليس عندك أطيان ، ولاثروة ، ولا دار ، لاشىء - لاتؤاخذنى - فقد سألتنى عما فى قلبى » .

فالأسلوب الذى اختاره الأديب للتعبير عن الحقائق المرّة ، وجعلها مقبولة لدى الناس ، يتناسب تماما وينسجم مع الضرورات العصرية ؛ فهو يغلفها بالمناظر الجميلة وبالأسلوب الشاعرى ، وكأنه يضع السكر فى الدواء المر حتى يتمكن القارئ من تقبل الواقع المرير .

وتعبر قصة « شجرة الماء » عن كل هذا : فبطل القصة يفقد حبيبته التى تمنى أن يتزوجها ، يفقدها لضيق ذات اليد مثلما

فقدت القرية النهر ؛ لأنها لا تملك القوة التى تمكنها من مواجهة شيخ الخفر ومأمور المركز .

ولما كان الماء هو الفكرة الأساسية فى القصة ، فقد ربط الأديب كل شىء بالماء حتى حبّ البطل لبانو « كان صامتا كالماء الذى سيتفجر من تحت الأرض » ، ويلتقى البطل مع محبوبته عند النبع لتخبره أنها ذاهبة تاركة القرية .. « فتوقفت دقات قلبى ، وشعرت كأن النبع المتدفق توقف فجأة .. » .

وبعد وقوفه على الحقيقة المرة ، وهى إعلان زواجها من ابن عمها يصف اللقاء الأخير : جلست « بانو » صامتة على حافة النبع ، وكنت أستطيع رؤية حلم المحبة داخل عيونها وسط هذه الظلمة الحالكة .. لم تكن المحبة المنطوية داخل الجسم الذى تنبعث منه رائحة العرق الكريهة ، والخرق الملوثة بالقمل والبراغيث ، بل كانت المحبة التى ينبعث منها عبير الجسم الذى طهرته المياه ، والملابس التى نظفتها المياه مع الملابس الجديدة .. فوجدت نفسى بلا حول ولاقوة ... فانتحيت جانبًا ... « وراحت " بانو " الجالسة على حافة النبع تملأ ببطء شديد جرتها ، وراحت المياه تنساب بطيئة كسولة إلى الجرة ، بينما أخذت بانو تنطق ببعض الكلمات ، توجهها تارة إلى الجرة وتارة إلىّ .. فكلام الماء هو أحلى كلام الإنسان ... » .

كان الأديب كرشن تشندر يضع ما يعتريه من آلام قلبية على كل ما يشاهده ، ويودعه قصصه ، لكن القصة بهذا الشكل لم تكن حكاية مسلسلة ، بل كانت عرضا لأمور الحياة صغيرها وكبيرها .. أشياء متفرقة تمثل حلقات داخل سلسلة القصة ، كل حلقة منفصلة ، لها لونها الخاص وشكلها الخاص الذى يميزها عن الحلقة التى تصلها ، ورغم هذا فالحلقات تمثل سلسلة متكاملة ، تترك تأثيراً مجملاً على القارئ ،

وتعرض للجراح والدمامل الظاهرة على وجه الحياة الجميل ، وكان كرشن تشندر أول من أوجد في القصة الأردية المشاهد المتنوعة كحكاية ، عن طريق الربط بينها ، وكان أسلوبه هذا فتحًا على فن القصة الأردية .

وهذا نلاحظه بوضوح في قصته « شجرة الماء » و« شارع بطول فرسخين » .

وقد لخص الناقد " وقار عظيم " ملامح الإبداع في كتابات كرشن تشندر هكذا :

« أهم ما يميز كتاباته أنه لايَتعب ولايُتعب ، فلديه طريقة خاصة ومختلفة للتعبير عن كل ما عنده ، تترك تأثيرها على القلب مباشرة ، وحسن بيانه يبث الحياة في كل ما يعرضه الأديب ، فهو نفسه كان شديد الإحساس بالناس ، وكان قلبه مفعمًا بالحزن على الإنسانية ، وهذا الحزن الكائن في قلبه حرّك بشدة عواطفه الداخلية ؛ فراح يرى كل صغيرة وكبيرة بطريقته الخاصة : حسنها وقبحها ، خيرها وشرها ، مُفرحها وحزنها ، كان يربط هذا كله بطريقة تجعل القارئ يتيه ، لايمكن أن يشعر بسهولة في أي دنيا هو ... » (٢١) .

وقد عبرت زوجته الأديبة « سلمى صديقي » عن هذه الحالة قائلة :

« إن أحاديث كرشن تشندر فاتت كل حدود الغرابة ، ولا يمكن لأحد تصورها ، لقد تعودت من خلال إقامتي معه على هذه الأحاديث ، لكنني نتيجة لسماعي لأحاديث متفرقة غير مفهومة ، خشيت أن يأتي عليّ يوم أتمنى ألا أكون أديبة عادية مثل كرشن تشندر ... » (٢٢) .

على كل حال ، كانت لمشاعر الأديب المرهفة أثرها على أدبه ، كان بداخله تعاطف وأحاسيس جعلته يبدع في بيان الأمور المختلفة في هذه

الدنيا ، كان يجيد الإحساس بالطبيعة والتعبير عنها ، ومزج كل ذلك بالأحاسيس الرومانسية التى تلقى قبولاً لدى القراء ، فقد كان يعبر عنها بأسلوب نثرى يقترب من لغة الشعر ..

وهذا ما يلمسه القارئ بعد مطالعته للقصص الثلاث التى قدمنا ترجمتها هنا .

ذكية بلكرامى وفن القصة القصيرة

تُعبِّر الأديبة الهندية ذكية بلكرامى بصدق عن روح الأدب النسائى ، وهو أدب فى معظمه أدب هادف ، يعالج قضايا هامة داخل المجتمع النسائى بصفة خاصة ، ورغم أنها كانت تكتب القصة القصيرة هواية وتفضلا ، كما يبدو ، وتنشرها فى المجلات الأدبية ، إلا أنها كانت تلتزم بقواعد القصة وأصولها ، وهى تكتب نوعا من القصة القصيرة المطولة ، وربما فرضت مادة القصة عليها هذا الشكل الذى تميل إليه الأديبة ، وهى لا تستطرد أو تعمد إلى التزيد بل تزاوج بين التكثيف والبساطة ، والوضوح والرمز ، كما أن لغتها مركزة وعباراتها محكمة .

ويتضح هذا فى القصتين المترجمتين هنا ، وبخاصة قصة "اعتراف" : فالحدث فيها مكثف ، والوصف موجز ، والأديبة تمر على الشخصية بسرعة ، وهى تترك الموضوعات التى تناسبها ، فقد اختارت بطلة قصتها فتاة (أنجم) نشأت فى أسرة متوسطة ، تخرجت فى قسم الصحافة ، والدها مريض ، مضطرة إلى البحث عن عمل ، وجدت عملا فى صحيفة ، وتمضى خيوط القصة لتعبر حياة الطبقة المتوسطة وكفاح المرأة المثقفة فى الهند ، وكيفية المواءمة بين العقيدة والتقاليد والظروف الاجتماعية ،إلى أن تصل إلى مرحلة التقيد ، ثم ما يطلق عليه نقطة التنوير فى النهاية .

وبطلة قصتها " الصدمة الثانية " تدعى " نائلة " ، فتاة أيضا ، والقصة فيها عبرة لكل فتاة وامرأة يغرها جمالها ودلالها ، فقد تعرضت بطلة القصة لصدمتين ، كانت الأولى – بلا شك – أشد ؛ فقد فقدت فيها

أمها وأباها وإحدى رجليها ، ومع هذا فقد تحملتها ، إلا أن الصدمة الثانية كانت من الشدة بحيث لم تستطع أن تتحملها ! فبدأت تكلم نفسها :

" .. أخذت هذه الأسئلة وعديد من الأسئلة الأخرى تدور وتدور فى ذهنى ، لكنى لم أجد جوابا لأى منها ، فقد اضطرب عقلى وأحاطتنى الظلمة من كل جانب ، ورحت أغرق فى بحر من الظلمات سحيق !! "

ويبدو أن أديبتنا ذكية بلكرامى مثلها مثل معظم الأديبات العربيات قصرت فنها القصصى على تصوير واقع المرأة الهندية فى البيت أو العمل ، بالإضافة إلى تصوير المشاعر العاطفية ، ويمكن للمهتمين بالدراسات الأدبية المقارنة ، وضع قصص الأديبة ذكية بلكرامى أمام ما كتبته بالعربية المرحومة الدكتورة بنت الشاطئ فى "صور من حياتهن " أو ما كتبته وداد السكاكينى فى " مرايا الناس " ، أو غيرهما من الكاتبات العربيات ، وسوف يجد الدارسون مادة دسمة للتعرف على طريقة معالجة القصة الهندية والقصة العربية لقضايا المرأة ، وتحررها فى المجتمع ، أو تحررها العاطفى على الأقل ، وقد يرجع الفرق فى تصوير التحرر عند المرأة فى الهند والبلاد العربية إلى طبيعة المجتمع فى كل من المنطقتين من ناحية ، وطبيعة الأدب الأردى نفسه ، وطريقة معالجته لقضايا المرأة المسلمة من ناحية أخرى ، وخاصة إذا كانت هناك معالجة للعلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة .

وهذا ما يبدو واضحا فى قصة " اعتراف " ؛ حيث يعلن "معظم " لأنجم " عن حبه فقط ليلة الزفاف قائلا :

" أنا لم أقل لك قبلا .. ولولا زواجى بك الآن لما أخبرتك بهذه الحقيقة ...

ظل معظم يتكلم ... ويتكلم ، وغرق صوته فى دوامات من العواطف ، فصار كالهمس ، وشعرت أنجم أنه تحبه منذ ميلادها .. » .

وهكذا ظل معظم يكتم مشاعر حبه ، لا يستطيع أن يبوح بها إلا ليلة زفافه ، أما أنجم فقد كان بداخلها إحساس ما تجاه معظم ، لكنها ترى أنه ليس من حقها أن تبوح بهذا الإحساس لأحد ، وقد عبرت الكاتبة عن مشاعر بطلتها المتضاربة بأسلوب جميل يعبر عن نفسية الفتاة الهندية الملتزمة ، تجاه عقيدتها ، وتجاه أسرتها ، وتجاه عملها ، وتجاه مجتمعها .

الحواشي والتعليقات

(١) انظر د. مسعود حسين خان : اردوكا الميه ص ٨٨ ط دهلى .
(٢) د. جعفر رضا : بريم تشند فن اور تعمير فن ، ص ٤٤ ، ط ٢ ، إله آباد ١٩٨٠م .
(٣) مقال الدكتور عبد الحق عميد الأدب الأردى ، فى مجلة اردو ، عدد إبريل سنة ١٩٣٦م بعنوان : حقيقة بهارتيه ساتهيه .
(٤) وقار عظيم : نيا افسانة الصفحات الأولى ، ط على كره ١٩٧٧م .
(٥) عزيز فاطمة : اردو افسانه ص ٢٠-٢٣ ط لكهنو .
(٦) نفسه ص ٢٥ .
(٧) مجلة نيا ادب ، عدد يناير / فبراير ١٩٤١م .
(٨) نفسه .
(٩) عزيز فاطمة : اردو افسانه ص ٣٥ .
(١٠) نشر فى مجلة نيا ادب عدد يناير فبراير ١٩٤١م .
(١١) أسس كلية فورت وليم مع بداية ق ٢٠ الميلادى ، واهتم بالفصل بين الأردية والهندية ، ومن داخل هذه الكلية ظهرت مؤلفات وترجمات بالهندية والأردية ، انظر : د . سمير عبد الحميد إبراهيم : الأدب الأردى الإسلامى ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الصفحات المتعلقة ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
(١٢) نقلا عن د. جعفر رضا : بريم تشند فن اور تعمير ص ٥٩ إله آباد ١٩٨٠م .
(١٣) المصدر السابق ص ٩٢-١٢٤ .
(١٤) المصدر السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(١٥) المصدر السابق ص ٢٣٣ .
(١٦) د. عبد السلام فهمى : القصة فى الأدب الأردى ، ص ٦٢ ، سنة ١٩٩١م .
(١٧) وقار عظيم : نيا افسانة ص ٨٢ على كره ١٩٧٧م .
(١٨) مقدمته لحكايات من كشمير ، نقلا عن د. عظيم الشأن صديقى فى كتابه : « افسانوى ادب » تحقيق وتجزيه ، ص ١٣٧ ط ١٩٨٣م .
(١٩) المصدر السابق ص ١٣٨ .
(٢٠) المصدر السابق ص ١٥١ .
(٢١) وقار عظيم : نيا افسانه ص ٨٨ .
(٢٢) اردو بك دائجست (مرتب ستار طاهر) نمبر ٦ عدد خاص بالأديب كرشن تشندر ، ط لاهور ، انظر ص ٢٢٨ .

الطفــل البــرئ

بريم تشند

الطفل البرئ

(١)

يقول الناس إن « جنجو »[1] راهب ، وهو نفسه يظن أيضًا أنه راهب ، وبينما يقوم الخدم فى بيتى بتقديم فروض الطاعة والولاء ، لا يأبه « جنجو » حتى بتقديم التحية لى ، ولعله يتوقع أن أقوم أنا بالركوع عند قدميه وتقديم التحية له ، وهو حتى لا يمد يده لى بكوب الماء الصغير ، كما لم تكن لدى الجرأة على أن أطلب منه أن يحرك « المروحة » أمامى ، يخفف من حرارة الجو ، وحين يبللنى العرق ، ولا يكون هناك من أحد سواه ، يحمل « جنجو » المروحة من تلقاء نفسه ، وملامح وجهة تعلن لى أنه يتفضل علىّ ، ويُحسن إلىّ ، ومن ناحيتى لا أدرى لماذا ألتقط المروحة من يده . .

رجل حاد المزاج ، لا يحتمل كلام أحمد ، قلّ أن يوجد أمثاله ، ويرى أن جلوسه مع من تجمعهم به روابط الصداقة من الخدم والعاملين بالبيت ، تحقير لمكانته ، وتوهين لعزته ، لم أره أبدًا يتصرف مع أحد على سجيته ، كما لم أره يذهب إلى الموالد والأفراح والمهرجانات ، والأكثر عجبًا أنه ليس لديه رغبة فى استعمال « القات » وماشابه ذلك من منشيات ومسكرات تروج بصفة خاصة بين أهل

(١) تنطق الجيم هنا مثل نطق الجيم القاهرية .

طبقته .. وهو لا يؤدى طقوس العبادة أبـدًا ، كما أنه بعيد عما ابتُلى به الآخرون ، من الإكثار من الاستحمام فى النهر (المقدس) ، وهو رجل لا يعرف الألف من « كوز الذرة » ، ومع هذا فهو « راهب » ، ويريد من الدنيا كلها أن تحترمه وتقدره ، بل وتقدم له كل الخدمات ، ولِمَ لا ؟ فـهو يـظن أن الناس لا يزالون حـتى اليوم يسـتـولون على ممتلكاته التى تركـها الأجداد ، ويديرونهـا بطريقة يبدو مـنها أنهم هم الذين امتلكوها بجهدهم وعـرقهم ، فلماذا يتنازل هو عن هذه المكانة التى أوجدها له أجداده ؟! فهذا هو كل ميراثه منهم ..

كان مـن طبعى الا أكـثر الكلام مع خـدمى ، لـم أكن أرغب أن يأتينى أحدهم مالم أستدعيه بنفسى ، لـم أكن أرى من اللائق أن أنادى على أحدهم لمجرد شىء بسيـط ، وهكذا كنت أصب بنفسى المـاء فى « القلة » ، وأضئ بنفسى المصباح ، وأضع الحذاء فى قدمى ، وكنت حتى أخرج ما أحتاج من كـتب من الخزانة ، وأشعر أن فى هذا راحة لى أكثر مما لوناديت على هذا أو ذاك من الخدم ، فقد كان فى تصرفى هذا شعور بالحرية ، والاعـتماد على النفس ، وهكذا قلّ أن يأتى إلى خادم .. ولهذا حين جاء « جنجو » ووجدته واقفًا أمامى فى الصباح الباكر ، ساورنى شعور بالامتعاض ، فحين يأتى هؤلاء يكون مجيئهم ، إما لطلب جـزء من راتبهم مقـدمًا ، وإما للشكوى من خـادم آخر ، وكلا الأمـرين كريهان جـدا على نفسى ، فأنا أعطى كل خـادم راتبه كـاملا دون نقص مع بدايـة كل شهـر ، لهـذا أغضب إذا مـا طلب أحدهم شيـئا أثناء الشهر ، فمن الذى يمـضى يوزع هنا روبيتين وهنا أربع روبيات .. ثم إذا كان أحـدهـم قد تسلم راتبه كاملا عن خـدمته

فبأى حق ينفقه فى خمس عشرة يوما ، ثم يتحولّ إلى الاقتراض أو طلب راتبه مقدمًا . . كما أننى أمقت تماما تقديم شكوى ضد أحد ، وأعتبر الشكوى دليلا على الضعف ، أو محاولةً للتملق ، أو محاولة خبيثة لطلب المساعدة .

قطّبت جبينى وقلت : ماالأمر ؟. أنا لم أستدعك هنا .

لاحظت على وجه « جنجو » الحاد الصارم علامات تدل على اللجاجة . . والالتجاء . . وإخفاء بعض الأمور جعلنى أتعجب ، شعرت بأنه يرغب فى الرد على سؤالى ، لكن الألفاظ لم تجد طريقها إليه ؛ فقلت له بلهجة فيها قليل من الشدة : « إيه . . ما الأمر . . ؟ لماذا لا تتكلم ؟ أنت تعرف أن هذا وقت خروجى للنزهة ، وقد تأخرت » .

فقال « جنجو » بلهجة يائسة : « أنت ذاهب للنزهة ، إذن سوف أعود ثانية فيما بعد » .

فزادنى ردّه قلقًا على قلق ، فتسامحه هذا جعله يسمعنى قصته فى دقيقة ، فهو يعرف أن وقتى ضيق ، وفى المرة الثانية سيظل هذا التعيس يبكى لساعات . . لعله يظن بأن عملى هو مجرد الكتابة والقراءة ، وحين أكون غارقًا فى التفكير والتأمل يظن أننى فى وقت الراحة ، وفى ذلك الوقت بالذات يأتى إلىّ فيركب رأسى . .

قلت له مؤنبًا : « أجئت تطلب مقدمًا من راتبك . . أنا لا أعطى أى روبية مقدمًا . . » .

– سيدى . . لم يحدث أن طلبت منك أى شىء من راتبى قبل بداية الشهر . .

- ماذا إذن . . هل تريد أن تشكو أحداً ؟ أنا أكره مثل هذا الأمر .
- لا يا سيدى ، أنا لم يحدث أن شكوت من أحد قط . .
- فلماذا إذن ركبت رأسى هكذا ؟

تماسك « جنجو » وسيطر على نفسه ، وبدا من ملامح وجهه أنه يستجمع قواه لقفزة عالية . .

ثم قال :

- أريد أن تعفينى من الخدمة ، أنا لا أستطيع أن أعمل عندك بعد اليوم . . كان هذا أول رجاء منه تسمعه أذناى ، لقد أصابنى فى كبريائى ، أنا الذى أعتبر نفسى نصير الإنسانية وحاميها ، لم يحدث أن عنّفت أحداً من خدمى ، أو حتى كلمتهم بصوت عالٍ ، وأحاول دائما - بقدر الإمكان - أن أضع كبريائى فى جرابها . . فلماذا لاتصيبنى الحيرة من مثل هذا الطلب . . فسألته بلهجة متماسكة :

- لماذا . . مم تشكو ؟

- ياسيدى لا يوجد من هو بمثل طيبتك فى هذه الدنيا ، لكن ماحدث هو أننى لاأستطيع أن أبقى هنا ، ولا يوجد أى سبب وراء هذا الأمر ، لو حدث شيء ، فسوف تسوء سمعتك ، أنا لا أريد هذا . . لا أريد أن يؤثر وجودى هنا على سمعتك ومكانتك وعلى عزتك وشرفك .

بدأ القلق يساورنى ، وزادت لهفتى لمعرفة حقيقة مايرمى إليه ، فتلاشت رغبتى فى الخروج للتنزه ، وألقيت بنفسى على الكرسى الموجود فى الشرفة وقلت له :

- إنـــك تقــدم لى ألغازاً وأحــاجى ، لماذا لا تتكلم بوضوح . . ما الأمر ؟

فتحول « جنجو » إلى صورة مجسمة من الاعتذار وهو يقول :

- الأمــر ياسـيدى . . أن المرأة التى مــن (معــبـد بدهوا) تلك المسماة (كهومتى ديو) .

ثم صمت ؛ فقلت له وقد نفذ صبرى :

- نعـم طُـــرِدَتْ مـن المعــبـد ، ثــم مــاذا ؟ مـا عــلاقــة هذا بعملك هنا ؟ .

- أنا أرغب فى الزواج منها ياسيدى . .

بدأت أحملق فى وجهه ، هذا الراهب الغبى الذى يعيش بأفكاره فى أغــوار الماضى السحـيق ، والذى لم تلفــحه نــسمــة من نسمــات الحضارة الحديثة ، سيــتزوج من هذه المرأة التى لا يسمح لها أى إنسان كائن من كان بأن تضع قدميها فى بيته ، لقد أوجدت (كهومتى) منذ أن سكنت فى حيّنا حركة ما ، أقلقت هدوء هذا الحى وسكونه ، قبل عدة سنوات كانت قــد أُدخلت « معبد بدهوا » وتولّى الــقائمون على المعبــد تزويجهــا ثلاث مرات ، لكنها فى كل مــرة كانت تهــرب بعد أسبــوعيــن أو ثلاثة أسابيع ، حــتى إن سكرتير المعــبد قــام هذه المرة بطردها من المعبد ، فاستأجـرت كوخًا فى هذا الحى ، وسكنت فيه ، وصارت محط اهتمام جمــيع الأوغاد فى الحى ، شعرت بالغضب من سذاجة « جنجو » وبلاهته ، كما شــعرت أيضًا بالعطف عليه ، فهذا الغبى لم يجــد فى الدنيا غــير هذه المرأة ليتــزوجهــا ، لقد هربت من

أزواجها ثلاث مرات ، فكم يومًا ستبـقى معه ، لو كان إنسانًا يحسن السيطرة على الأمور ، لاختلف الأمر ، فلعلها تبقى معه نصف عام : هذا إنسان أعمى البصر ، وربما بقيت معه أسبوعًا على الأكثر ، سألته بلهجة ممزوجة بالتأنيب :

- هل تدرى أحوال هذه المرأة ؟

فرد « جنجو » بثقة كاملة مؤكدًا مايقول :

- كله كذب - ياسـيدى - لقـد أساء الناس إلى سُـمعتـها دون وجـه حق .

- ما معنى هذا ؟ ألم تهرب ثلاث مرات من أزواجها ؟

- هـم طردوها ياسيدى فماذا تفعل ؟

- يا لحمـاقتك !! أيأتى هؤلاء النـاس من مناطق بعيـدة جدًا ، فيتـزوجونها ، وينفقون على الزواج آلاف الروبيـات ، حتى يطردونها بعد أيام معدودة ؟

فقال « جنجو » بحماس شاعرى :

- حيث لا توجد محبة - ياسيدى - لايمكن أن تبقى المرأة . . . أى أمراة كـانت ، فالمرأة لا تريد مـجرد الطعـام والملابس ، هى تريد أيضا قليلاً من الحب ، وقد يفهم هؤلاء الناس أنهم بزواجهم من امرأة من داخل المعبد يقدمون لها إحسانًا كبيرا . بالنسبة لى . . أنا افكر أن يجتـمع القلب والروح معًا ، الآخـرون يفكرون فى أنفسـهم قبل أن يفكروا فى المرأة . . هذا بالإضافة إلى أن بها مرض - راكـبها عفريت

ياسيدى - فهى أحيانًا تصاب بالصمت مدة طويلة ، وتفقد القدرة على النطق ثم تغيب عن الوعى .

- « وأنت تتزوج من مثل هذه المرأة ؟ » ثم قلت له بلهجة ممزوجة بالشك : « افهم واعقل ستصبح الحياة مريرة » .

فقال « جنجو » وكأنه مقبل على الاستشهاد فى سبيل مبدأ ما :

- هذا ما أفهمه ، سوف تكون لى حياتى وبعدها يكون ، كل شىء بيد الإله .

فقلت له مؤكداً :

- هل قررت الأمر ؟

- نعم ياسيدى .

- إذن أنا أقبل استقالتك !

أنا لست عبدا لعادات لا معنى لها ، أو تقاليد مهملة ، لكن مثل هذا الذى يريد أن يتزوج من بَغِىٍّ . . ولم يأل جهدا فى التفكير فيما سيحدث حين يكون معها هنا فى يوم ما ستحدث فضيحة بلاشك ، وستتولد متاعب كثيرة ، وستأتى الشرطة للتحقيق ، وربما عقدت محاكمات ، ولا عجب فقد تحدث سرقات ، وعروسه مثلها مثل أى إنسان ترى اللقمة فتزحف إليها ، والخبز جاف لا طعم له ، لكن « جنجو » لا يهتم بأى شىء ، كان من المستحيل عليه تشغيل عقله السليم ، ولهذا اعتبرت فصله من الخدمة راحة لى وغنيمة كبرى .

(٢)

مرت شهور خمسة ، كـان « جنجو » قد تزوج من « كهومتى » وأقـام فى أحد البيـوت الطينيـة فى هذا الحى ، يقـيم أوده على بيع الطرشى « أى المخلل » فوق منضدة على قارعة الطريق ، وكنت كلما قابلته أحيانًا فى السوق أسأله عن أحـواله ، فقد شدّنى اهتمام خاص بمعرفـة أحواله ؛ إذ كان هذا اختـيار لإحدى القضـايا الاجتماعـية : لاليس الاجتـماعية فـقط بل النفسيـة أيضا ، كنت أرغب فى أن أرى كيف سـتكون نهايته ، كنت أرى « جنجو » دائمـا سعيدا مـسرورا ، ويبدو هذا من الراحة البادية على وجهة ، فهو فى فراغ من كل شىء ، لا يفكر فى أى شىء ، كنت أراه هنا فى السـوق على عكس مـا كان عليه فى بيتى ، كـان يكسب روبية وعشرين آنه يوميـا ، يبقى له منها بعد استكمـال نفقاته عشر آنات أو مـا يقرب من ذلك ، كان هذا هو راتبه ، لكن كان فيه بركة خاصة من نوعها ؛ لأن مثل هذه الطبقة من الناس ممن لا يملكون شيـئا ويبدون بلاحميّـة ولاغيرة ، هؤلاء الناس ترى على وجوهم ملامح السرور والراحة والشعـور بالاستقلال نتيجة هدوء القلب واطمئنان البال .

ذات يوم سمعت أن « كهومتى » هربت من بيت « جنجو » .

لا أدرى !. لمـاذا سرّنى هـذا الخبر بشكل خاص ، كنت أغبط « جنجو » بل أحسـده بشكل أو بآخر على ماهو فيه من حـياة الهدوء والاطمئنان ، كنت أنتظر أن تقع له حادثة مخـجلة أو يطرأ عليه تغيير

فيصاب بالحزن ، فعلى كل حال عليه أن يدفع « غرامة » تساهله الفكرى هذا . . . لنرى الآن بأى وجه يقابلنى ؟! سوف تنفتح عيناه الآن ، وسوف يعلم أن من حاولوا منعه من إتمام هذا الزواج كانت نواياهم حسنة .

فى تلك الأيام بدا وكأن " سيادته " وجد شيئا نادراً ، وكأن باب النجاة انفتح له ، كم حاول الناس إفهامه ! كم قالوا له إن هذه المرأة لا يمكن الاعتماد عليها ؛ فهى ليست موضع ثقة ! كم من الرجال خدعوا بها ! وسوف تخدعك أنت أيضًا ! لكن كل هذا لم يترك أثرا يذكر فيه ، فعليه الآن أن يتحمل نتيجة عناده الأبله ، سأسأله الآن عن أحواله ، وعن صحته ، سأقول له : ماذا ياهراجا ؟! ها قد ضاعت المهرة ، وها أنت مثلك مثل ملك الشطرنج الذى يلعب وحده بدون مهرته ، فصار محكومًا عليه بالموت ، فهل أنت مسرور باللعبة ؟ كنت تقول بأنها هكذا وهكذا ، وأن الناس يتهمونها زوراً وبهتانًا ، أخبرنى الآن من كان على صواب ؟ ومن كان على خطأ ؟ الآن فهمت لماذا يتجنب أصحاب المبادئ الشريفة بائعات الحسن ؟!!

فى ذلك اليوم قابلت « جنجو » فى السوق مصادفة ، كان ذاهلاً حائراً ، كان تائها تمامًا كإنسان ضائع فى متاهة ، اغرورقت عيناه بالدموع حين رآنى ، لم يكن ذلك ندمًا بل كان بسبب الألم الذى أصابه ، قدم إلىّ وقال :

- سيدى ! لقد خدعتنى كهومتى . .

فقلت له وأنا أشعر بالسرور من داخلى رغم إظهارى علامات التعاطف معه :

- لقـد قلت لك من البداية ، لـكنك لم تسمع كـلامى ، الآن ماعليك إلا الصـبر ، ليس أمامك من وسيلة غـيره ، هل أنهت على أموالك كلها أم تركت لك شيئًا ؟!

فوضع « جنجو » يده على صدره وكأن سؤالى هذا فتٌّ فى كبده :

- ياسيـدى لاتقل هذا ، إنها لم تأخـذ بل لم تلمس ولا نصف بيسة ، لقد تركت مالهـا أيضا ، لا أدرى أى عيب وجدته فىّ ؟! لم أكن مناسبًا أو لائقًا لها ، وإلا ماذا عـساى أقول ؟! هى مثقفة ، وأنا جاهل أحمق ، مثلى مثل الجاموسة ، بقيت مـعى أياما أحسبها كافية بل أكثر من كـافية ، لوبقيت مـعها عدة أيام أخـر ، فربما تحولت إلى إنسان ماذا أقول لك عنها ؟! كانت بالنسـبة لى رحمة ملائكية ، ماذا ياترى حـدث منى ؟ أى خطأ صـدر عنى . . ؟ كـانت دائمـا تشعـر بمرض شبيه بالحيض المتواتر يجعلها تُذهل . . سيدى كان كل ماأكسبه عشـرة آنآت أو أكـثر ، لكن كـانت فى يدها بركة ، فلم يـحدث أن شكت أو تضجرت ، ولم ألحظ على وجههـا ولو مرة واحدة علامات الضيق . أصابتنى كلماته تلـك باليأس فقد حسبته سـيتكلم عن قصة خيانتـها له ، فأقوم بدورى بتقديم عـبارات العطف والعزاء له ، لكن عيون هذا الأحمق لم تتفتـح حتى الآن ، فلا يزال يردد اسمها ويردد قوله عنها : لابد أن هناك خللاً فى عقلها .

فبدأت بدورى أتهكم وأسخر منه بشماتة :

- إنها لم تأخذ شيئا من بيتك ؟

- لا شيء أبداً ياسيدى ، لم تأخذ بيسة واحدة .

- وكانت تحبك أيضًا ؟!

- ماذا أقول الآن ياسيدى ، لقد ظلت تذكر حبها لى حتى آخر لحظة .

- ومع هذا تركتك وهربت ؟!

- هذا هو العجب نفسه ياسيدى .

- هل سمعت مرة عما يطلقون عليه « شباك الأنثى » أو « خيانة الأنثى » ؟!

- لا ياسيدى - لا تقل هكذا ، ضع السكين على رقبتى ؛ فأنا يمكن أن أكون ضحية لها !!

- إذن اذهب . . ابحث عنها .

- نعم ، طالما بحثت عنها ولم أجدها ،لن يهدأ لى بال ، ولن يقر لى قرار . . إننى أعرف الآن أين هى ، وسوف أذهب لإحضارها . . إن قلبى يخبرنى بأنها ستأتى - ضرورى . . سوف ترى ياسيدى ، فهى لم تغضب منى ، لكن قلبى لايطاوعنى ، سأذهب للبحث عنها شهراً أو أكثر وسط الغابات ، فوق الجبال ، فإن كانت على قيد الحياة سأجدها . . سوف ترى . . .

قال هذا ، وانطلق كالمجنون .

(٣)

بعـدها اضطررت للذهاب إلى « نـينى تال » لقـضاء أمـرمـا ، ورجعت بعـد فسحة استمرت شهـراً ، ولم أكد أغير مـلابسى حتى رأيت « جنجو » جاء حـاملا بين ذراعيه طفـلاً حديث الولادة ، كان مســروراً بدرجة تفوق سـرور قيس لو حصل على ليـلاه ، وكان من الملاحظ أن السرور مـلأ قلبه حتى عمّ كل ذرات جـسمه ، فانبـعثت ألحان الشكر والسرور على ملامحه ، وقسمات وجهه ، وفى عينيه ، كان كشحاذ معدم ظهرت عـلامات الشبع على وجهه بعد أن ملأ بطنه بوجبة دسمة ، فسألته :

- ماذا يا مهراجا ؟ هل وجدت أثركـهومتى ؟ ها قد خرجت من صومعتك ؟!

فأجاب « جنجو » بسرور مفرط وفرح شديد :

- نعم ياسيدى وجدتها بفضـل دعائك .. خرجت باحثًا عنها ، وجدتها فى المستشفى النسائى فى لـكهنو ، أخبرتنى إحدى صديقاتها بأنها قلقـة مضطربة ، وعند سماعـى هذا ذهبت إلى لكهنو ، وجئت بها وجئت أيضًا بهذا الطفل ..

حمـل الطفل القابع بين أحـضانه ، ودفـعه إلىّ كـلاعب يرينى ميدالية فوزه وتفوقه .

وبلغت حيرتى منتهاها ، فلم يمض على زواجه غير ستة أشهر ، ومع هذا يرينى هذا الطفل دون أى حياء ودون خجل ؛ فسألته بلهجة كلها سخرية .

- أوجدت هذا الطفـل أيضا ؟! لعل هذا هو سبـب هروبها إلى هناك ، أليس هذا طفلك ؟ .

- سـيـدى : طفـلى . . طفـلك أنت . . . طفـل الإله . . فقاطعته :

- ولد فى لكهنو . . هيه ؟!

نعم ياسيدى ، مضى على مولده شهر .

- كم يوما مضت على زواجك ؟ . .

- هذا هو الشهر السابع ياسيدى .

- ولد فى الشهر السادس لزواجكما ؟!

- بالطبع ياسيدى . .

- ومع هذا فهو ابنك ؟!

- نعم !

- أى كلام أخرق هذا الذى تقول ؟!

لأرى هل كان يفهم قصدى ، فقال بأسلوب ساذج :

- الطفل قد يموت فى البيت ياسيدى ، ثم تنبعث فيه الحياة ثانية خلال ثلاث أو أربع ليال[1] ولا أحد يسأل عن السبب !!

فقلت متهكمًا ساخراً :

- لكنى لم أسمع حتى اليوم عن طفل ابن ستة أشهر !!

كان لهـذه العبارة وما حـملته من كناية أثرها ، فـتبسم ابتسـامة ممزوجة بالاعتذار قائلا :

---

(١) يشير إلى عقيدة التناسخ عند الهندوس .

- أنا ياسيدى لم أفكر حتى فى هذا الأمر ، لقد هربت « كهومتى» حتى تحفظ ماء وجهها ، لقد قلت لها : « كهومتى » إذا لم يكن فى قلبك شعور نحوى ، فاتركينى ، سوف أذهب فى الحال ، ولن ترين وجهى مرة ثانية ، وإذا ما احتجت شيئا يمكنك أن تكتبى لى ، ولاشك أننى سأساعدك ، فأنا لست غاضباً منك ، فأنت في قلبى الآن ، كما كنت قبلا ، ولا زلت أحبك ، لا بل أحبك الآن أكثر ، لكن إذا كان قلبك لا يزال إلىّ فتعالى معى . . أنا لم أتزوجك لأنك ملاك ، تزوجتك لأننى أحببتك ، وكنت أعتقد أنك تبادلينى الحب أيضا ، هذا الطفل طفلى ، طفلى أنا ، لقد أخذت حقلاً فيه غرس ، فهل أترك ثمار هذا الغرس ، لا لشىء إلا لأن الآخرين قاموا بزراعته . . .

أكمل « جنجو » عباراته وانفجر ضاحكًا .

ونسيت أن أغير ملابسى ، لا يمكن أن أقول لماذا امتلأت عيناى بالدموع ، لا أدرى أى قوة تلك التى جعلتنى - رغم الكراهية الشديدة الكامنة فى قلبى - أمد يدى وأحمل هذا الطفل البرئ ، أضمه إلى صدرى ، أقبله بحب ، لم أشعر به من قبل حتى تجاه أطفالى .

قال : « جنجو » سيدى أنت رجل شريف وكريم جداً ، لا أدرى كيف ستمدحك « كهومتى » وتشكرك على مشاعرك هذه ، طلبت منها أن تأتى إليك لتشرف بزيارتك ، لكنها لم تأت لشعورها بالخجل . .

انقشعت اليوم ستارة إحساسى بأنى رجل شريف ، ستارة إحساسى بعزتى ، فقلت بلهجة مغرقة فى الاحترام :

- لا يا عزيزى لا . . لماذا تأتى هى إلى أمثالى من أصحاب القلوب السوداء ؟! هيا لأذهب أنا لأشرف بزيارتها، إنك تظننى رجلاً شريفا ، أنا فى الظاهر إنسان شريف ، لكى قلبى من الداخل ملطخ بالسواد ، فأساس الشرف والمروءة كامن بداخلك أنت ، وهذا الطفل البرئ وردة بدا منها نور مروءتك وشرفك ، وانطلقت مع « جنجو » وأنا أحتضن الطفل البرئ إلى صدرى .

الأم والنصيب

بريم تشند

الأمُّ والنَّصيب

(١)

مات « پندت[1] أجودهيـاناته » ، فقال الجمـيع : هكذا اختطف الموت رجلاً عـاش دومًا فى طاعة الإله بعـد أن خلّف وراءه أربعة من الشـباب تـخليدًا لذكـراه كـما خـلّف وراءه أيضا فـتـاة ، وممتلكات لاحصرلها : بيت شـيد بطريقة طيبة ، وحديقـة ، ومجوهرات بعلد آلاف مع عشـرين ألف روبية نقـدًا ، لا بد أن أرملته « بهـول متى » أصيبت بصدمة ، وظلت لعدة أيام فى حالة يُرثى لها ، إلا أن عزاءها وسلواها كانا فى أولادها الأربعة الذين يتحركون أمامها طوال اليوم .

كان الأبناء الأربعة جميعـهم فى سعادة وهناء ، وكانت زوجاتهم مطيعات مـخلصات ، تقوم كل واحدة منهن بالتـوالى ، إذا مارقدت حـمـاتها على السـرير، بتدلـيك رجليهـا . . وتنهض « بهول مـتى » وتستـحم ، فتـقوم زوجـات أبنائها بغـسـل السارى والملابس الخـاصة بحماتهن . . كـان البيت كلـه يتحرك بإشـارة منها . . كان ابنها الأكبر « كامتاناته » موظفـا فى مكتب ، ينال راتبـا طيبًـا ، بينما الابن الثانى « أماناته » نجح من توه فى الحصـول على شهادة الطب ، وراح يفكر فى فتح عيادة لعـلاج المـرضـى ، أما الثالث ، « ديـاناته » فرسب فى

(١) پندت (بالباء المثلثة) تعنى : العالم الهندوسى ، وهو لقب يطلق على الهنادكة الكشمـريين . .

امتحان « الليسانس » وتفرغ لكتابة بعض المقالات فى الصحف ، ليكسب ماينفق به على نفسه ، كان « سيتاناته » الابن الأصغر هو أذكى الابناء الأربعة ، نجح هذا العام فى امتحان « الليسانس » بامتياز، ويُعدُّ الآن للالتحاق بالدراسة للحصول على الماجستير. . لم يكن من بينهم جميعا من يوصف بالإهمال واللامبالاة ، لم يكن من بينهم جميعا من ينفق أمواله هباءً . أو من يضيع وقته دون نفع أو فائدة ، أو يرتكب مامن شأنه أن يقلق الوالدين من أمور معروفة ، أو يسيىء إلى سمعه الأسرة بين الناس . كانت الأرملة العجوز هى ربة البيت بمعنى الكلمة ؛ أى الحاكمة المسيطرة فى كل أموره ، ومع أن مفاتيح كل شىء كانت فى يد زوجة الابن الأكبر التى كانت تتضايق كثيرا من سيطرة بهول متى، وهى سيطرة زاد من حدتها شعور الأرملة بهول متى بالشيخوخة، لكن أحداً من أبنائها لم يكن حتى ليطلب طعام الإفطار دون إذن أمه العجوز .

كان الوقت مساءً حين مات «بندت أجودهياناته» واليوم مر اثنا عشر يوما على موته ، وغداً هو اليوم الثالث عشر ، وستقام مراسم الضيافة الخاصة بتقبل العزاء، وسيدعى أفراد العائلة والأقارب ، ويحتاج الأمر إلى استعدادات كثيرة . . كانت بهول متى تجلس فى حجرتها تنتظر معاينة كل شىء : ترى هل أحضر الحمّالون أجولة الدقيق ؟! هل وصلت علب السمن ؟ وهل وصلت أقفاص الخضروات وأجولة السكر ؟ وجرار اللبن الزبادى ؟ وتتأكد هل أحضروا الصدقات والهبات الخاصة بالراهب البرهمنى الذى سيُشرف على إقامة طقوس العزاء ! ثم تعاين الأوعية ، والأرائك والأسرّة

والبياضات والمفارش والملابس وغيرها . . لكن شيئا من كل هذا لم يُعرض على بهول متى . . كان من المفروض - حسب القاعدة - أن يُؤتى بكل هذه الأشياء إليها فترى كل شيء ، فتوافق عليه . . وتحدد مقدار كل شيء . . تزيد فيه أو تنقص منه ، وبعدها توضع هذه الأشياء فى « دار الضيافة » حيث يقدم الطعام عادة لمن يطلبه . . .

لكن جميع من بالبيت رأوا أنه لا ضرورة لعرض كل شئ عليها . . وراحوا يفكرون : لماذا لا نأتى بثلاثة أجولة من الدقيق الفاخر ، لقد طلبت منا أن نأتى بخمسة أجولة ، وفيما يتعلق بالسمن أحضروا خمس علب ، وكانت قد طلبت عشر علب من السمن ، ولعلهم أنقصوا أيضا كمية الخضار والزبادى وغير ذلك . .

من ياترُى تجرأ وتدخّل فى أمرها هذا ، بينما لم يكن لأحد الحق فى أن يتفوه بكلمة ، إذا ما قررت هى شيئا ما ، فكيف له أن ينقص أو يزيد فيما قررت هى ، لقد ظلت « بهول متى » هى الحاكمة بأمرها فى كل صغيرة وكبيرة من شئون هذا البيت ، لأربعين سنة مضت . . إذا قالت مائة روبية . . تم صرف مائة ، إذا قالت روبية واحدة ، صُرفت روبية واحدة ، لم يناقشها أحد أو ينتقدها فيما ترى ، لدرجة أن « بندت أجودهياناته » - زوجها - كان قد ترك لها جميع الأمور ، تُصرفها حسب هواها ورغبتها . .

لكن كل شىء يمضى اليوم ، وأمام عينيها على غير هواها . . فكيف يمكن أن تتحمل هذا الأمر ؟!

بقيت لفترة بسيطة متحاملة متماسكة ، لكن تماسكها هذا لم

يستمر حتى النهـاية ؛ فغريزة الإشراف على الأمــور صــارت جـزءاً لا يتجزأ من طبيـعتها . . وهكذا جاءت من غرفتـها وكلها غضب ، ووجهت حديثها إلى « كامتاناته » :

- لقد أحـضرتم ثلاثة أجولة من الدقـيق ، بينما طلبت خمـسة أجولة . . والسمن ! لماذا خمس علب ؟ لعلك تتذكر أننى قلت عشر علب من السمن ! أنا لا أقـول بأن الاقتصاد أمـر سيئ ، لكن الرجل الذى حفـر هذا البئر . . أليس من حقـه أن ترتوى روحه بالماء ؟! أى خجلٍ هذا ؟! .

لم يعتـذر " كامـتاناته " عن ذنبـه هذا ، ولم يظهـر إحسـاسه بالندم ، ولم يسرع فورا بإصلاح الخطأ ، وقف أمامها لحظات بطريقة فيها نوع من إعلان العصيان ثم قال :

- لقد رأينا أنه من الصالح إحضار ثلاثة أجولة ، كما أن خمس علب من السـمن تكفى لثلاثة أجـولة دقيق ، وعلى هذا الحـساب تم إنقاص الكميات الأخرى . .

فاحتدت بهول متى وقالت :

- من ذا الذى رأى إنقاص كمية الدقيق ؟

- كان هذا رأينا جميعا .

- هذا يعنى أنه لا اعتبار لرأى أنا ؟!

- هناك اعتبار لرأيك . . لمـاذا لا ؟ لكننا نفكر فى مصلحتنا فى خسارتنا ومنفعتنا .

فذعـرت " بهول متى " ، وراحت تفكر وهى مشـدوهة بعد أن انحبـست الكلمات داخل فمهـا . . لم تستطع أن تفهم مـعنى الجملة السابقة . . معنى : خسارتنا ، منفعتنا . . ما هذا البلاء ؟ متى كان له وجود . . ؟ نفعها ، خسارتها . . كـان هذا من مسئوليتها هى ، لماذا يفكر الآخرون فى أمرها ؟ حتى لو كان هؤلاء هم أبناؤها الذين ولدوا من بطنها . . أى حق يسمح لهم بالتدخل فى مثل هذا القرار ؟! هذا " الغلام " يرد علىّ هكذا كمـا لو كان البيت بيته ، لقـد أحضر كل شىء بنفـسه دون استـشارتى ، وكـأننى هنا أجنبيـة غـريبـة عـن هذا البيت ، ياله من عناد وتصلب . . . قالت بلهجة آمرة :

- أنت لست المسئـول عن خسارتى ومنفـعتى . . أنا التى أملك السلطة الكاملة لأفعل مـا أراه مناسبًا . . اذهب الآن وأحضـر جوالين آخرين من الدقيق ، وخـمس علب من السمن ، وحذار مستـقبلاً أن يكسّر أحدٌ كلامى . .

ولم تر ضرورة للزيادة فى التنبـيه أو لتأكيد مـا قالته . . ولم تر ضرورة للـوقـوف حيث كـانت ، فاتجـهت إلى حجـرتها ، بينمـاظل " كامتاناته " واقفًا حـيث كان ، وبدت على وجهه ملامح تدل على أنه سوف يتلمس الأعذار لعدم إطاعة أمرها . . وجلست " بهول متى " فى حجرتهـا مطمئنة ، فلم تكن لأحد جرأة على عصـيان أوامرها ، ولم يرد على بالها أبدًا أن يجرؤ أحـد على عصيانها ، إلا أن الحـقيقة وضحت أمام عينيها بالتدريج ، وعرفت أنه لم يعد لها فى هذا البيت تلك المكانة التى كانت تتمتع بها منذ عشرة أو ثلاثة عشر يوما مضت . .

بدأ الأقارب يأتون لهم بالسمن والسكر وغيرها من المؤن ، فراحت زوجة الابن الأكبر تستلم هذه الأشياء وتضعها بطريقة خاصة ، وتمرق زوجات الأبناء الثلاثة الأخريات إلى " المضيفة " لمعاينة الأمور . . ولا يهتم أحد حتى بالسؤال عن " بهول متى " وحتى إذا أراد أحد أفراد العائلة الاستفسار عن شىء ، سأل " كامتاناته " أو زوجته ، وصار " كامتاناته " كأنه المدير المسؤول عن البيت . . يجلس طوال يومه يضع " القات " المخدر ، أما زوجته ، وهى أكبر زوجات الأبناء فى البيت فهى امرأة قذرة مهملة ، لا تتكلم إلا بما يخجل ويصيب الأسرة جميعا بالعار ، فهناك فى كل وقت شىء ناقص . . فتندفع هنا أو هناك تدور تبحث عنه . . فمثل هذه الأعمال التى تود القيام بها تحتاج إلى تجربة وخبرة ، هناك دائما شىء موجود زائد عن الحاجة ، وهناك دائما شىء ناقص ، فتلقى باللوم على الآخرين ؟ ماذا أصابهم جميعا ؟ لا أحد يدرى !! .

راحت " بهول متى " تحدث نفسها :

- لماذا تفتح زوجة ابنها الأكبر الخزانة ؟! من ذا الذى يجرؤ على فتح الخزانة دون إذن ؟! المفتاح بلاشك معها ، لكن طالما لا نحتاج نقودا لا يمكن فتح هذا الصندوق . . لكن اليوم تفتحه ، وكأنها الكل فى الكل ، وأنا لست بشىء هنا . .

وهكذا انطلقت ناحية زوجة الابن الأكبر وخاطبتها بلهجة حادة :

- لماذا تفتحين الخزانة ؟ أنا لم أطلب منك فتحها !!

فردت زوجة الابن الأكبر بلهجة جسورة :

- جاءت البضائع ، ألا أدفع ثمنها ؟

- أى شىء جاء ؟ وبأى ثمن ؟ وكم مقـدار تلك البضـائع ؟ أنا لا أدرى وطالما لم يُقِدّمُوا الحساب فكيف يدفع الثمن ؟

- تم الحساب وانتهى كل شىء .

- من قام بعمل الحساب ؟

- لا أدرى اذهبى واسألى أولادك .

وعادت بـهول مـتى ،وجلست فى غرفـتهـا ، فلم يكن الوقت مناسبا للشجار ؛ إذ البيت يعج بالـضيوف ، ولو قامت بتأنيب أبنائها فى ذلك الوقت ، فسيقول الناس إن عفريتًا سكن بيت " پندت " بعد موته ، وأنه شـرب دماءه وبقى فى البـيت ، ورأت أنه حين يسـتأذن الضيـوف ويرحلون ، فسـوف تقوم بتـعليمـهم الأدب . . وترى بماذا وكيف سيرد عليها الأولاد . .

فى تلك الفترة ، راحت تشـاهد بعيون ناقدة فاحصـة ما يقوم به العمال والخـدم من أعمال غيـر منظمة ، وأمور تافهـة لا معنى لها ، وأخطاء فادحة فى أداء الواجبات . .

بدأت الدعوة فى السـاعة الثانية عـشرة ، وقد دُعى جمـيع أفراد العائلة لتناول الطعام مـعًا فى وقت واحد ، وكانت بهول مـتى واقفة تتفـرج ، كان من الممكن أن يجلس مئـتان وخمسـون ضيفًا بصـعوبة شديدة فى صحن البيت . . كيف يمكن لجـميع أفراد العائلة بأكملها والأقارب الجلوس فى صحن البـيت إذن . . ماذا لو جلس الناس فى

صفين ؟ ولو حدث هذا لانتهى الأمر فى الساعة الرابعة بدلا من الثانية . . لكن الجميع هنا يفكرون فى كيفية ترتيب أمر نوم هؤلاء جميعا .

بدأت زوجة الابن الأكبر فى طحن الملح بسرعة ، بينما راحت بهول متى تمط شفتيها غضبًا ، ولم تتمكن فى ذلك الوقت من فتح فمها بكلمة . . انتهى دور طحن الملح ووضعه فى الأطباق كما هو متعارف عليه فى مثل هذه المناسبات ، وفجأة حدث هرج ومرج . . لا يوجد ملح فى « الطبيخ » . . لا يوجد فى البيت ثلج ، جرى أحد الرجال إلى السوق ، كان الوقت متأخرا ليلا ، فكيف يجد الرجال الثلج فى السوق ، عاد خائبا خالى اليدين ، واضطر الضيوف إلى شرب الماء الفاتر من الصنبور ، ولم تتمكن « بهول متى » من السيطرة على نفسها ، كل ما قدرت عليه هو شد أذن أولادها ، فمثل هذه الفوضى لم تحدث أبدًا فى هذا البيت . . والجميع سيلقى باللوم على صاحبة هذا البيت وعلى المشرفة عليه ، كيف لم توجد هناك فرصة لإحضار شىء مهم كالثلج ؟ ماذا سيقول الضيوف فى سرهم عن هذا الأمر . . ؟! نقدم لهم الدعوة للمجيىء هنا ولا يوجد فى البيت ثلج . . حسنًا لماذا هذا الهرج والمرج . . يالـلفاجعة ! لقد وجد أحد الضيوف فأرًا ميتًا فى الشوربة . . ياربنا احفظ علينا شرفنا . . هل هناك حد لهذه الفوضى وهذا الارتباك وقلة الذوق ؟!

نهض جـميع الضـيوف لمغـادرة المكان . . لم يكن أمامـهم من سبيل إلا المغادرة . . تنظر إلى عيونهم فـتقرأ بداخلها مشـاعرهم ، من ذا الذى يرمى بنفـسه فى هذا الـبلاء ويبـقى فتـرة أطول بين هذه الأسرة السيئة ؟!

ظلت « بهول متى » تغلى من داخلها ، وقلبـها يتحرق وقد ملأه الغم والهم فراحت تخبط رأسها فى الحائط ، وتشـد شعر رأسها مرة بعد مرة فـى حالة من الهيجان والجـنون ، فقد فشلت ترتيـبات دعوة تقديم العزاء فى زوجهـا الذى فقدته منذ أيام . . ضاع كل شىء فى التـراب ، وذابت مئـات « الروبيـات » فى المـاء ، وتلطخت سـمعة الأسرة ، وهذا أمر لا يمكن السيطرة عليه . . فقد نهض الضيوف ، وظل الطعام على الـطاولات كما وضع تمامـا ، ووقف الأبناء الأربعة فى صحن البيت يغطى الندم وجـوههم . . يوجه الواحد منهم اللوم إلى الآخر ، بينما زوجة الابن الأكـبر توجه اللوم إلى زوجات الإخوة الصغار ، انفجرت « بهول متى » كشعلة من نار وهى تقول :

- سوّدتم وجوهنا أم لا ؟ ! أم هناك ما هو أدهى وأمر مما حدث ؟

يا للمهانة . . يا للعـار . . لقد ذهب الجميع ، سيشـيع الخبر فى المدينة بأكملها . . بأى وجه ستقابلون أهل المدينة ؟ سيظل صدى هذه الدعوة السيئة المشينة يتردد فى الشوارع لأسابيع ، ويستمر استهزاء الناس بنا وسـخريتـهم لمـا حدث . . ألا تخـجلون ؟ ! ألا تعـرفون معنى الحيـاء ؟! كيف تحفظ الروح عزةً من أضاعـوا شرف العائلة فى الحياة الدنيا ؟!

ظل « كامتـاناته » لفترة واقفًا يسـتمع ثم قال فى النهاية غـاضبًا متضايقا :

- حسنًا . . اتركـى كل هذا يا أماه . . أخطأنا جمـيعًـا ، نقر بهذا ، حدث خطأ فادح لـكن هل تذبحين الناس بسبب هذا الخطأ ، صدرت أخطاء فادحة من الجميع . . ماذا يملك الإنسان غير التأسف على مـا فات ؟! هل تزهق روح أحـد بسـبب هذا الخطأ ؟! كمـا أن الإنسان يتعلم من أخطائه .

قالت زوجة الابن الأكبر :

- هل كنا نعرف أن يصدر عن « كملا » أخت زوجى هذا الخطأ البسيط ، فيسقط الفأر فى الـشوربة ، لقد وضعت الخضار فى الوعاء دون أن تتفحص ما بداخله .

وهنا عنّف « كامتاناته » زوجته قائلا :

- لا ذنب لكملا فى هـذا ، ولا ذنب لك ، ولا ذنب لى ، ما حدث كان مجرد صدفة . . فى مثل هذه الدعوة الكبيرة التى استخدم فيها هذا الكـم الهائل من الخضروات ، لإعداد هذه الكميـة الضخمة من الطعام ، تحدث أشـياء مثل التى حدثت ، فـما دخل العزة هنا ، وما دخل الشرف إنك تضعين - دون داع - الملح على الجراح .

فقاطعته بهول متى :

- ألا تشـعر بالخـجل ، بدأت تعكس الأمور . وتسـوق كلامًـا وقحًا بكل جَسَارة ؛ فرد كامتاناته :

- علام الخجل ؟! هل سرقت أحداً ، لم يُشاهد النمل فى السكر ولا السوس فى الدقيق . . أنظارنا لم تقع عليه . . هذا كل ما حدث وإلا كان من الممكن إخراج الفأر من الشوربة فى صمت وهدوء وبدون أن يدرى أحد بذلك .

فقالت بهول متى وهى تعجب من كفر النعمة هذا :

- هل تُطعم الجميع الفأر فتُفقدهم إيمانهم ؟

فراح « كامتاناته » ينظر إلى أمه نظرة كلها لؤم ثم قال :

- هل تعيدين أحاديث الأيام الماضيات ، لا علاقة لهذا الأمر بالإيمان . . مَنْ بين هؤلاء الناس الذين تركوا المائدة لم يأكل لحم الغنم والماعز ؟!

إن من بين هؤلاء مَنْ أكل لحم الغنم والماعز بالإضافة إلى أمور أخرى . . هل سيصير هؤلاء مذنبين غير طاهرين بسبب هذا الفأر الصغير ؟!

لم يكن لدى « بهول متى » ما ترد به عليه ، فأخذت نفسها وذهبت من أمامه . .

(٢)

مر شـهـران ، كان الوقـت ليلا ، والأخـوة الأربعة يمضغون " القات " ، ويجلسون فى غرفة يتشاورون فيما بينهم ، كانت زوجة الأخ الأكبر تشترك فى هذا المجلس أيضًا . .

اتكأ " كمتاناته " على الوسادة ، وقال :

- أنا لا يمكن أن أشارك فى زواج " كملا " ولا بربع " پيسه " من نصيبى ، فأنا قبل كل شىء لدى أولاد وأسرة .

قال " أماناته " :

- مَنْ هنا لديه فائض من مـاله ؟! نصيب الواحد منا لا يتـعدى خمـسة آلاف روبية ، وأنا بحاجـة على الأقل إلى خمسـة آلاف لفتح عيادة طبية .

فرد " دياناته " :

- أنا أيضـا أفكر فى الصـحـافـة ، أفكر فى إصـدار جـريدة ، فنصيبى خمسة آلاف ، وأحـتاج إلى شريك آخر بخمســة آلاف ، أنا لا أستطيع أن أعطى من نصيبى ولا « پيسه » .

قال كامتاناته :

- لقد وضع الجـد خمسة آلاف روبيـة لجهازها ، فـما ضـرورة ذلك ؟! مـاضرورة أن تـتـزوج من ابن " بندت مـرادى لال "؟ البنت ونصـيبهـا ، تجد راحتـها حـتى فى بيت إنسـان فقـير إذا ما كـانت

محظوظة ، وإذا ما كانت غير محظوظة سوف تظل تندب حظها حتى لو كانت فى بيت أكبر المهراجاوات . . فالأمر كله يرجع إلى النصيب .

قال سيتا وهو خجل :

- ليس من المناسب أن ننقض ماتم الاتفاق عليه ، يمكن أن نطلب منهم قبول ثلاثة آلاف بدلاً من خمسة آلاف ، وهكذا يمكن أن يتم الزواج بخمسة آلاف ، ومن ناحيتى سأقدم نصيبى من أجل هذا الزواج .

أصاب الخجل كامتاناته فقال لأخوته :

- سمعتم كلامه ؟

فردّ أماناته :

- حين يهيم على وجهه ويقاسى عندئذ تنفتح عيناه .

كامتاناته : نعم ستذكر هذا .

أماناته : قد تحصل على منحة من أجل التعليم ، لكن من أين لك بنفقات الملابس والسفر ، وما إلى ذلك ؟ عندئذ . . لمن ستمد يديك ؟

كان لهذا الكلام تأثيره على سيتاناته ؛ فهو إذا حصل على منحة من الحكومة ، فهو رغم كل هذا بحاجة إلى أربعة أو خمسة آلاف لإجراء الاستعدادات اللازمة للالتحاق بالدراسة ، وهو لا يستطيع أن يقدم كل هذه الأفضال العظيمة لأخته كملا ؛ فيفقد بذلك أمله فى تحقيق حلمه فى الحياة ، وهكذا قال :

- نعـــم فى مثــل هــذه الظروف سأكون أيضا فى أمس الحــاجة إلى المال .

فقال كامتاناته :

- هناك مخرج واحــد من هذه الورطة ، وهو أن يتم صرف أقل قدر من المبــلغ على زواج كملا ، فــلا يمكننا أن ننفق أكــثر من ألف روبيــة بأى شكل من الأشكال ، مــا رأيكــم فى " بندت دين ديال " اتركوا أمر الماجستير والليــسانس ، إنه يحصل من عمله كحاجب على خمسين روبية شــهريا على الأقل ، وعمره الآن لا يزيد على الأربعين سنة ، زوجتــه ماتت فى السنة الماضــية ، إننى على يقــين أنه سيــقبل الزواج دون تقديم أموال الجهاز وغير ذلك .

أماناته : نعم بدون جهاز ؛ فهذا هو الزواج الثالث .

كامتاناته : لا تقولوا هــكذا ، فهو إن أراد الزواج اليوم وجد من يدفع جــهازاً بألفــى روبية ، لكن قــضــيتنا الآن مع " مــرارى لال " وكيف نرد عليه ، وبعدها يمكن الاتفاق مع " دين ديال " .

دياناته : يجب علينا أن نسأل أمنا .

كامتاناته : سؤال أمنا لا مــعنى له ، إن عقلها توقف عن العمل تماما ، سوف تردد أقاويل الأزمنة الغابرة !! سوف تعيش تقترض على سمعة " مرارى لال " ؛ إنها لاتدرى أن الزمان لم يعد كما كان قبلا .

أماناته : إنها لن توافــق ، سـوف تبيع مجوهراتهــا وما لديها من ذهب ليتم هذا الزواج . . سوف ترون !!

كمتاناته : نعم .. هذا ممكن .. فالمجوهرات والمصاغ من حقها ، فقد كان مهرها فى الزواج ، وتستطيع أن تفعل به ما تريد .

ديانانه : مهرها نعم لكن هل تتصدق به هكذا ؟ قبل كل شىء هذا من كسب جدنا .

كمتاناته : كسب أى إنسان مهما كان ، فالمهر حق المرأة .

أماناته : كل هذا يهون فى سبيل " المسبحة المقدسة " ؛ فقيمة هذه الأشياء لا تقل عن عشرة آلاف ، لا يجب أن تضيع هذه الأشياء ، لا تذكروا " دين ديال " الآن وإلا انكشف كل شىء ، وإذا وصلت هذه الأشياء إلى يديه ، فأخبرونا ماذا سنفعل ؟

ديانانه : نعم هذا كلام معقول .

كامتاناته : الأشياء التى لنا حق فيها .. يجب أن نحارب من أجلها ، لا يمكن أن نُخدع فيضيع منا حقنا .

ديانانه : إذن تفرقوا الآن .. سوف أذهب إليها سأخبرها أننى كتبت مقالا ، وعلى أثره رفعت الحكومة ضدى قضية ، وأحتاج خمسة آلاف روبية لدفع الكفالة فأعطينى مصاغك حتى أنجو من الحبس ، وعليكم أنتم أن تجيدوا " حَبْكَ الطبخة " .

كمتاناته : لا يا أخى لن أتدخل من قريب أو بعيد فى هذه الخطة .

سيتاناته : أما أنا فاقبلوا من الآن اعتذارى .

أماناته : اترك هؤلاء ، ولندبر نحن الأمر ونخطط له ، هؤلاء دراويش لا شأن لهم بالحياة ؛ فهذا موظف وسيتاناته لديه منحة والمحتاج أنا وأنت .

قالت زوجة الابن الأكبر :

- الوظيفة .. خمسون روبية ياحسرة .. ماذا عن الأيام القادمة ؟! هذا لن يكفى مستقبلا لشراء خاتم من " الذهب القشرة " فليتدروشوا اليوم . . .

دياناته : إذا حصلنا على المصاغ فسوف أعطيك عقدها . .

أماناته : يا أخى فكّر ! زوجة الابن الأكبر حصلت عليه . . . ليس سكر مايأكله النمل . .

دياناته : حسنا . . هذا ما تتفقون عليه ، إذا لم أحصل على شىء من المصاغ فلن ترون وجهى ، لا ضرورة للقول بأن خطة دياناته سوف تنجح ، فإن حنان الأم عادة يكون تجاه الابن الأول ، وهى قد تلين إذا ما رأته فى ورطة أو مصيبة . .

وفعلاحين سمعت " بهول متى " هذه القصة جن جنونها ، وقام أماناته فزاد النار لهيبًا وهو يقول :

- إذا لم نسلم المبلغ حتى الساعة العاشرة صباحًا فسوف يدخل الحجز ، لا يمكن الحصول على النقود من البنك الآن ، فالأمر يحتاج إلى مراسلات قد تأخذ شهوراً حتى يتم الفصل فى قضية الميراث ونحصل على النقود . .

إلى متى يمكن " لبهول متى " أن تتحمل هذا . . ؟! نهضت من فورها ودخلت إلى غرفتها ، أحضرت صندوق مصاغها وأخرجت منه جميع ما تملك وسلمته إلى دياناته ، الذى وضع خنجراً على رقبة أمه . . . وعاد الأخوان - وما أسوأ خلفها - إلى أخويهما اللذين كانا ينتظران فى فرح وسرور .

(٣)

مضى شهران أو ثلاثة أشهر، وبدأ الأخوة الأربعة يواسون الأم، ويحاولون جبر خاطرها بعد أن تصرفوا فى مـصاغها ، راحوا يفهمون زوجاتـهم كيف يعـاملن الأم، ويحذرونهن من إغـضابهـا، ورغم أن زوجات الأبناء كن من داخلهن يتشفين فيـها، وكان هذا واضحًا جليًا على وجوههن، إلا أنهن كـنا يحاولن إخفـاء مشاعرهن الحـقيقـية ، استـمر الأبناء الأربعة فى توددهم للأم، وهكذا رمـوا بشباكهم عليـها حـتى صـــارت تصـغى لما يقـولـون، وترضى بما يفـعلـون. . نبـيع الحـديقة. . كـان هذا الأمر قـاسـيًا على الأم، إلا أن أبناءها الأربعـة حاصروها بشكل جـعلها ترضى وتقبل بفكرة البـيع، وبقى الاختلاف بينها وبينهم فيما يتـعلق بزواج كملا ، فهى ترى أن الزواج سيكون مع ابن مـرارى، والأبناء يرغبـون أن يكون الزواج مع بندت دين ديال. . وذات يوم حدث خلاف شديد على هذا الأمر. . .

قالت بهول متى :

- أليس للبنت نصيـب من كسب والديها . . لقـد حصلتم على عشرة آلاف من الحديقـة، وخمسة وعشرين ألفـًا من البيت، وعشرين ألفًا نقدا. . . . أليس فى كل هذا خمسة آلاف لأختكم كملا؟!

رد كامتاناته برقة وليونة :

- يا أماه. . كملا أختنا، ونحن لن نفعل شيئا يضرها فى حياتها مستقبلا، لكن المبالـغ التى ذكرتيها الآن، لا نصـيب لكملا فيها، لو كان الوالد على قـيد الحياة لاختلف الأمـر ؛ الآن علينا أن ندخر كل بيسة، فالأمر الذى يتكلف ألفًـا ، لماذا نكلفه نحن خمسة آلاف ، أى حكمة فى هذا التصرف ؟!

وعقّب أماناته ، وكأنه يصحح قول أخيه :

-لماذا ياسيدى خمسة آلاف، قل عـشرة آلاف الن تُصرف خمسة آلاف أخرى على الدعوة والضيافة وبقية مراسم الزواج ؟!

قال كامتاناته :

- نعـم صـحيـح ، عـشـرة. . .عشـرة آلاف روبية تصـرف فى الزواج ، فلم تعد لنا مكانة تذكر بين الناس.

قاطعتة بهول متى بعناد شديد :

- الزواج سيـتم مع ابن مرارى لال سواء كـانت التكلفة خمـسة آلاف أو كانت عشرة آلاف، هذا كسب زوجى، هذه الأموال من عرقه وكده وتعبه ، وأنا كافحت كثـيرا لأوفر هذه الأموال، وسوف أصرفها كمـا يحلو لى، لو كنت أطلب منكم قرضًـا ، لكان لكم الحق فيـما تقولون . .

ولم يعد الآن أمام كامتاناته من سبـيل سوى الإعلان عن الحقيقة المرة ، فقال :

- يا أماه لقد ضخَّمت الموضوع ، وعملت " من الحبة قبة " دون داع ، هذه الأموال التى تظنينها أموالك ، ليست ملكك ، وهى أيضًا ليست ملكنا ، ومع هذا فكل بيسة فيها ملك لنا ؛ لأنك لا يمكن أن تصرفى منها شيئًا دون موافقتنا . . فقالت بهول متى وكأن أفعى لدغتها :

- ماذا قلت ؟ لا يمكننى أن أصرف شيئا من أموالى كما يحلو لى ؟!

كامتاناته : هذه الأموال ليست لك ، هذه أموالنا .

بهول متى : نعم أموالكم ، لكن بعد أن أموت .

كامتاناته : لا . . . بعد وفاة الوالد أصبح كل شىء من نصيبنا .

أماناته : الأم لاتعرف القانون ، وهكذا اختلط عليها الأمر دون أن تدرى . .

نهضت بهول متى وعيناها تقدح بالشرر ، وقد احمر وجهها وقالت :

- اضربوا قانونكم عرض الجبال ، ألقوه فى البحر ، وليحترق بالنار ، مثل هذا القانون ، أنا لا أعترف بمثل هذا القانون السخيف ، فهو هراء ، القانون الذى يضع السكين على الرقاب ، أبوكم لم يكن " شهبندر " تجار ، فأنا كنت أضع الحجر على بطنى ، وأقتطع من قوت يومى لأوفر كل بيسة ، وإلا كان هذا البيت مجرد غبار يطير فى

الهواء . . لا يمكنكم ما حييت أن تسلبونى أموالى ، لقد أنفقت على زواجكم أنتم الأربعة كل واحد عشرة آلاف روبية ، وأنفقت على تعليم كل واحد منكم ، لا أقل من خمسة آلاف روبية ، وكملا أيضا ولدت من بطنى ، وسوف أنفق على زواجها أيضا عشرة آلاف روبية ، ويمكنكم الاستيلاء بعد ذلك على مايتبقى من أموال .

فانتفض أماناته قائلا :

- أخى ! إنك أثرت أمك دون وجه حق ، اكتب خطاب إلى مرارى لال ، فهى لا تعرف قواعد القانون ، وهى تناقش مناقشة لا فائدة فيها ؛ فقالت بهول متى وهى تحاول السيطرة على أعصابها!

- حسنًا . . أى قانون . . اسمعونى .

أماناته : القانون هو أنه بعد وفاة الأب تتحول جميع الممتلكات إلى الأولاد، وحق الأم أن تأخذ ما تعيش عليه فقط .

سألت بهول متى :

- من قال هذا ؟! من وضع هذا القانون ؟!

أجاب أماناته :

- علماء ديننا الهندوكى . . المهاراج منو، مَنْ غيره؟!

بهول متى :

- أنا أسست هذا البيت، أنا جمعت الأموال ، واشتريت الحديقة، واليوم أنا غريبة فى هذا البيت؟ هل وضع "منو" هذا القانون؟!

حسنًا حسنًا ، احملوا بيتكم واتركونى، فأنا أوافق على أن أعيش حياة الضنك والحاجة، والأفضل من كل هذا أن أودع هذه الحياة. . يا فرحتى. . يافرحتى غرست الشجرة، ولا أستطيع أن أقطف حتى أوراقها، بنيت البيت، ولا أستطيع أن أقيم فيه ، لو كان هذا هو القانون، فاحرقوه بالنار، لو أنى أعرف أن خاتمتى معكم هكذا لسجلت جميع الممتلكات باسمى. .

لم تترك ثورة الأم هذه أى أثر يذكر على الأولاد الأربعة، فالدرة الفولاذية للقانون تحميهم. . كيف؟ وهل من المعقول للحديد الخام أن يتصدّى للفولاذ؟!

حل المساء وكانت أغصان أشجار "النيم" تتدلى على الباب، كانت أوراقها ساكنة سكون الموت، بينما كانت أشعة الشمس الباردة المودعة تمضى كأنها تبحث عن مأوى، نهضت بهول متى فى هدوء ودلفت إلى حجرتها.

(٤)

دخلت بهول متى حجرتها ، ورقدت فى فراشها ، حينها أحسّت بظهرها وقد انكسر ، فبعد موت زوجها تحول أبناؤها ، فلذة كبدها ، الذين ولدوا من بطنها ، إلى أعداء لها ، لم يخطر على بالها هذا الأمر على الإطلاق ، ولا حتى فى الأحلام ، أو فى الخيال ، الأبناء الذين أرضعتهم من ثديها ، والذين طالما افتخرت بهم ، هم اليوم يهددونها ، ويُغضبونها ، يالها من أيام ! ويااله من زمان ! إذا ما عاشت فى هذا البيت فسوف تعيش حياة كلها عذاب ، حيث لا قدر لها ، ولا قيمة لها بين أولادها ، حيث ستبقى وحيدة كأنها لم تلد ولم تنجب ، ستقضى حياتها دون تفكير فى شىء ، وهو أمر يتنافى تماما مع طبيعتها ، لكن ما باليد حيلة ، إذا انفصلت عن أولادها ، فسينفضح أمرها ، ماذا لو بصق عليها الزمان ؟! لكن إذا ما بصق على أولادها ، فالفضيحة ستنالها هى ، وسوء السمعة ستلصق بها هى ، وسيقول العالم كله إن عجوزاً تركت أولادها الأربعة ، وراحت تعمل عند هذا أو عند ذاك لتكسب قوت يومها ، وأولئك الناس الذين كانت دائما تنظر إليهم نظرة احتقار ، سوف يضحكون عليها ، ويسخرون منها الآن . .

ورغم أن مذلة الوحدة والعزلة مذلة ما بعدها مذلة ، تُحطم القلب وتكسر الخاطر ، إلا أن عليها أن تُعوِّد نفسها على أسلوب

الحياة الجـديدة ، فقد تبدّل الزمان ، وعليهـا الآن أن تعيش وسط جو جديد ، لقـد ظلت حتى الآن تعـيش كربة للبيت ، تعـيش ملكة فى مملكتهـا ، ومن الآن فصاعـدا عليهـا أن تعيش مثل الخـادمة ، وهذا قدرها . . وركـلات وضربات أولادها أهون - على كـل حال - من ركلات وضربات الآخرين . .

ظلت الأم لفترة طويلة تغطى وجهها ، تبكى وحدتها وعزلتها ، وتقضى الليل بطوله تجتر آلامًا نفسية فوق طاقة البشر . .

فى فـجر يوم من أيام الشـتاء الـقارس ، خـرجت تتسـحّب فى خوف تحت ستارة الظلام ، كسجين خرج مـن سجنه متخفيا عن أعين الناس ، وعلى عكس المعـتـاد نهضت وقت الـفجـر الكاذب ، فطوال الليل مرت الأم بحالة من التناسخ الروحانى ، كان جميع من فى البيت يغطون فى نوم عميق ، بينما راحت هى تكنس صحن البيت . .

طوال الليل كانت الأرض المبتلة بالندى تشك قدميها العاريتين ، كأنها أشواك مدببة ، لو كان بعلها على قيد الحياة ، لما جعلها تستيقظ هكذا فى الصبـاح الباكر ، فـالبرودة الشديدة تضـر بصحتـها ، لكن الزمان لا يعود إلى الوراء . .

انتـهت من الـكنس ، فـأشـعلت النـار . . ورويدا رويدا نهض الأولاد ، واستـيقظت زوجـاتهم ، وتطلع الجمـيع إلى العجـوز التى راحت تعمل وهى ترتعد من شـدة البرد ، لكن أحدًا لم يقل لهـا : يا أماه ! لماذا ترهقين نفسك ، لعلهم ظنوا أن العـجوز كانت مسرورة فرحة بعزلتها هذه . .

ومنذ ذلك اليوم مضت بهول مـتى على هذا الحال ، تحولت إلى آلة تتولى جميع أعمال البيت .. خـدمة جميع من بالبيت ، ثم البقاء بعيدا عن الجـميع .. فى معزل عن جمـيع الأمور الإدارية ، وملامح العزة والاعتداد بالنفس التى كانت يومًا ماتبدو واضحة على وجهها ، تحولت إلى علامات حـسرة ومسكنة وذلة ، وتلاشى النور الساطع من طلعتـها ، وحل محله ضـوء كضوء مـصباح يتـضاءل رويدا رويدا ، ويمكن لنسمة هواء خفيفة أن تُطفئه ..

أرسل الأخوة - طبقـا للاتفاق الذى عقدوه فيـما بينهم - خطابا إلى مرارى لال يفيد رفضهم الزواج المتفق عليه قبلا ، وهكذا تم زواج أختهم كملا من دين ديال الذى تعدّى الأربعين من عمره بقليل ، كان مستوى أسرته متدنيًا من حـيث الوجاهة ، لكن الأسرة كانت معقولة على أى حال ، تمت الموافـقة على الزواج دون أخـذ رأى أحد ، وتم تحديد التاريخ ، وكانت ليلة الزفاف .

تم الزواج ، ورحلت كملا عن بيت عائلتـها ، كيف وكم عانت كمـلا من داخلهـا ؟! من يمكنه أن ينقذها مما كـانت تعانـى ؟! كان الأخوة الأربعة فى غاية السرور ، وكأن شـوكة كانت تنغصهم اقتلعت من تحت إبطهم ، والبنت التى تنتـمى إلى بيت شريف رضـيت برضا أهل بيتهـا ؛ فهى ترى أنه إذا كتب فى لوح قدرها السعـادة ، فسوف تنالها بلاشك ، وإذا كـتبت عليهـا التعاسـة ، فسوف تنالهـا أيضًا ، وزوجها لو كـان فيه ألف عيب وعيب فـسيكون معبـودها ومالكها ، والمعارضة هنا أمر خارج عن تفكيرها وحتى عن خيالها ..

لم تتدخل بهول متى الأم ، فى أى أمر من الأمور ، ماذا أعطى لكملا ؟ مـاذا اقدم للضـيوف فى حفل الزواج ؟ مـاذا قدم الضـيوف والأقارب من " نقوط " للعروس ؟ ومـاذا قدموا من هدايا ؟ لم يكن الأمر يعنيها فى شىء . .

وإذا ما سألوها رأيها فى أمرمًا أجابت :

- يا أبنائى إن ما تفعلونه صحيح ، فلماذا تسألوننى إذن ؟

وحين جاء " التختروان " الذى يحـمل كملا إلى بيت زوجها ، ضمت كـملا أمهـا بشدة ، وانخرطت فى البكاء ، أخـذتها الأم إلى حجرتها ، ثم وضعت فى خمارها عدة مئات من الروبيات ، وقطعتى ذهب أو ثلاث مما كان بقى لديها ، وهى تردد :

- يا ابنتى . . يـا ابنتى ! إننى أكـتم كل شىء بداخـلى ، قلبى يعتـصر ، هل يمكن أن يتم زواجـك بهذه الطريقة ، ويـكون زفافك هكذا ؟!

أخرجت كـملا الذهب والنقـود من خمارها ، ووضـعتـها عند قدمى أمها وقالت :

- أماه ! دعاؤك لى يساوى عنـدى مئات الآلاف من الروبيات ، احتفظى بهذه معك ، فلا أحد يدرى ما سيواجهك من مصائب .

كانت " بهول متى " على وشك أن تقول شيئا لابنتها حين قدم أماناته ووجه حديثه إلى كملا :

- هيا ماذا تفعلين ؟ كملا هـيا أسرعى فقد حان الوقت ، الناس

يستعـجلون . . ثم إنك سوف تزورينا بعد ثلاثة أو أربعـة أشهر ، إذا كان هناك ما تأخذين فأسرعى فى ذلك . .

استجمعت بهول متى قواها ، وقالت :

- ماذا بقى لدى ياحسرة ؟ ماذا بقى ؟!

ماذا بقـى مـعـى يابنىَّ حتى أعـطيها إياه ، اذهبى ياابـنتى رعاك الإله ، وجعل زواجك زواجًا أبديا .

وبينما مـضت كملا ، تعـثرت بهول متى وانـقلبت على ظهرها وهى تسقط على الأرض .

(٥)

ومرّ عام .. كانت حجرة بهول متى هى أوسع غرف البيت وأكثرها تهوية ، فقامت بإخلائها من أجل زوجة الابن الأكبر ، وأقامت فى غرفة أخرى صغيرة ، شأنها فى ذلك شأن المرأة المكلفة بجلب الماء إلى البيت ، لم يكن للأبناء ولا لزوجاتهم أى علاقة بها على الإطلاق ، صارت الآن خادمة البيت ، لم يعد لأى فرد فى البيت أى اهتمام بأمورها ، وكانت تعيش فقط ، لأن الموت لم يعرف طريقه إليها بعد ، لم يعد للأفراح أو الأتراح أى تأثير على مشاعرها .

تحقق لأماناته ماكان يهدف إليه ، دُعى الأحباب إلى مأدبة احتفالاً بتحقيق هدف ما ، أما ديananاته فقد أصدر جريدة ، ودعى الأصدقاء للاحتفال بذلك ، وسيتاناته حصل على منحة دراسية ، وذهب ليدرس فى العاصمة ، ثم كان الاحتفال الكبير ، حفل عيد ميلاد للابن الأكبر لكمتاناته ، حفل صاخب ، لم يظهر على وجه بهول متى ، ولا حتى شعاع خافت من السرور ، ومرض أماناته بالتيفود لشهر كامل ، كتب ديananاته مقالا ، تم على أثره القبض عليه بناء على المادة رقم ١٤٤ ، وسجن لمدة ستة أشهر ، وكتب أماناته تقريراً غير صحيح عن معاملة تتعلق بعمله بعد أن قبل رشوة ، وتم إيقافه عن العمل لسنة ، ولم تظهر ولو حتى ظلال الحزن على وجه بهول متى ، فلم تكن فى حياتها اهتمامات من أى نوع ، لم يكن

لديها أمل فى شيء ، ولم تكن تفكر فى أى موضوع ، كانت كذوات الاربع تعـمل وتأكل ، ولا شـأن لهـا غـير هذا ، والحـيـوان يعـمل بالضرب لكنه يأكل حـين يرغب فى الأكل ، لكنها كـانت تعمل دون أن يطلـب منهـا أحـد ذلك ، وكـانت تأكل كأنهـا تعمل ، لقيـمات كالسم ، كانت لا تضع زيـت الشعر على رأسها لشـهور ، ولاتغسل ملابسهـا لشهور ، ولا تهتم أبدا بمثل هذه الأمور ، وكـأن الإحساس بداخلها قد ضاع .

فى مـوسم المـطر ، ظلت الأمـطار تهطل لأيـام دون توقف ، وانتشـر وباء الملاريا ، وامتلأت السـماء بالسحـب الداكنة ، وسقطت أمطار مغبرة على الأرض ، وملأ البلغم والبصاق صدور الناس للهواء المحـمل بالرطوبة الشديدة ، ومـرضت المرأة المكلفـة بغسـيل الأوانى والأطبـاق ، مـثلمـا مـرضت المرأة المكلّفـة بجلب الماء إلى البـيت ، فتـولت بهول متى غـسل جميع آنـية البيت ، وحـمل الماء لهذا وذاك داخل البيت ، ثم إشعال النار ، وبعدها تمضى إلى نهر الكنكا لتحمل الماء إلى البـيت ، كان كـامتـاته يشرب دائمـا من مـــاء نهـر الكنكا المقدس ، فماء « الطلمبات » لا يروقه .

قال كامتاناته وهو راقد على سريره :

- يا أماه ! اتركى الأمر لى ، سوف أحضر الماء بنفسى ، فاليوم غابت المرأة المكلفة بغسل الأوانى وكذلك تلك المكلفة بإحضار الماء .

نظرت الأم - بهول مـتى - إلى السمـاء الملبدة بالغيـوم السوداء وقالت :

- يا بنى سوف يصيبك البلل ، وتصاب بالبرد .

فرد عليها بقوله :

- إذن ابقى بالبيت . . . لا تذهبى حتى لا يصيبك المرض . .

فقالت له :

- أنا لا أمرض يا بنى ، فقد حفظنى الإله ورعانى .

فحول حديثه عن الموضوع قائلا :

- آه تذكرت . . . أماناته كما هو لا يحقق تقدما ، فلم تعد عيادته تجلب له ربحًا يذكر ، ولهذا فهو قلق ومضطرب .

ردت الأم :

- لا تأبه بالأمر ، لقد سيطرت الحكومة على الأسعار منذ عدة أيام ، وعليه أن يعوض الخسارة فيما بعد .

فاض نهر الكنكا بالماء ، وبدا كأنه بحر واسع بلا شطآن ، والتقت الماء بسطح الأفق ، أما الأشجار التى كانت على الشاطئ ، فلم يعد يظهر منها سوى بعض أغصانها العلوية ، وكأنها تطفو فوق الماء ، حملت بهول متى الجرّة ، وراحت تنزل على السلالم المتجهة ناحية النهر ، فانزلقت قدمها ، لم تستطع العجوز أن تتمالك نفسها ، فسقطت فى الماء ، وفى لحظة غطتها مياه النهر ، وسحبتها الأمواج إلى القاع ، وراح بعض من كانوا على الشاطئ يصيحون ويصرخون :

- يا ناس . . إنها تغرق ، تغرق . . . .

وقدم بعض الناس يهرولون ، لكن بهول متى كانت قد اختلطت تماما بـالأمواج ، وكان منـظرها والأمواج تلتـهمـها يصيـب الإنسان بالرعب ، تساءل بعض من كان على الشاطئ :

- من كانت هذه العجوز ؟

- آه !! إنها أرملة پندت أجودهياناته ؟

- نعم كتب عليها أن تزل قدمها .

- هكذا نصيبها . .

- إن لها أولاداً كـباراً ، كلهم كـبار ، وجـميـعهم يكسـبون ، يكسبون كثيراً ؟

- نعم وجميعهم أخوة . . لكن النصيب شيء آخر .

النّــــــور

بريم تشند

النــــــور

(١)

رجعت إلى الهند بعـد أن نجحت فى امتحان " الخـدمة المدنية " ICS ، وعُينت مسئولا عن وحدة إدارية صغيرة فى منطقة جبلية تابعة للمقـاطعات المتحـدة فى شمال الهـند ، كنت أعشق الصيـد ، ولهذا كنت محظوظا ، فـالصيد مـتوفر فى المناطق الجـبلية ، وهكذا ناسب المكان ما أهوى وأعـشق ، اتخذت من " الفيلا " الواقـعة فى حضن الجبل مسكنا ، كما جعلتها أيضا " ديوانا " أقضى فيه شؤون الناس ، وأدبر من خلاله أمور المنطقة التى أشرف على إدارتها . . كنت لا أرى أحدا عـلى الإطلاق ما لم تحـدث شكوى أو مشكلة ، ومن هنـا كان الخروج للنزهة أو الصيد أو حتى قـراءة الصحف والمجلات يسد فراغا كبيـرا ، ويملأ وقتى ، ويعوضنى عن عـدم تردد الناس على مسكنى هذا . . كانت بعـض الصحف والمجلات تأتينى مـن أمريكا وأوربا ، وهى صـحف ومـجـلات لايمكن لمثـيـلاتها فـى الهند أن تصل إلى مستـواها من حيث جدة الموضوع ، والأفكار المنمقـة المرتبة ، ونضارة الصفـحات ، وما تضفـيه من بهجة على القـارئ ، آه متى يأتى ذلك اليوم الذى تصدر فيه مثل هذه المجلات والصحف الرائعة فى بلدنا ؟!

كنا فى فصل الربيع وبالتـحديد نهاية فبراير وبـداية شهر مـارس أو كما يـقال فى الهند شهر "بهـاكن" حين خرجت فى مهـمة إدارية

تستلزم زيارة بعض القرى، وبعد أن عاينت "نقطة" شرطة قرية "كندهوار" توجهت للذهاب إلى "نقطة" شرطة قرية "كجن بور" التى تبعد مسافة ثمانية عشر ميلا تقريبا..

كان المنظر بديعا، ورغم أن أشعة الشمس كانت شديدة الحرارة نوعا ما، إلا أن حرارة الجو كانت معتدلة، كان الهواء مشبعا برائحة ذكية، فقد أزهرت أشجار المانجو، بينما كان صدى صوت كروان يتردد فى الأجواء، أما أنا فمضيت واضعا البندقية على كتفى، تحسبا لوجود صيد أقتنصه على الفور، أو دفاعا عن خطر قد يحدق بى فجأة، خاصة أن قطاع الطرق انتشروا هذه الأيام هنا وهناك.. مسحت على رقبة الجواد وقلت :

ـ هيا يا بنى..هيا أسرع.. كلها ساعتان ونصف أو ثلاث ساعات ونصل إلى "كجن بور" مع حلول المساء.

كان الموظف الذى يعمل معى قد سبقنى إلى هناك..

مضيت فى طريقى.. كنت أشاهد من حين لآخر بعض الفلاحين يعملون فى الحقول، فقد حان حصاد فصل الربيع، بينما كانت الحقول تعد لزراعة قصب السكر والبطيخ، وكان هناك عدد قليل من المزارعين، وشاهدت المحراث القديم المتهالك من أيام أبينا آدم، يستخدمه عباد اللّه الذين يتصفون بالجهل المؤسف، بشكلهم المخجل وهم نصف عرايا، فالحكومة تنفق مئات الروبيات على الإصلاحات الزراعية، وتجرى الأبحاث الجديدة، وتساهم فى المخترعات الحديثة، وتوفر المديرين والموجهين والمفتشين، لكن الحال هى الحال، لا إصلاح

ولا تغيير يطرأ على حـال هؤلاء . . فى بلاد الغرب أغرق طوفان العلم الجميع دون تمييز، أما هنا فالكلاب اتخذت من المدارس مرتعا، وحين تدخل المدرسة تجـد المدرسين يستندون إلى مكاتبهم فى حـالة نعاس، وبصعوبة كبـيرة يتجمع حوالى عشرة أو عشـرون تلميذا لتلقى العلم، فالأمة التى سيطر عليها الجمود إلى هذه الدرجة، لا شك أن مستقبلها ميئـوس منه تماما ! وأرى المثقـفين والمتعلمين يسكبـون الدموع، وهـم يذكرون أسلافنا، وقد صدقت أن المبشرين الآريين كانوا ينفخون روح الإيمـان فى جزر آسـيـا، وصدقت أيـضا أن أسـترالـيا سـوف تدين للحضـارة الآرية بما ستحـققه من نهـضة، لكن مـا هى نتيجـة تربية أسلافنا ؟! أهل الغـرب اليوم هم حاملو مشعل هذا الـعالم، وإنجلترا البلد الصـغـير يقـبض على نصف الكـرة الأرضيـة، لا شك أن أهل الغـرب بفضل تقـدمـهم الصناعى والمهنى قـدموا للـعالـم كله رسـالة جديدة، تدعو إلى العـمل والجد والاجتهاد، وطبقا لـهذا الرسـالة فإن الأمة التى تخلو من قوة العـمل يكون مستقبلهـا مظلما . حيث نمضى هنا ندندن ونعزف على الربابة أغـانى عظمة دراويش الزوايا والتكايا، نصف العرايا، أصحاب الملابس المهلهلة، حيث يعبد الشجر والحجر، حيث يقحم الدين فى كل صغيرة وكـبيرة دون ما سبب، فإذا كان هذا حـال أمتنـا فلا عـجب مما هى فـيـه . كنت أمضى غـارقـا فى هذه التصورات والأفكار ، وفجأة ضربت جـسمى لفحة من الهواء البارد، فأفقت، ورفـعت رأسى إلى أعلى ، كانت السمـاء من جهة الشـرق قـد تلبدت بالغيـوم ، واختـفى الأفق فى ستارة من التـراب والغبار،

وكـان هذا عـلامة على قـدوم العـاصـفة، أشـرت على جـوادى أن يسرع،لكن سـتارة الغبـار بدأت تتسع وتبسـط بين لحظة وأخرى، ولما كانت وجهتى ناحية الشرق، فقد بدا الأمر كأننى أسرع لأواجه وحدى إعصارا من بعد إعصار. . اشتدت سرعة الهواء، ووصلت ستارة الغبار فوق رأسى، وفجأة غرقت فى بحر من الغبار، كانت العاصفة شديدة لدرجة أننى نجوت عدة مرات من السـقوط من فوق الجواد، كان هناك حفيف يصاحبه ضجيج مـرعب، كأن الطبيعة نفخت روح إعصار فى العاصفـة، وحتى لو اجتمع عشرة بل عـشرون ألف مدفع، وانطلقت كلها فى وقت واحد لما أصدرت مثل هذا الصوت المرعب المهول. .

لـم أكن أفكر فى دوامـات الغبـار حتى غـاب الطريق عن نظرى تماما. . يا للهـول كانت القيامـة ! وما زالت فرائسى ترتعـد إلى اليوم حين أتـذكـر ما حـدث، التـصـقت تمـامـا برقبـة الجواد، وأخفـيت وجهى وراء عرف جوادى فقد كـانت ذرات الغبار المدببة تتطاير ضاربة وجهى ، وشعرت كأن "محقنا" كبـيراً يقذفنى بحصيات تصيبنى بألم شديد، وسيطر علىّ إحساس بالرعب غريب، كان صوت تحطم جذع شجرة لا أراها يصم أذنى، فـتتقلص أمعائى، فـربما سقط على جذع الشجرة من أعلى الجبل، وفكرت فى البقاء مكانى دون حراك، فوسط هذا الإعصار قد تسقط كتل صخرية أيضا من فوق الجبل ، ولو حدث هذا لكان فى ذلك نهايتى المحققة ، فلا مـجال للبقاء حيا ، والطريق الجبلى لا يسمح باستخدام العـقل أو الذكاء والفطنة ، فإذا ما تحركت خطوة يمـينا أو يسارا ، فـقد أسـقط فى حفـرة عمـقها ألـف قدم !

وابتليت بحالة من الصرع والهيجان . . ماذا لو استمرت هذه العاصفة حتى المساء ؟! هذا يعنى الموت المحقق . . ففى الليل سيأتى حيوان مفترس ويقضى علىّ ، وطرأت على قلبى حالة من الخوف والهلع رغما عنى . . ولو تعرضت للموت ، لن يكتشف أحد جثتى ، آه ! كم كان ضوء البرق قويا مبهرا ، كأن سهما اخترق صدرى . .

فجأة سمعت أزيزا رهيبا ، مع صوت فرقعة شديدة ، وتخيلت ناقة ضخمة تجرى ، وفوقها راكب لا يفكر فى الطريق ، بينما الناقة تضرب بأرجلها مرة هنا ومرة هناك ، ربما كان هناك أحد الفلاحين ، ربما رآنى ، لعله لم يتمكن من الوصول إلىّ ، فالوجوه كلها مغطاة بالتراب ، لكن من ذا الذى يتحرك ، من ذا الذى لديه همة على المشى وسط هذه المصيبة . . وفى لمحة اقترب صوت الحفيف ، ثم شاهدت امرأة شابة تهرول ، وفوق رأسها سلة كبيرة ، ورغم أنها لم تكن تبعد عنى سوى ياردة واحدة ، لكنى لم أكن أرى منها سوى شبحها . . كانت المرأة تمضى وحدها بخطوات رجولية ، لا يساورها خوف من العاصفة ، أو قلق من سقوط جذع شجرة فوقها ، أو رهبة من صخرة قد تسقط فوقها من أعلى الجبل ، ولم يكن ما يجرى الآن مما اعتاد عليه المرء كل يوم ، لم يساورنى إحساس بالغيرة الشديدة مثلما حدث فى ذلك الوقت . . أخرجت من جيبى منديلا ، ومسحت وجهى ، وخاطبتها :

- أيتها المرأة ! كم تبعد عنا " كجن بور " ؟

خاطبتهـا بصوت عال ، لكن الصوت لـم يصل إلى مسـافة عشر ياردات على الأكثر ، فلم تجبنى المرأة ، بل لعلها لـم تلحظ وجودى .

فصرخت بأعلى ما عندى :

- يا امـرأة ! انتظرى قليلا ، كم تبـعد " كـجن بور " عن هذا المكان ؟

توقفت المرأة ، واقتربت منى . . نظرت ناحـيتى وطأطأت رأسها قائلة :

- أين تذهب ؟

- كم تبعد كجن بور ؟

- تعال . . ستصل إلى قريتى ، بعدها تصل إلى " كجن بور "

- كم تبعد قريتك ؟

- ماذا ؟! ها هى . . هناك . . على مرمى البصر .

- لماذا لـم تتوقفى وسط هذه العاصفة ؟!

- كيـف أتوقف والصغـار فـى البيـت ، رجلـى انتـقـل إلـى جـوار ربـه . .

هبت موجة عارمة من الهواء المحمـل بالغبار دفعتنى عدة أقدام ، واستقرت قبضة من تراب على وجهى . . يالها من مصيبة ! لا أدرى ماذا يدور من حولى ، فتوقفت حيث كنت ، لـم أتحرك قيد أنملة .

ويدأ تفكيرى الفلسفى يقول :

- أى راحة لهذه المرأة فى الحياة ؟! لعلها تمتلك كوخا متهالكا ، وعدة أطفال يعانون الفقر والجوع ، فلم تكن تهاب الموت . . لا . . لا

إن فى الموت نجاة لمثلها ، لكن وضعى يختلف تماما ، إننى أعيش حياة الدعة والراحة فهل يمكن أن ألقى بهذه الحياة فى الخطر بمحض إرادتى ؟!!

(٢)

أخفيت وجهى ثانية فى عُرف الجواد ، تماما مثل النعامة التى تخفى رأسها بين ريشها حين لا تجد وسيلة للنجاة من الخطر .

كانت العاصفة تلفظ أنفاسها الأخيرة ، قلت شدة الرياح تدريجيا ، وفى غضون خمس عشرة دقيقة انقشعت الغيوم ، وصفت السماء ، ولم يعد هناك من أثر للغبار ، وتحولت الرياح الشديدة إلى نسمات عليلة ! ربما كانت الساعة وقتها تقترب من الخامسة حين ظهرت أمامى هضبة مرتفعة ، تحتضن قرية صغيرة . .

حين وصلت إلى تلك القرية ، وجدت نفس المرأة تتجه ناحيتى ، وهى تحتضن طفلا صغيرا ، بادرتنى بقولها :

- أين مكثت ؟! خشيت أن تكون قد ظللت الطريق ، فخرجت أبحث عنك ، تأثرت بإنسانيتها كثيرا ، وشكرتها على اهتمامها بى ، وأخبرتها بأن موجة من التراب هبت على ، فلم تسمح لى بمشاهدة الطريق ، ولهذا مكثت حيث كنت ، وسألتها :

- هذه قريتك إذن ، كم تبعد كجن بور ؟

- اعتبر المسافة قدر مشوار بسيط ، الطريق مستقيم تماما ، لا تعرج يمينا ولا يسارا وسوف تصل مع غروب الشمس .

- هذا هو طفلك . . ؟!

- آه . . هناك آخر أكبر منه ، حين هبت العاصفة ذهب الاثنان إلى استراحة " العمدة " وجلسا هناك ، فقد خشيا أن يسقط الكوخ ، ومنذ مجيئى وهذا الطفل متشبث برقبتى ، يقول إنه يخشى أن أهرب منه ثانية ، الولد الأكبر عفريت ، كان يلعب مع الأولاد ، وأنا أعمل بالأجر ياسيدى ! حتى أربيهما ، كيف لى أن أجلس أو أستريح ، وقد جمعت كمية من الحشائش وذهبت لبيعها ، وكلما أذهب هنا أو هناك يظل قلبى معلقا بالطفلين .

لابد من الاعتراف بأن قلبى لا يتأثر عادة بسرعة ، لكن الطريقة البسيطة البريئة لحديث هذه الفلاحة ، وبساطتها ، وعاطفة الأمومة بداخلها ، أثرت فى أعماقى تأثيرا بالغا ، فسألتها وأنا أتظاهر بعدم اهتمامى بأحوالها :

- كم مضى عليك منذ ترملت ؟

فاغرورقت عيناها بالدموع ، وقالت وهى تضع عينيها على خد طفلها فى محاولة منها لإخفاء دموعها .

- مضت ستة أشهر كاملة ياسيدى . . هذه مشيئة الله ، لا دخل للإنسان فى هذا . . حمل المحراث عائدا إلى البيت ، ثم أمسك بالإبريق وشرب ، ثم تقيأ . . بعدها أغمض عينيه ، لم يتفوه بكلمة ، كما لم يسمع منى كلمة . . ظننت أنه متعب ونام ، وحين استيقظت لإعداد الطعام ، وجدته قد فارق الحياة ،

ومن يومـها ياسيـدى ، وأنا أجمع الحـشائش ، وأبيـعهـا ، فآكل ، وأطعـم أطفـالى . . لم تكن أمى تملك حـقلا ، وقمت ببـيع الثور ، وأنفـقت ثمنه على ترتيـبات الجنازة ، وقـد وهب الله الحـياة لهـذين الطفلين ، وهذا بالنسبة لى فضل منه عظيم .

إننى أفهم بواطن الأمـور وأدركها جـيدا ، كمـا أننى على دراية بعلم النفس ، لكنى تأثرت كثيرا فى ذلك الوقت ، تأثرا جعل الدموع تجرى فى مـقلتى ، فـأخرجت من جيـبى خمس أو سـت روبيات ، ومددت يدى بالروبيات ناحية المرأة قائلا :

- خـذى هذه . . ابتاعى حلوى لطفـليك ، لو واتتنى الفرصـة سأمر عليك ثانية . . ثم مسحت بيدى على خد الطفل .

تراجعت المرأة خطوة إلى الوراء وقالت :

- لا ياسيـدى . . احفظ عليك مـالك ، أنا فقيـرة لكننى لست متسولة .

- هذا ليس بتسول ، هذه الروبيات لشراء حلوى للطفلين .

- لا يا سيدى . .

- اعتبرينى أخا لك . .

- لا يا سيدى ؛ إن من ترملت من بعده أحمل عزته وشرفه بين يدى . . جزاك الله خيرا ، اذهب الآن ، سوف تتأخر .

لم أشعـر أبدا باحتقار لنفـسى مثلما شـعرت فى تلك اللحظة ، فاعتـبرت نفسى جـاهلا ، أعمى القلب والبصيـرة ، عديم الدراية ،

فهـذه العزة ، الاعتـماد على النفس ، ومـعرفة الـواجب ، والتوكل والثقة . . كل هذا جعلنى أشعر بضعـفى . . فتفتت قلبى من الداخل ، لو أن التعليم فى الأصل هو تهذيب النفس ، لا مـجرد الحصول على أعلى الدرجـات ، فـإن هذه المرأة وصلت إلى أعلى مـدارج العلـم ، فشعـرت بالندم ، ووضعت النقود فى جيـبى ، وأشرت على جوادى بالانطلاق وأنا أسألها :

- يبدو أنك لـم تكونى خائفة عـلى الإطلاق من تلك العاصـفة

فابتسمت المرأة وقالت :

- أخاف . . من أى شىء أخاف ؟! الله موجود فى كل مكان ، لو شاء أن يميتنا ألا يستطيع أن يميتنا هنا . . رجلى عاد إلى البيت ، ثم فارق الحـياة فى البيت ، ولو كان هنا اليـوم لما ذهبت إلى " كجن بور " وحدك ، ولكان قد ذهب معك مقدما لك خدماته .

وانطلق الجـواد مسرعـا ، بينما كـانت دقات قلبى تسـرع تسابق سرعـة الجواد ، تماما مثل مـفلس وجد قطعة من ذهب ؛ فشـعر من قرارة نفسـه بأنه يحلق فى السماء ، كانت هذه حالى ، لقد لقنتنى هذه المرأة الفلاحة البـسيطة درسا عظيما ، لم أتعلمه فى حـصص الفلسفة والميتافيزيقـا ، وأنا مثل المفلس الذى وضع قطعة الذهب فى " صرة " ، أخذت أنتشى بغرور إطراء غير متوقع ، وأخشى أن يتلاشى هذا الأثر من القلب ، فأخذت أطير ، كـان هذا هو كل ما فى ذهنى أن أخفى هذا الشعور والإحساس فى ركن من أركان قلبى ، حيث لا تقع عليه عيون أحد الطماعين . . .

لم يتبق على الوصول إلى قرية " كجن بور " سوى خمسة أميال ، كانت الطريقة وعرة جدا ، فاضطررت إلى كبح جماح الجواد أكثر من مرة ، ففى السرعة خطر بالغ ، وقد تمالك الجواد نفسه على الطريق بعد أن مضى يمشى الهوينا . . كانت بعض السحب قد ظهرت فى السماء ، لكنها الآن اتخذت صورة عجيبة ، فبدأ البرق يلمع ، وتبعه صوت الرعد المزمجر ، ومن ناحية الشرق لاحت فى الأفق غيوم صفراء ، أخذت تتداخل فيما بينها ، ومضت من فوق رأسى فلاحظت سرعتها ، ففهمت أنه البرد ، ففى هذا الشهر من السنة يكون مثل هذا السحاب الأصفر وصوت الرعد المهيب علامة على سقوط البرد ، وبينما كنت أتابع السحاب يمضى من فوق رأسى ظهر أمامى واد منبسط ، ومن بعيد تراءت لى قبة بيت عمدة " كجن بور " لم تكن هناك حتى شجرة تحجب الرؤية ، ولم يكن فى قلبى أى نوع من الخوف ، كنت أشعر أن ظل إنسان ما يظلنى ، وسوف يحفظنى من كل آفة أو مصيبة .

بدأت السحب تزداد اصفرارا كل لحة ، وكان الجواد يشعر بخطورة ما يلوح فى الأفق ، فيصهل مرة بعد أخرى ، وينطق مسرعا كأنه يريد الخروج من دائرة الخطر ، وقد رأيت بدورى الطريق سهلة منبسطة ، فأرخيت له اللجام ، فطار يسابق الريح ، وجعلتنى سرعته أشعر بالنشوة ، فلم يكن فى قلبى أى شعور بالخوف . . ولم نكد نقطع ميلا على أكثر تقدير حتى اعترضنا جسر خطير ، كان هذا

جدول جبلى طوله خمسون ذراعا ،كانت خيوط من الماء لا تزال تنساب على الجسر ، وتجمع الماء على جانبيه . . رأيت رجلا أعمى يتوكأ على عصاه ، يحاول عبور هذا الجسر ، وكان قريبا جدا من حافته لدرجة أننى خشيت أن يسقط فى الماء ، مما يسبب خطورة كبيرة له ؛ لأن الماء أسفل الجسر عميق ، فصرخت فيه :

- أيها العجوز ! اتجه إلى اليمين قليلا .

فقفز العجوز ، ربما خاف بعد أن سمع وقع حوافر الجواد ، فلم يتجه ناحية اليمين بل اتجه ناحية اليسار ، فسقط فى الماء ، وفى نفس الوقت شاهدت شخصا آخر سقط أمامى ، وهكذا حلت مصيبتان فى وقت واحد . . وبالقرب من الجدول كان هناك معبد فيه أماكن للراحة والجلوس ، وكان من الممكن أن أصل هناك فى دقيقة واحدة لكى أستريح ، لكن الأمور تعقدت . . ماذا عساى أفعل ؟! هل أهرب وأنجو بنفسى تاركا هذا الأعمى يموت ؟! لم تطاوعنى نخوتى ، ولم يكن الموقف يحتمل الأخذ والرد ، فقفزت من فوق الجواد ، كان هذا الجسر المقام على الجدول أطول من عرض الدول ، لكن كانت هناك بركة عميقة ملاصقة للجسر ، سقط فيها العجوز ، فنزلت فيها ، وغصت أبحث عنه ، لم أشعر بالخوف لأنى أعرف السباحة ، وتمكنت من إخراج العجوز ، الذى كان قد شرب كمية كبيرة من الماء ، فصار جسده أقرب إلى جثة ميت من جسم إنسان على قيد الحياة ، ولهذا تمكنت من إخراجه بصعوبة شديدة ، ونظرت إلى الجواد ، فوجدت أنه هرب ، ووصل حتى المعبد . .

لم يكن من السهل حمل هذا الرجل الذى فقد الروح تقريبا لمدة فرسخ ، وتسبب سقوطه من مكان عال إلى إصابته بجروح فى وجهه وظهره ، بدت كأنها نتيجة إصابته بعيارات نارية . . حملته بصعوبة ، وضممته إلى صدرى ، واتجهت به ناحية المعبد .

لو عبرت فى ذلك الوقت عن عواطفى فلعل البعض يظن أننى أفخر وأتعالى ، ففى عمل الخير سرور خاص ، لكن سرورى من نوع آخر ، كان سرورا مبعثه الانتصار ، فقد انتصرت على نفسى ، فقبل هذا اليوم ربما لو رأيت أعمى سقط فى الماء ، لنظرت إليه ومضيت إلى حال سبيلى ، أو قمت بإبلاغ الشرطة ، وخاصة أن القضية قد تأتى على رأسى ، لكن لم أكن أبدا لأغوص فى الماء ، فهناك خطر محدق فى كل لحظة ، لكننى كنت مسرورا ؛ لأن عهدا جديدا بدأ اليوم فى حياتى . .

وصلت إلى المعبد ، وكان جسم العجوز مملوءا بالجروح ، لكن القلق لم يساورنى أبدا ، فقد كنت قد تدربت فى فترة من فترات حياتى على الإسعافات الأولية ، وها قد حان الوقت لأجنى ثمار هذا التدريب ، فتمكنت فى غضون نصف ساعة من علاج الرجل الذى استرد وعيه . . وبينما أنا كذلك إذا بى أشاهد رجلين قدما إلى المعبد بحثا عن العجوز الذى نجا من الموت بفضل رعايتى له . . وذهب العجوز معهما ، امتطيت جوادى وانطلقت ناحية " كجن بور " دون خوف فقد كنت أشعر بقوة غيبية تعمر قلبى ، سألنى العجوز وهو يمضى :

- من أنت ؟ يبدو لى أنك راهب !
قلت :
- أنا خادم .
- يبدو أن ملاكا يرفرف فوق رأسك .
- نعم فوق رأسى ظل حورية .
- من هذه الحورية ؟
- إنها تقيم فى القرية السابقة .
- هل هى امرأة ؟
- لا هى بالنسبة لى قديسة .

شارع بطول فرسخين

كرشن تشند

شارع بطول فرسخين

من مجمع المحاكم وحتى كلية الحقوق يمتد شارع بطول فرسخين، عليَّ أن أمرّ به كل يوم ، أحيانا مشيا على الأقدام ، وأحيانا مكراكباً الدرّاجة . . على جانبى الشارع صفّان من أشجار السيّسم التى جفّت أغصانها فبدت كأناس أذبلهم الحزن . . لا جمال فيها ولا ظل . . أسراب من النسور فوق جذوعها وأغصانها .

الشارع نظيف ، يمضى فى خط مستقيم ، فيه صلابة كأنها القسوة ، أمشى فى هذا الشارع باستمرار ودون انقطاع منذ تسع سنوات ، لم يحدث أن رأيت فيه حفرة ، ولا شق ، ولا حتى خدش بسيط ، فقد رصف هذا الشارع بدكّه بحجارة شديدة الصلابة، ثم صُبَّ عليها نوع من القار له رائحة عجيبة تصيب الإنسان بالغثيان فى فصل الصيف .

كم رأيت من شوارع !! شوارع كثيرة ، طويلة ، واسعة ، وشوارع مغطاة بالجرانيت ، وشوارع مفروشة بالرمل والحصى الأحمر، شوارع تحفها أشجار السرو ، وأشجار البَقْس . . شوارع . . لكن ما فائدة أن نعدد الأسماء ، فربما شاهدت عددا لا يحصى من الشوارع المتشابهة ، لكنى أعرف هذا الشارع معرفة جيدة ، أكثر من معرفتى لأقرب الأصدقاء لدى ، أعرفه لتسع سنوات مضت ، وهى تسع سنوات متتاليات لا يفصل بينها يوم واحد أو ساعة واحدة أو حتى لحظة ، فكل صباح أقوم من بيتى القريب من مجمع المحاكم لأذهب إلى مكتبى القريب من كلية الحقوق ، فى هذا الشارع الذى

يمتد لفـرسخين فقط ، أمـضى كل صبـاح ، وكل مساء من مـجمع المحاكم إلى آخر باب فى كليـة الحقوق ، أحيانا بالدراجـة ، وأحيانا مشيا على الأقدام .

لم يتـغير لونـه أبدا لم تتغـير هيئـته أبدا ، وفى صـورته نفس الخشونة والبرودة ، كما هى لم تتـغير ، وكأنه يقول : لا أبالى بأحد على الإطلاق . . وهذا صحيح . . لماذا يبالى هذا الشارع بأحد ؟ . . يمر عليه كل يوم مئات بل آلاف الناس ، والخيل والمركبات والسيارات تمر عليه جميعا ، وتمضى لا تتـرك أثرا يذكر ، فملامح سطحه النيلية السمراء كما هى جافـة صلبة ، كما هى منذ كانت فى أول يوم حين قام أحد المقاولين المغيرين عليه برصفه وسفلتته .

فـيم يفكر هذا الشـارع ؟ أو لعله لا يفكـر . . ماذا رأى عـبـر السنوات التسع من وقائع وأحـداث ؟ وماذا لم يره من مناظر كل يوم وكل لمحـة ؟ لكن أحدا لم يره يبـتسم أو يبكى ، كـما لم تظهـر فى سطحه الحجرى أبدا أى فجوة أو حتى شرخ .

- أنت . . ياعـمى ، ارحم الأعمى ، المحـتاج ، الفـقيـر . . المسكين . . أنت يا خالى ، يـاسيدى : لله . . أعطنى بيـسه لله . . ياهُوه . . أليس هناك من يعطى شيئا لله ؟!

سيـدى : أطفالى الصغـار يتضورون جـوعا . . أليس هناك من يعطف على هؤلاء اليتامى ؟!

يجلس على جـانب من هذا الشـارع عشـرات ، وعشـرات من المتسـولين ، بينهم الأعمى ، وبينهم المقعـد ، وبينهم من يوجد على

ساقه أو على فخذه جرح خطير ، وبينهم امرأة فى حضنها ثلاثة أو أربعة أطفال صغار ، يلقى البعض بيسات ، بينما يلقى البعض بنظرات ويعضى ، بينما البعض يسب ويشتم :

- أولاد الحرام . . لا يعملون . . يكتفون بالتسول والاستجداء ؛ عمل ، بطالة ، تسول . .

صبيّان ينطلقان على درّاجة وهما يضحكان ، عجوز ثرى يجلس فى عربته (الفيتون) التى تجرها الجياد يتطلع هنا وهناك ، وهو يفتل شاربيه بإصبعيه ، وإذا بكلب هزيل ضعيف تعركه عجلات العربة محطمة عظامه ، جرت الدماء قانية ، ولم تفلح نظرات عينية الحزينة، ولا صوت عوائه الخافت المؤلم فى جذب انتباه الناس . .

رجل عجوز انحنى فوق حشيَّة ، وهو ينظر إلى تلك المرأة التى زينت جسدها وهى ترتدى السارى ذا اللون الأسود ، وتتحدث مبتسمة مع مخدومها ، كانت أطراف السارى المطرزة بالفضة تلمع فى عينى العجوز النهمة كأشعة القمر . .

. . . ثم يهدأ الشارع ، ويخيم السكون ، لا أحد سوى « عربجى » استرخى فى ظل شجرة السيسم ، بينما النسور غرقت فى نعاس فوق الأغصان تحت الشمس . . يأتى ضابط شرطة ، يطلق صفارته بصوت حاد :

- هيه . . أيها « العربجى » . . لماذا تقف عندك ؟ ماذا تفعل هناك ؟ ما اسمك ؟ هل أحرِّر لك مخالفة ؟!.

- سيدى . . أولاد « البيه » ذهبوا إلى مركز الشرطة . . سيدى !

- حسنا عفوت عنك .

كان « العربجى » ينطلق بالعربة « الحنطور » فى الناحية الأخرى من الشارع حين اعترض طريقه أحد الإنجليز ، على رأسه قبعة معوجة، وفي يده عصا من الخيزران ، والعرق يتصبب على خديه . .

- وقِّفْ . . خذنى إلى منطقة الكامب .

- ثمانى روبيات يا سيدى .

- حسنا حسنا ست روبيات .

- لا ياسيدى . .

- بماذا تهذى أنت . .

راح يضرب « العربجى » حتى تكسرت الخيزرانة ، ثم حلّت المصيبة ، تجمع الناس ، ووصل ضابط الشرطة :

- « يا بن الحرام ! اعتذر لصاحب السيادة !

راح « العربجى » يمسح دموعه بطرف عمامته المتسخة . . وتفرق الناس . . ثم ساد الصمت والهدوء الشارع مرة أخرى .

أضاءت مصابيح الكهرباء وسط الضباب الذى غلّف الشارع ، لمحت بالقرب من مجمع المحاكم بعض العمال (الأجراء) بشعور منفوشة ، وملابس وسخة ، انشغلوا بالحديث فيما بينهم :

- ياصاحبى ! اتفقتم على العمل ؟

- نعم تمت المقاولة .

- ربما حصلتم على أجر طيب .

- نعم . .

- ادَّخر قليلا من أجل العجوز . .
- سمعت أن الحرب على الأبواب
- متى ستبدأ ؟
- متى ؟ لا أحد يدرى ، لكن نحن الفقراء الذين ننال أذاها .
- من يدرى الفقير من الغنى آنذاك ؟
- كيف حال الصغير ؟!
- حُمىّ لا تفارقه ، ما العمل ؟ الجيب هنا خال من النقود ، والدواء هناك عند الحكيم .
- إذن اشتغل ، اذهب إلى « الترحيلة » . .
- أفكر . . نعم أفكر .
- كله على الله .
- نعم كله على الله .

كيف يعيش هؤلاء الناس ؟ ثياب ممزقة ، أقدام حافية ، أرجل أعياها التعب ، هؤلاء لا يريدون الحرية ، ولا يريدون التخلص مما هم فيه . . يا لها من أمور عجيبة . . المعدة ، الجوع ، المرض ، الروبيات ، دواء الحكيم ، الحرب . . وعمّ ضوء مصابيح الكهرباء الأصفر الشارع .

امرأتان : إحداهما عجوز والأخرى شابة . . تحمل كل واحدة سلة كبيرة ، تمضيان . . تلهثان كبغلتين منهكتين . . كانت الفتاة الشابة تخطو خطوات أوسع . .

- يا ابنتى ! انتظرى قليلا .

بدت على وجهها تجاعيد كثيرة ، كانت تمشى ببطء ، كانت لهجتها ضعيفة كمن لا حول ولا قوة لها .

- يا ابنتى . . سأنتظر قليلا . . لقد أعيانى التعب . . يا إلهى !!

- يا أماه ، أمامنا عمل كثير ، فعلينا أن نعد الطعام بعد أن نصل البيت ، عليك تَبِعَاتٌ كثيرة يا أماه .

- حسنا يا ابنتى . . حسنا يا ابنتى .

وراحت العجوز تهرول خلف الفتاة الشابة بينما الحِمل الثقيل يهز رجليها فتتعثر قدماها .

كم مرت العجوز من هذا الشارع عبر عشرات السنين وهى تحمل هذا الحمل الثقيل ! لم يخفف عنها أحد حملها ، ولم يمهلها أحد لتستريح للحظة ، فهى دائما تمضى . . تهرول ، تصطك ركبتاها ، وتتعثر قدماها ، فى أخاديدوجهها حزن وغم وجوع ، وقلق وعبودية، عبودية مئات السنين . . !

ثلاث أو أربع صبايا يرتدين السارى ، مناظرهن مثيرة ومغرية ، اكتملت زينتهن بطريقة فاضحة ، أخذن يتحدثن وهن يمشين فى خلاعة :

- يا أختاه ، سوف نتنزه اليوم فوق مرتفعات « شمله » .

- يا أختى لنذهب اليوم إلى « حديقة لورنس » .

- أختى . . أختى . . اليوم نذهب إلى « أناركلى » .

- لا . . إلى « ريجل » .

- اخرسن أيتها الحمقاوات .

الشارع اليوم مزين بزينات حمراء ، هنا وهناك عُلّقت الأعلام ، واصطف رجال الشرطة فى كل مكان ، فهناك رجل كـبير ومهم قادم سيـمـر من هنا . . على جـانـبى الشـارع ، وقف أطفـال المدارس الصغـار، وقد عقـدوا فوق رؤوسهم العمـامات الزرقاء ، وقـفوا فى صفين على طول الشارع حاملين فى أيديهم أعلاما صغيرة . . ظهرت قشـور تجمـعت على الشـفاه من أثر العطش ، ولمعت وجـوههم من حرارة الشمس ، وهكذا ظلوا واقفين ساعة فى انتظار الضيف الكبير . .

كلهم الآن صامتـون ، كان بعضهم قـد جلس فى ظل شجرة ، فقام الأسـتاذ ، وأمسك بأذن كل واحد منهم ، أقامـه من مجلسه ، انفرطت عمامة « شفيع » فراح الأستاذ يحملق فيه : يا شفيع ! سوِّى عـمامـتك . . نزل شلوار « بيارى لال » إلى تحت قـدميـه ، وتدلى الإزار إلى أن وصل إلى حـذائه . . : « بيارى لال » . . ! كم مـرة أفهمتك ؟ !

- يا أستاذ . . ماء . . ماء يا أستاذ !

- من أين أحضر الماء ؟ أتظنون أنكم فى بيوتكم ، انتظروا دقيقة أو دقيقتين ، سوف يحين موعد الانصراف خلال لحظات . .

دقيقتان . . ثلاث دقائق . . نصف ساعة !!

- ياأستاذ ماء ، ماء يا أستاذ !

- يا أستاذ ماء ، ماء يا أستاذ !

- أنا عطشان خالص يا أستاذ !

لكن الأستاذ لا ينتبه أبدا لمثل هذه النداءات ، فهو يدور مهرولا هنا وهناك :

- يا أولاد ! انتبهوا ! انظروا ! لوِّحوا بالأعلام هكذا . . إيه . . أين علمك ؟ اخرج من الصف ، يا ملعون . . ابحث عن العلم. . .

الموكب قادم . . .

قدمت الدراجات النارية ، صوت الصفارات يمتزج مع صوت الهتافات ، والأعلام الصغيرة تتحرك بجفاء حركات لا روح فيها ، مع الهتافات الكئيبة التى تخرج من الحلوق الجافة . . ومر الضيف الكبير من الشارع ، وتنفس التلاميذ الصعداء ، وكأنهم نجوا من عذاب جهنم ، فانطلقوا يقفزون هنا وهناك ، يكسرون الأعلام وهم يتصايحون ، فيختلط صياحهم مع صياح الباعة المتجولين :

- هيا ! هيا ! « البليلة » الساخنة .

- تعال ! تذوق الحلوى الفريدة . . .

- أقبلوا ! أقبلوا ! على الكفتة والكباب بالخبز الساخن . .

يتعارك أحد الباعة المتجولين مع درويش أطلق شعره حتى وصل إلى ما تحت كتفيه :

- لكنك قلبت الصينية . . لن أتركك تمضى . . خسّرتنى ثلاث روبيات . . وأنا مسكين فقير . . إن عوّضتنى عن هذه الخسارة تركتك تمضى . .

في ضوء الـصباح الخـافت ، بدأ الكنّاس يحـرك مكنستـه فوق الشارع ، وقد غطى أنفه وفمه بقطعة من القماش ، شبيهة بتلك التى توضع على وجوه الثـيران حين تدور فى الساقيـة ، كان يمضى وسط التراب والغبار يدفع المكنسة ، بينما عامل البلدية يرش الشارع بالماء ، مستخدما عربة يجرها ثوران ، ظهـرت على رقبتيهما جروح غائرة ، كان عامل البلدية يرتعد من شدة البرد ، وهو يحاول أن يُدندِن بلحن أو أغنيـة ، وراحت عيـون الثورين اللـذين يجران عـربة الماء تنظر ، تتطلع كم المسافة المتبقية على نهاية الشارع .

على جـانب من الشـارع جلست « شـحاذة » عـجـوز تصطك أسنانها الوسخـة تحت شفتيها ، بينمـا تتجه عيناها المفتوحـتان اللتان فقدتا البصر ناحية السماء :

- لله . . لله . . اعطف على الفـقـير لله ، ألا يعطف إنسـان على أخيه الإنسـان . . كان الشارع ساكنا صـامتا . . يرى كل هذا ، لكنه لا يحرك سـاكنـا ، مثل قـلب الإنسـان هنـا ، لا رحـمة فـيه ولا حسّ . . متوحش . .

كـثيرا مـا فكرت ، وأنا فى منـتهى الغـيظ والغـضب ، مـاذا سيحـدث إذا ما أشعلت فيـه فتيل « ديناميت » وفـجرته عن آخره ، سوف أشـاهده ، وقد تفـتت وتحول إلى قطع صـغيـرة ، تتعـثر فى الفضاء مع صوت انفـجار مدوى . . وقتها ربما غمـرتنى السعادة التى لا يمكن أن أقدر مداها . . وأحيانا أمضى على هذا الطريق كالمجنون، أو لو مزقت مـلابسى ، ورحت أرقص عاريا أصيح وأصـرخ أقول :

أنا لست بإنسـان ، أنا مـجنـون ، أنا أكـره الناس ، امنحـونى عبودية مستشفى المجانين ، لا أريد أن أنال حرية هذه الشوارع . . .

الشارع ساكن صامت . . وفوق الأغصان على الأشجار جلست النسور وقد غلبها النعاس . .

هذا الشارع بطول فرسخين .

رجل كالمجنون

كرشن تشندر

رجل كالمجنون

كان شريف يجلس مع حبيبته نازلى فى منتزه « سادهوداسواتى » الواقع بالقرب من محطة « باندره » وأمام محطة « إسّو » للمحروقات، لم تكن هناك أسوار حول المنتزه . . كان الوقت وقت المساء وهناك ظهر شبح شجرتين ضخمتين قديمتين نخرهما السوس فى جانب ، بينما فى الجانب المقابل صف طويل من الأشجار المنزرعة حديثا ، والتى ستكون بعد عشر سنوات مقبلة ساترا يحجب المحبين عن أعين المارة . . وإلى أن يحين ذلك الوقت وأمام جدار الشرفة الكالح السميك الذى تركت عوامل التعرية عليه آثارها الواضحة كانت الأحاديث تُتداول والحكايات تُنسج . .

لكن سبب جلوس شريف ونازلى هنا كان سببا آخر ، فبيت نازلى كان يقع أمام هذا المنتزة بالضبط ، وكانت الشرفة المقابلة تبدو ظاهرة تماما من هنا . . الشرفة التى كانت تقف فيها آسية أخت نازلى الصغرى لتتمكن من اطلاع نازلى ، وتنبيهها إلى أى خطر يلوح فى الأفق من بعيد . . كانت أم نازلى قد ذهبت لشراء الخضروات من بائعات الجملة اللاتى يفترشن الأرض فى الحارة المقابلة لمحطة « باندره » ؛ ففى المساء تُباع الخضروات بالجملة داخل سلال وأطباق كبيرة ، صُنعت خصيصًا لهذا الغرض وتُباع رخيصة جدا ؛ إذ تكون البائعات فى شوق شديد إلى إفراغ سلالهن وأطباقهن المليئة بالخضروات بأى

ثمن والعـودة مبكرا إلى بيـوتهن .. ويتم التـفاهم بين النســوة على الثمن بعـد « فصال » لا يدوم طويلا .. بينما تدور أحـاديث أخرى عن المعاناة والمتاعب النفسيـة ، وهكذا يتم تبادل المشورة بين البائعات والشاريات مشورة وقتية .. وينعقد بينهن رباط محبة دائمة من خلال أحـاديث عن البـيت وأخرى عن أهـل الزوج وعن بيت الوالدين .. أحاديـث عن الأولاد والبنات .. يقمن أيضـا بوضع الزوج فى كـفة الميزان جنبـا إلى جنب مع « القرع » و « الباذنجان » و « البـامية » ، ودائما ما تكون كفـة الزوج خفيفة غير راجحـة ، فشراء الرجل أيضا يُحسب له ألف حساب ! .. ويفـتح « الجوال » ، ويوضع فيه الطبق الكبير المليئ بالخضار ، وتُلقى النقود ، ويروح كل إلى حال سبيله .

سوق الخضار المسائى هذا هو بلا شك ملتقى اجتماعى ، وهكذا إذا ما ذهبت أم نازلى لشراء الخضار من هذا الســوق ؛ فلا يمكن أن تعود قـبل ساعـة ، وفى طريق عودتهـا أيضا تكون دائمـا تحت نظر نازلى وشريف ، فـهى تأتى من الناحيـة الشماليـة بعد أن تدور على منحى الطريق القادم من ناحية السوق .. عندها تبدو ظاهرة للعيان .

أما والد نازلى فقد كان فى ذلك الوقت يشرب « النارجيلة » مع مولوى خـير الدين ، ومن هناك سـيذهب الصـديقان مـعا إلى ركن الكبـاب فى مطعم « يوبى » ليتـذوقا بعض الطعـام ، ويتذكـرا تلك الأيام حين كانت النساء يتمسكن بالحجاب ، وكان الأولاد لا يدخنون السجائر أمام كبار رجال العائلة ، وكان السكر الأحمر الخمسة أرطال بروبية واحدة ، كان الأب أيضا يسلك طريقا محددا لا يغيره أبدا ، ولهذا

فسوف يأتى من الناحية اليمنى لشارع « طغلق » ، وكان بيت نازلى فى مرأى النظر من هاتين الناحيتين من اتجاه اليمين ، واتجاه اليسار وحتى من الناحية الأمامية ، لم يكن هناك أى خطر ، فآسية هناك قابعة فى الشرفة ، تتظاهر بأنها غارقة فى تطريز قطعة من القماش . . وهى على كل حال على وشك بلوغ العام الخامس عشر ، وسوف يأتى زمانها أيضا وحينئذ سوف تكلف أختها فوزية البالغة من العمر الآن سبع سنوات بأن تتولى أعمال الحراسة تماما كما تفعل هى الآن .

قالت نازلى وقد غرقت فى عالم من اليأس :

- إلى متى سنظل نلتقى هكذا ؟

فرد شريف :

- قولى . . وسوف أبعث برسالة فورا إلى بيتكم !

- أقول . . أقول ماذا ؟ بل ماذا تريدنى أن أقول ؟

- سوف يقال إن الشاب يدرس دورة الإخراج فى معهد السينما وسوف يحصل على الدبلوم وسيصبح مخرجا .

- أبى سيضع إصبعيه فى أذنيه ، ويشدهما قائلا : التوبة يا إلهى إذا ما سمع كلمة فيلم .

- إيه . . نعم ! إنه يشاهد الأفلام أيضا ، هو ومولوى خير الدين وصاحب مطعم « يوبى » معراج ميان ، يذهبون معا فى الخفاء ويشاهدون السينما . . أنت بنفسك أخبرتينى بذلك .

- هذا صحيح ؛ قالت نازلى هذه الجملة ثم نظرت إليه وهى تقول : « لكنك لا تكسب شيئا » .

- أقول إنهـا مسـألة سنة واحدة . . انتظرى سنة واحـدة سوف أنتـهى من دورة الإخراج ، وسـوف أصبح مـخرجا يـكسب خمـسة وعشرين ألف . . نعم .

- « صحيح ؟ » ولمعت عينا نازلـى بالسرور ، وكأنها ترى اسم الممثل محمد شريف على لوحة الإعلانات الضخمة .

وفجـأة نهضت آسية من الشـرفة المقابلة ، وراحت تحـرك بشدة منديلا أحمر فانتفضت نازلى واقفة وقالت :

- إنى ذاهبة . . أبى قادم .

كانت آسية قد شاهدت أباها من بعيد ، فالمنديل الأحمر يعنى أن الأب قـادم بينمـا المـنديل الأزرق يعلن إذا ما رفـرف فى الهـواء عن قدوم الأم .

قفزت نازلى وأسرعت تعود من البوابة الغربية ، واندفعت تجرى إلى بيتهـا من الشارع الخلفى للمتنزه ، حدث ذلك بـسرعة لم تُمكّن شريف من أن يسألها متى يلتقـيان مرة أخرى . . حسنا سوف يفكران فى حـيلة مـا بعـد ذلك ، وبينمـا راح يفكر فى الأمـر ، ويستـعـد للنهوض من فوق الأريكة المـمتدة تحت الشجرة الضخـمة التى نخرها السوس إذا به يرى فتى نحيفا ضعيفا ، علت وجهه صفرة زعفرانية ، يجرى مندفعا داخل المتنزه ، ويتجه ناحيته ، وعلى بعد خطوات قليلة منه راح يتلوى ، ثم سقط على الأرض فجأة ، واصطكت رأسه بقوة فى إصيص شتلات نخيل الزينة .

وقف شريف مبهوتا لبرهة ، ثم تقدم وانحنى ينظر ناحية الفتى، كانت عيناه مغمضتين ، بينما علت الصفرة وجنتيه ، وازرقت شفتاه ، وتخشبت يداه إلى جنبيه فى اتجاه قدميه . . راح شريف يُعاين بدقة وحذر رأس الفتى الذى فقد وعيه ، لا شك أن رأسه قد اصطدمت بشدة فى الإصيص الفخارى ،لكن لا توجد دماء . . من الواضح أنه لا توجد أيضا علامة مكان ارتطام الرأس بالإصيص . . لكن بدا أن هناك رضوضا داخلية فى رأس هذا الفتى ، جعلته يغيب عن وعيه .

نظر شريف هنا وهناك ، ومن الصدفة العجيبة ألا يوجد فى المنتزة غيره . . كان الطريق من خلف المنتزة يمضى يمينا ويسارا ، أما الطريق الأمامى فكان طريقا مرصوفا يتفرع منه أربعة طرق : طريق يتجه إلى محطة « باندره » ، وآخر يتجه إلى شارع كارتر ، وثالث يمضى ناحية مسجد باندره ، والرابع طريق فرعى يخرج منه طريق آخر خامس توجد فيه إضاءة ، وفيه مظلة صغيرة يقف تحتها شرطيان . . ذهب شريف إلى أحدهما وقال له :

– هناك فتى فى المنتزة سقط مغشيا عليه .

فأجاب الشرطى :

– وماذا عساى أفعل له ؟ الوقت الآن ليل ، وأنت ترى حركة المرور لا يمكننى ترك عملى الآن والذهاب إلى أى مكان .

غرق شريف فى عالم من اليأس وهو يتوسل إلى الشرطى أن ينصحه ماذا يفعل .

– وما علىّ أن أفعل ؟ !

راح الشـرطى ينظر إلى وجه شـريف الذى علتـه براءة عجـيبـة وتعاطف غريب . . فقال له بلهجة رقيقة :

- ضعه فى تاكسى واذهب به إلى المستشفى .

نظر شريف هنا وهناك . . لم يـجد فى أى ناحية صنبـور ماء ، فقـد أراد أن يحمل بعض الماء ، ويرشـه على وجه هذا الفـتى الذى غاب عن وعـيه ، فلعله بهذه الطريقـة يفيق من غشـيته . . وأمـامه شاهد محل فـاروق ميان « الفكهانى » جنب مـحل داؤود الذى يبيع الأثاث ، كان شريف وفاروق فى زمن مضى يدرسان معا فى المدرسة ثم التحق شـريف بالكلية ، بينما فتح فـاروق محلا لبيع الفـاكهة ، ويكسب فاروق من هذا المحل على الأقل ألفا وخمسمائة روبية شهريا . . مـلأ شريف مـن محل فاروق كـوبا من عصيـر البرتقـال ومضى إلى المنتزة .

بدأت الحركـة تدب فى جسد الفتـى ، فسحبـه شريف إلى ظل شجـرة ، ورفع رأس الفتى إلـى حضنه ، وراح يقـرب العصـير إلى شفـتيـه بيد ، بينمـا راحت يده الأخرى تسند رأس الفـتى الذى راح يرشف العصيـر ببطء شديد وبصعوبة ، ثم راح يـتلعه بعد ذلك فى يسر وسهولة . . وبعد أن أجهز على الكوب فتح عينيه ، كانت عيناه المخيفتان غائرتين بطريقة عجيبة ، وكانت عظام وجهه تكاد تخرج من جلده ، وبدا كأنه لم يتناول شيئا منذ عدة أيام .

- كيف حالك الآن ؟

سأله شريف وقد امتلأ قلبه عطفًا وحنانا على الفتى ، فربما أصيب المسكين بالجنون . . . هكذا فكر شريف ، وظن أنه لو استراح عدة ساعات ، واطمأن لمن حوله فربما فاق وعاد إلى رشده . . وربما يكون هذا الفتى قد غرق لفترة طويلة في قراءة الكتب . . وتتداخلت الأفكار فى رأسه . . نادى على سيارة أجرة ، وأخذ الفتى من منطقة باندره إلى بيته الواقع فى منطقة « سانتاكروز » .

كان شريف الابن « الحيلة » أو الوحيد لأمه التى تعمل عميدة لإحدى الكليات المتوسطة ، وكانت تعطف على شريف بلا حدود . . فقالت له حين رأته :

- والآن . . من هذا الذى جئت به ؟ !

فانفعل شريف من فوره وقال :

- ألا تشاهدين حاله !! أمى هذا المسكين اصطدم بإصيص من الفخار الصلب ففقد وعيه . . أعدى له السرير ، لابد أن نرقده على السرير . . سوف ينام عدة ساعات ، ولابد أنه سيسترد وعيه ويفيق .

هزت الأم رأسها عدة مرات وقد غرقت فى عالم من عدم الثقة لا نهاية له ، لكنها كانت على دراية كاملة بطبيعة ابنها ، فأعدت السرير ، وقام قاسم الخادم والأم وشريف ثلاثتهم بوضع الفتى على السرير . . ومن ناحية السرير صدرت عن الفتى همهمات :

- غو . . غو . . غو . .

- ما اسمك . . ؟

- اى . . ن ا ى . . ن ا ى . . ن .

- من أين جئت ؟

- عان . . . عان . . عان . .

تأكـد شـريف أن ارتطام رأس الـشـاب بالإصـيص قـد أصـابه برضوض داخلية فاختل عقله . . مسكين هذا الشاب !

سأله شريف برقة وعطف .

- أين ستذهب ؟

- « الجبهة » .

خـرجت الكلمة من فم الفـتى الذى رقـد وراح ينظر هنا وهناك بعينين زائغتين ، ثم بدأ يغمغم :

- « نا . . . نا . . . » .

حاول الفتى أن ينطق بصعوبة ، فقال شريف :

- نار ؟ !

فقالت أم شريف بلهجة حادة :

- نعم ضعوا على جبهته قطعة من النار ، وسوف يفيق ، ويعود إلى رشده لا محالة .

فقاطعها شريف :

- أماه . . يا أمـاه لماذا هذا الاستـهزاء ؟ أليس لـلإنسانيـة قدر عندك . . هيه ؟

وعاد الفتى يغمغم ثانية : « نا . . نا . . »

فقـال شريف : إنـه يتذكـر شيئـا . . ها هو يسـتعـيد شـعوره وإدراكه . . واستدار ناحية الفتى وقال له :

- « انكوجـها » أى منديـل الفقـير الهنـدوكى الذى يلفه حـول جسمه . . فهز الفتى رأسه بالنفى فقال له شريف :

- « أنكوها » أى الصديرى الذى يرتديه الهنادكة . . فـهز الفتى رأسه بالنفى ثانية فقالت الأم بلهجة كلها تهكم وسخرية :

- أنكولا . . لعله يريد أن يذهب إلى الجبهة فى أنكولا . . لقد قال قبلا الجبهة ، وكـانت الأم على وشك أن تكمل حديثها لولا أنها لمحت نظرات ابنها تقدح بالشرر ، فلزمت الصمت . . ونطق شريف فجأة :

- « أنكور » أى عنب . . فـارتسمت ابتسـامة على وجـه الفتى فسأله شريف بلهجة كلها رقة :

- هل تأكل العنب ؟ !

فهـز الفتى رأسـه بالإيجاب ، عندئذ أدارت أم شـريف وجهـها غاضبةً ، لكـن شـريف لم يكـن ليصغى إلا لـصوت ضميره ، ففتح « الثلاجة » ، وأخرج بعض عناقيد العنب ووضعها فى طبق ، وراح يفرطها حبـة حبة ، ويضعها فى فم الفـتى . . وبعد أن أكل الفتى ما يقرب من كيلو أخذ نفسا عميقا ، وغيّر من وضعه ، وتمدد نائما على السرير .

بعد ساعتين نهض الفتى من تلقاء نفسه وراح ينظر حواليه وقال :

- من جاء بى إلى هنا ؟

ورأى شريف هذا فسر كثيرا ، فقد عاد هذا المجنون إلى رشده ، وحكى شريف للشاب الحكاية كلها ، فوضع الفتى يديه على رأسه ، وراح يضغط عليها قائلا :

- ولهذا . . . حتى الآن . . . آه . . . رأسى تدور . . يجب أن أرجع الى بيتى .

- أين بيتك ؟

- فى كليان .

- القطار المحلى يذهب من بمباى إلى كليان ، سوف أرافقك إلى محطة القطار .

- ونهض الفتى ونزل من على السرير وهو يقول :

- لا . . لا . . سأذهب بنفسى .

ثم وضع يده على جيب قميصه وقال :

- لكن أين محفظتى ؟

- محفظتك ؟ ! سأله شريف : أليست فى جيبك ؟ !

بحث الفتى فى جيوب « بنطلونه » وراح ينظر إلى شريف بنظرات كلها شك وريبة ، فسأله شريف :

- كم روبية كانت فى محفظتك ؟

فرد الفتى بقدر من التعلثم والاضطراب :

- عشرون روبية .

فقدم له شريف عشرين روبية ، وأوصل الفتى إلى محطة « كهار » ، وكان مسرورا جدا ؛ لأن عقل الفتى المختل أصبح معافى ، ولأن

الفتى راح يتكلم بطريقة سليمة كبقية خلق الله ، وراح شريف يوضح لحميد - وهذا هو الاسم الذى ذكره له الفتى - بكل تفصيل أن يركب من محطة « كهار » ليصل بالقطار المحلى إلى « دادر » ، ومنها يأخذ القطار الآخر الذى يوصله إلى « كـليان » مباشـرة ، ولو أخذ القطار السريـع فإن هذا القطار لن يتـوقف عند المحطة التى يريدها . . فـهز الفتى رأسه قائلا :

- أعرف أعرف كل شئ . . لقد تذكرت كل شئ الآن .

ودّع الفـتى شريـفا ، وبدلا من أن يتـجـه إلى « دادر » نزل فى الطريق فى مـحطة « مـاهم » ثم خـرج من المحطة ، وراح يدور من مبنى إلى آخـر ، ويتحرك من مكان إلى مكان حـتى وصل إلى حيث كانت أمه فى انتظاره قلقة مضطربة . . وحين رأته بادرته بغضب قائلة :

- أين كنت كل هذا الوقت ؟ ! لقد انقضى معظم الليل !!

قال حميد :

- ماذا أفعل يا أمى ؟ ! لقـد أمسك بى رجل لا يريد أن يتركنى أبدا . . مرة يسقينى عصيـرا ، ومرة يطعمنى عنبا ، ومرة يطلب منى أن أستريح على سريره ، وحين أردت أن أعـود أعطانى أيضا عشرين روبية . . يا للعجب . . كان رجلا بدا وكأنه مجنون !!

وأخرج حميد من جيبه عشرين روبية قدمها إلى أمه وراح يقهقه بصوت عال !

شـجـرة المـــاء

كرشن تشندر

شجرة الماء

حيث تقع قريتنا توجد ، على جانبيها ، سلسلة من الجبال الصخرية الصلبة الكالحة ، وسلسلة الجبال التى تقع ناحية الشرق جبال ملساء تماما ، بداخلها مناجم استخراج الملح الصخرى ، أما سلسلة الجبال الغربية فتنمو عليها أشجار السنط وسط النباتات الأنبوبية المتسلقة ، وصخور هذه الجبال سوداء قاتمة ، لكن داخل هذه الصخور السوداء نبعين من الماء العذب . . وبين سلسلتى الجبال وادٍ صغير منخفض تقع عليه قريتنا ، وكأنها نائمة على خشبة داخل كفنها [1] .

الماء فى قريتنا شحيح جدا ، ومنذ وعيت الحياة ، وجدت سماء قريتى تتلظى وتشيط ، ورأيت الأرض هنا لاهثة ، أنفاسها منهكة ، ورأيت على أيدى ووجوه الكادحين من أهل قريتى بريقا كأنه صادر من مرآة كالحة ، يحمل بداخله علامات الحرمان والحاجة عبر عطش السنين .

وتبدو بيوت قريتنا والأرض التى تحيط بها كالحة ، ضربها الجفاف ، فغطاها لون السواد المائل إلى الحمرة والصفرة ، حتى أعواد الشعير التى ظهرت كان لونها محروقا بل يميل إلى السواد ، وهذا هو حال فلاحى قريتى ، وحال ملابسهم ، فقط النساء فى قريتى قمحيات اللون ، خمريات ؛ لأنهن يجلبن الماء من النبع ، وذكرياتى منذ طفولتى ، ذكريات الماء : ألم الماء ، تبسم الماء ، وجود الماء ، ضياع الماء . . فهو لب إرهاصات الفراق ، وتأخير الوصال .

(١) شبه الأديب الوادى بقطعة القماش (تلهتى) التى تفرش تحت كفن الميت الهندوكى ، وللعبارة مغزاها وللتشبيه مغزاه أيضا . .

أذكـر حين كنت طفـلاً صغـيـراً ، كنت أداوم على الذهاب مع جدتى إلى المنخفض القريب من القـرية ، حيث كانت تغسل الملابس على شـاطئ نهر « رفـيل » الصغـيـر ، وبينما كـانت جدتى تغـسل الملابس ، كنت أقوم بمسـاعدتها بوضع الملابسحـتى تجف فوق الرمال الصفراء اللامعة ، على ضفتى النهر الصغير ، كان الماء فى هذا النهر الصغير قليلا جدا ، فالنهر ضـيق ، ويبدو للناظر كخيط رفيع يتهادى مثل « بانو » ابنة عـمدتنا « بيندا خان » ، كنـت أسعد كثـيرا ، وأنا ألهو وأفـرح مـــع ذلك النهـر ، مثلما ألهـــو وأمرح مـع « بانو » ، كانت ابتسامتهـا حلوة ، عذبة لا يعرف قدرها إلا من يعمل مثلى فى منجم الملح .

أذكر أن نهرنا « رفيل » كان يفيض بالماء ستة أشهر فقط كل عام ، ويجف سـتة أشـهر ، فحـين ينقضى فـصل الربيع ، يبدأ النهـر فى الجـفاف حـتى يجف تماما مع بدايـة الصيف ، فـيكشف مجـراه عن أحجار زرقاء ، صغـيرة ، متناثرة هنا وهناك ، أو عن وحل طرى ، إذا مشـينا فوقه حسـبناه بساطا من حرير ، وخـلال أيام قلائل يجف أيضا الوحل الموجود فى قاع النهر ، فيـتحول قاع النهر إلى شبكة من الشقوق والفتحات الدقيقة ، مثل قشور جافة تجمدت على شفاة فلاح كادح . . ويبدو النهر للناظرين كأن رمـاله الملتهبة ، لم تذق قطرة ماء منذ سنوات عديدة . . أذكر أننى اضطربت وأصابنى قلق شديد ، حين وجدت النهر لأول مـرة ، وقد جف هكذا ، ولم أسـتطع النوم فى تلك الليلة .

في تلك الليلة أخذتنى جدتى فى حضنها ، وراحت تقص علىّ لفترة طويلة حكايات عجيبة ، وبقيت طوال الليل - فى حضن جدتى - أتذكر الكثير من الأمور المحببة لقلبى ، المتعلقة بنهر « رفيل » ، أتذكر حين كنت أمشى ، أتبختر وأتمايل فوق أحـجاره المتحركة ، ثم أمضى بين هذه الأحجار بسرعة ، وأبتعد عنها ، أتفاداها ، مثلما تسرع بانو فتميل عند ناحية الحارة ، وهى غاضبة ، وحيث يوجد حجران قريبان من بعـضهـما أقـوم أنا وبانو بجمع الـدخن المعلقة على عـيدانهـا ، ونطحنها بالحجرين ، نحيلها إلى دقيق .

كيف لهذا النهر الذى مضى هادئا أن يعود . . جفّ النهر تماما .

بعد أن تذكرت كل هذه الأمور سألت جدتى :

- جدتى ! أين ذهب نهرنا ؟

- اختفى تحت الأرض .

- لماذا ؟

- خوفا من الشمس .

- لماذا ؟ لماذا يخاف الشمس ؟ ! الشمس طيبة جدا .

- الشمس ليست واحدة يابنىّ ، هناك شمـسان : شمس الشتاء ، وهى طيبة جـدا ، وعطوفة أيضا ، وشمس الصـيف ، وهى شديدة الحرارة ، أشعتها ملهبة ، وهى أيضا شمس غاضبة ، وكلتاهما تأتيان كل عام إلى قـريتنا بالتناوب ، وطالما وجـدت شمس الشـتاء ، يظل نهرنا سـعيدا بها مـسرورا برفقـتها ، لكن حين تأتى شـمس الصيف الظالمة تبـدأ فى خلع الملابس عن جسـد نهرنا ، فتـخلع عنه كل يوم

طبقة من طبـقات ملابسه ، وفى آخر أيام الربيـع ، يبقى على جسم النهـر رداءٌ شفاف خـفيف مـن الماء ، وفى تلك الليلة يخجل نهـرنا فيختفى تحت الأرض ، وينتظر شمس الـشتاء التى ستأتى له فى العام التالى بكسوة جديدة من الماء .

أغلقت عينى حياءً وأنا أقول :

- حقا شمس الصيف سيئة جدا .

- هيا يا بنى . . نم .

لكن النوم لم يعرف طريقه إلىّ ، فعدت أسألها من جديد :

- ياجدتى ! لماذا ماء جبل الملح حول قريتنا مالح ؟ !

فى قريتنا كان الأطفـال يتساءلون كثيرا عن الماء ، كـان الماء يثير دائما خيـالهم ، ويجول فى أعماق أذهانهم ، فـى القرية الأخرى ، حيث يكسـر المـاء ، ربما يبحث الأطفـال هناك عن جزيرة الذهب ، أو ربما يبـحـثـون عن طريق الحـوريات ، لكن الأطفـال فى قـريتى يخرجون - منذ أن يدركـوا الحياة - للبحث عن الماء ، فيلعبـون لعبة البحث عن الماء حتى فوق الهضاب والتلال البعيدة ، وقد خرجت أنا أيضـا فى طفولـتى للبحث عن المـاء ، وفوق جـبل الملح اكـتشـفت ينبوعين أو ثلاثة ، مياهها عذبة ، لا أزال أذكر هذا حتى اليوم ، كم كنت سعيداً حين خرجت للبحث عن أول ينبوع ماء ، أتذكر كيف رحت بيدى المرتعشتـين ، أزيح بأصابعى الصغيرة الأحجار للـماء المتدفق حتى يجد طريقه خارجا من بين الـصخور . . وحين غرفت من الماء لأول مرة غرفة بين يدى ، كان الماء يرتعش بين كفـتى ، كأنه عصفور وقع حالا ،

بين يدى طفل ، وحين ملأت كفى بالماء وقربتـها من لسانى . . أذكر كيف تحول سرورى المرتعش إلى غصة مُرّة كأنها علقم . . حين وصل طعم الماء إلى طرف لسانى شعرت كأن عـقرباً لدغنى ، وأصاب سمه روحى بالمرارة ، فتفـفت الماء ، ثم ذهبت لأبحث عن ينبوع جديد ، لكن لم أجد حـتى اليوم أى ينبـوع للميـاه العذبة فوق جـبل الملح ، ولهذا حين بدأ النهـر يجف ، جعلتنى ذكرى ينابيع المياه العـذبة قلقا مضطربا ، فسألت جدتى :

- جدتى ! لماذا ماء جبل الملح مالحا ؟ !

قالت جدتى :

- هذه حكاية أخرى

- احكيها إذن !

- لا . . لابد أن تنام الآن .

- إذا لم تحكيها سوف أبكى .

- حسنا يا صغيرى . . سأحكيها لك ، لكن لا تصرخ .

- لا . . لن أفعل .

- ولن تقاطعنى أثناء حديثى .

- لا . . لن أقاطعك .

- حسنا . . اسـمع ! جبل الملح الذى تراه فى هذه الناحيـة كان فى الزمن الغابر امـرأة ، هى زوجة ذلك الجبل الذى توجد فـيه اليوم ينابيع المياه العذبة .

- ثم . .

- ثم ذات يوم نشبت الحرب بين الجن ، وهذا الجبل الذى أمامنا كان زوجا لتلك المرأة ، اشترك أيضا فى الحرب وخلّف من ورائه زوجته ، وطلب منها الا تذهب إلى أى مكان حتى يرجع إليها ، وألا تكلم أحدا فى غيابه ، وأن تهتم فقط بشئون بيتها .

- حسنا .

- نعم . . ظلت المرأة تنتظر زوجها الجن لعدة سنوات ، لكن زوجها لم يعد من الحرب ، وذات يوم جاء إلى بيتها جنى أبيض ، فهام بها حبا وصار عاشقا لها .

- ماذا يُقصد بالعاشق ؟

توقفت الجدة وقالت :

- ها أنت تقاطعنى ثانية !!

ففكرت وقلت فى نفسى ، لو غضبت جدتى ، فلن تحكى لى نهاية القصة ، وها هى الحكاية صارت مشوقة ؛ لهذا يجب أن ألتزم الصمت وأسألها فيما بعد عمن يكون العاشق ، ولهذا فكرت بسرعة وقلت لجدتى :

- حسنا . . حسنا . . جدتى احكى لى ماذا بعد . . لن أقاطعك ثانية .

بدأت جدتى الحديث بعد أن أظهرت غضبا يدل على أنها لا تريد أن تكمل الجزء المتبقى من الحكاية . . بدأت تقول :

- يا ترى ماذا حدث . . آه . . طلعت زوجة الجبل الغربى خائنة غير وفية ، حين أكّد لها الجنى الأبيض - وهو يكذب - أن زوجها الأول مات فى الحرب التى نشبت بين الجن ، قبلت الزواج منه .

- لماذا نشبت الحـرب بين الجن ؟ هكذا خرج السـؤال من لسانى رغما عنى .

- ها أنت قاطعتنى » ،قالت جدتى بغضب شديد : روح . . . لن أحكى لك شيئا بعد ذلك .

- لا ياجـدتى . . يا جـدتى الـطيـبـة ، حـسنا . . . الآن لن أقاطعك بتاتًا ورحت أتوسل إليها :

- ثم . . . ثم .

- ثم فى يوم من الأيـام وبعـد سنوات وسنوات قـدم إلى هذا الوادى جنى عـجـوز ، كـان الزوج الأول لـتلك المرأة ، وحين رأى زوجته مع الجنى الأبيض ، استشاط غضبا ، وحمل فـأسا ، وقتلها وقتل الجنى الأبيض أيضـا ، وبعدها وجد هذان الجبـلان بدعاء شيخ طيب ، وتحول هؤلاء إلى صـخور ، فمـياه الجبل الذى أمـامنا عذبة بتأثير المحبة الصادقة ، وميـاه الجبل الذى يواجهه مالحة ، وفيه مناجم الملح ؛لأنه هو المرأة التى تذرف الدمـوع فى كل وقت على خـيانتـها لزوجها وعدم وفائها له ، وحين تجف دمـوعها تتحول إلى ملح يقوم أبوك كل يوم بالحفر فى الجبل لاستخراجها .

- ثم . .

- ثم انتهت الحكاية !

انتـهت الحكاية ونسـيت السـؤال الذى كنت سألـته ، ونسـيت الجـواب الذى كنت سمـعـته ، سـمعت الحكـاية ، وتنهدت براحـة واطمئنان ، واسـتدرت على فراشى ، ورحت فى نوم عـميق ، لكن منظر منجم الملح كان يتراءى لى ، أمام عينى فى منامى ، حيث كان أبى يعمل ، حيث سأضطر أنا أيضا للعـمل حين أكبر وأصبح شابا ، حيث ذهبت لأول مرة مع أمى ، وهـى تحمل الطعام لأبى . . أوه!! كم كان منجمـا كبيرا ضخـما ! جوانبه الأربعة . . أطرافـه ، أعمدة الملح بداخله ، كـانت هناك مرايا من الملح مثبتة عـلى جدران منجم الملح ، وفى مكان ما كـانت هناك بحيرة من الملح ، جوانبـها الأربعة حيطان زرق ، وكان السـقف أيضا من الملح الذى راح يشكل قطرات تتساقط ، حتى كونت بحيرة من الملح ، وفجأة تخيلت أن هذه دموع تلك المرأة التى تحـولت بدعاء الشـيخ الطيب إلى جـبل من الملح . . رأى أبى البحيرة وقال : هنا كمية كبيرة من الماء ، ومع هذا لا يوجد مـاء فى أى مكان !! نظل نعـمل طوال اليـوم فى منجم الملح حـتى تغطى ذرات الملح اللامعـة الجسم ثم تتجمع وتبدأ فـى التساقط ، فى ذلك الوقت يشـعر الإنسـان بالملل والوحـشة ، ويتـمنى لو أن هناك بحيرة من الماء العذب فيغطس فيها .

الماء ! الماء !

لم يكن هناك ماء فى أى مكان فى القـرية كلها ، لم يكن هناك ماء أيضا فوق جبل الملح ، لو كان هـناك من ماء فهو فوق هذا الجبل الذى يحمل وفـاء المحبة ، أو فى نهر « رفـيل » ، لكن هذا النهر سيـبقى

غائبا عنا لستة أشهر ، ثم إنه سيغيب ، ذات يوم - على الدوام ، وسنظل نحدق فى الأقدام اليائسة للنسوة اللواتى يمشين على الأحجار الزرق والرمال الجافة فى مجراه وعلى شطآنه . . لكن هذه ليست حكاية طفولتى ، هذه حكاية صباى حين قام راجه أكبر على خان الذى يمتلك أراض تمتد على مساحة مئات الأميال عن قريتنا ، بتحويل مجرى نهر « رفيل » ضد رغبة أهل قريتنا ، وذلك حتى يمضى النهر ناحية أطيانه الزراعية ، وهكذا أصاب بالجفاف والخراب أراضينا الواقعة عند سفح الجبل ومنطقة كبيرة محيطة بها .

فى ذلك الوقت عم الاضطراب قريتنا وعددا كبيرا من القرى الواقعة علي هذا النهر فى الوادى ، وكان حالها كحال الكثير من الأطفال الذين أصبحوا يتامى فجأة بعد وفاة أمهاتهم ، وبالمثل وبالنسبة لنا ، مات نهر « رفيل » وماتت مياهه أيضا ، وترك لنا موته ذكريات مريرة ، وأذكر أنه فى ذلك الوقت انضم أهل القرية مع أهل القرى المجاورة ، وقدموا طلبا للحكومة ، ضد ظلم راجه أكبر على خان ، طالبوا فيه الحكومة باسترداد نهرهم السليب ؛ لأن النهر مثل « ست البيت » تحمل الماء إلى البيت ، تعمل فى الحقول ، تغسل ملابسنا ، تنظف أجسامنا ، وأغنيات النهر هى أطفالها ، تنبعث ترانيمها عذبة لهم ، تربت على صدورهم ، وتهدهدهم وهى تصحبهم ناحية الأرجوحة فى المغيب .

بدون ماء أمست قريتنا تماما مثل بيت بدون « ربة بيت » ، وصار حال أهل القرية كحال من اختطفت ابنته من بيته ، نفس الغم ، نفس الحزن ، نفس الألم ، نفس النظرات ، نفس المصيبة .

لكن راجه أكبر على خان كان أكبر « إقطاعى » فى منطقة « جكوال » ، وكانت علاقته مع مسئولى الحكومـة راسخة وقوية ومتينة ، ومقاولات منجم الملح كانت من نصـيبه أيضا ، فكانت النتـيجة ألا يستـعيد أهل القرية نهرهم السليب ، والأدهى من ذلك أن عدداً كبيرا من أهل قريتنا ممن كـانوا يعملون فـى منجم الملح طردوا من عـملهم ، وكان ذنبـهم الوحيد أنهم تجـرأوا ، وطالبوا باستعادة نهر قـريتهم الذى « أُختطف » منهم ، أذكر أنه فى ذلك اليـوم عاد أبى إلى البيت وهو يرتعـد ، كان لونه مخطوفا ، وراح يرفع يديه ممسكاً طرف أذنيه مردداً :

- « توبة . . توبة . . أن يصدر عنى مثل هذا الخطأ . . كان هذا كرماً من عند الله ، لقد نجوت وإلا طردنى أكبر على خان من العمل . . من الآن فصاعداً لن أقدّم ثانية طلبـاً ضد راجه أكبر على خان حتى لو سلبنى ابنتى لا الماء . . توبة ! توبة !

وهذا أيضاً صحيح ؛ فشرف الماء فى قـريتى أعظم قيمة من شرف البنت ، الماء الذى يعطى الحـياة ، الماء الذى يتحـول فى الشرايين إلى دماء تجرى ، الماء الذى لا نجده لغـسل وجوهنا ، الماء الذى إن لم نجده تحولت ملابسنا إلى ملابس قذرة ، وسخة وامتلأ شعر رأسنا بالقمل ، وتجمدت حـبات العرق المالحة على أجـسامنا ، وغطى الملح أرواحنا ، هذا الماء أغلى كثيرا من الذهب ، وأجمل كـثيرا من حسن أى فتاة . . اسأل عن قـدره وقيـمتـه أهل قريتنا الذين قـضوا حـياتهم فى القـتال والشجار من أجل المـاء ، ذات مرة حدث شجار بين « سـيدة » زوجة سرور خان ، « وعائشة » زوجة أيوب خان حين ذهبتا لإحضار ماء من

النبع عند الجبل المقابل للقرية ، تشاجرتا معًا ، وهما تعيشان فى بيتين متجاورين ، تقضيان معظم وقتهما معًا ، تشاجرتا مع أنهما صديقتان حميمتان ، تعودتا الذهاب إلى النبع معًا ، تقوم الواحدة تملأ جرتها ثم تتبعها الأخرى ، والعكس بالعكس فى المرات التالية ، وتقوم إحداهما بمساعدة الأخرى فى رفع الجرة على رأسها ، ثم تنطلقان معًا تتجاذبان أطراف الحديث فى طريق عودتهما إلى بيتهما ، لكن ماذا جرى ياترى اليوم ؟ ! ما الذى جرى فجعلهما فى سباق معا : تقول الأولى : سأملأ جرتى أولاً ، فترد الأخرى : لا أنا أولاً . . ربما لا يوجد بينهما خصام ، ربما كان الخلاف بينهما سببه وجود نبع واحد للمياه العذبة ، يذهب إليه الناس ، ويقطعون مشوارًا طويلا لإحضار الماء بعد أن جف النهر .

فى عين الظلام تخرج النسوة حاملات جرارهن ، وحين يصلن إلى النبع يجدن قطارا من النسوة اللاتى سبقنهن ، أو يجدن الماء الذى يخرج من النبع قليلاً جدا كأنه خيط رفيع ينساب داخل الجرة فيستغرق ملؤها نصف ساعة على الأقل ، كما أن مشقة الذهاب والإياب مسافة ثلاثة فراسخ لا تقل عن مشقة يوم القيامة ، ومهما تعددت أسباب الشجار ، إلا أن السبب الأصلى كان الماء . . تأهبت كل منهما للأخرى ، نهشت إحداهما وجه الأخرى ، وحطمت كل منهما جرة صديقتها ، ومزّقت ملابسها ، ثم عادتا كل منهما إلى بيتها باكية تنتحب ، وقامت سيدة باستشارة سرور خان ، وتولت عائشة إثارة أيوب خان ، واستشاط الزوجان غضبا ، فحمل كل منهما

فأسـه ، وخرج من بيتـه ، وحاول الناس أن يوقـفوهما ، إلا أنهـما تقاتلا فقتل كل منهما الآخر بـفأسه ، ومع خيوط المساء التى نسجت على القـرية خـرجت جنازة الجـارين . . لقد تسـبب الماء فى وجـود الكثير من القبور فى مقبرة قريتنا .

فى زمان صباى حين قتل هذان الجـاران ، كان فى الجبل المقابل لنا آنذاك نبع ماء عذب ، لكن حين كبرت اُكتشف نبع آخر ، وحكاية هذا النبع الجـديد حكاية عجـيبـة ، كان ذلك فى وقـت أصاب فـيه القحـط الشديد منطقـتنا بأكملهـا ، وجفت الميـاه فى جمـيع الينابيع والجداول والأنهار فى المنطقة بسبب الحر الشديد ، ووجدت بقايا مياه فقط فى الينابيع التى قـبعت فى أحضـان الجبال حيث لا تصل إليـها أشعة الشمس . . فى تلك الأيام كانت النساء فى بيوتنا يخرجن ليلا ، يسعين بعد منتـصف الليل إلى ينبوع الماء ، وكانت الجرار مـرصوصة فى طابور طويل يصدر من خلاله صدى أنين الأطفال الذين يرتعدون من حرقة العطش الشديد .

فى ذلك الزمـان انحرف عن جادة الطـريق كثيـر من أولئك الناس الطيبين ، وانصرف الكثير منهم عن طاعة الله ، وكان من أسوأ ما فعله أحدهم وهو شـيخ البلد « ملك خان » أن اتفق مع شيخ الحفـر « فضل على » فوضع نبع الماء تحت إشراف الشرطة ، ثم اتفق مع « مأمور المركز » غلام نبى ، فاشترى جميع الأراضى المحيطة بالنبع ، ووسط ظلام الليل البـهيم قـام بإحاطة الـنبع بسور منيع ، وضع عـلى بابه قفل كـبيـر ؛

وهكـذا لـم يـكـن أحـد يسـتطيع الحـصـول عـلى المـاء بدون إذن أو تصريح ؛ لأن النبع أصبح من ممتـلكات شيخ البلد « ملك خان » الذى راح يفـرض الإتاوات على حـامـلات الجـرار اللاتى يرغبن فى الحصول على الماء ، الجرة بخمس بيسات ، والجرتان بعشر بيسات .

وهكذا كثـر اللغط ، وحدثت ضجـة فى القرية كلهـا ضد هذا الظلم ، لكن الشرطة والحكومة كـانت فى صف « ملك خان » شيخ البلد ، وكان القانون أيضا فى صفه ، وحيث كان القانون كانت المياه أيضا ، ولهذا تجمع شباب وشـيوخ وأطفال القرية ، وجاءوا إلى أبى وقالوا :

- « يا عـم عطـاء اللـه ! أنت الآن يمكن أن تنقـذنـا من هذه المصيبة » .

- « كيف ؟ ! » سألهم أبى وقد غلبته الحيرة .

فقال العجوز « حكيم خان » صاحب اللحية البيضاء :

- أذكـر أن نبع المـاء العذب الذى هو الآن فى حـوزة شيخ البلد « ملك خان » ، أنت الذى اكـتشفـته ، ألا تستطيـع البحث عن نبع آخـر ؟ ! لابد أن يكون فى صـدر هذا الجـبل ماء عـذب كـامن فى موضع ماء ، يمكنه أن يمنحنا « ماء الحياة » يا « عطاء الله » أنت أكفأ الناس بيننا . . شغِّل عقلك ، ونحن جـميعا مستعـدون للعمل معك حتى الموت ، فقريتنا ليس فيها ماء ، ولابد من وجود ماء .

فاعتدل أبى فى جلسته على الأريكة ، ثم وقف وهو يسمى الله ، كانت القرية كلها معه ، وبدأت عـملية الصعود إلى الجبل ، والبحث عـن المـاء ، كـم كـان صـعبا على فـرهاد أن يبحث عن الماء فى جبل « كنى » أدركت هذه الحقيقة منذ ذلك اليوم ؛ لأن الماء ليس أمامنا ، إنه مثل « الغول » الضائع فى فجوات الجبل ، الماء مثل البدو الرحل ، يوم هنا ويوم هناك ، الماء مثل الغريب ، ابن السبـيل ليس هناك قيمة تذكر لمحبته ، وجود الماء مثل الرائحة الطيبة اللطيفة ، يتلاشى عبيرها تحت حرارة أشـعة الشمس الشـديدة ، فى منطقتنا هذه حـيث النساء مخلصات يلفهن الحياء والخجل ، الماء لم يعـد وفيًا ، صار أفَّاقًا ، فهو دائما ينتقل من مكان إلى مكان آخر ، ويدور يتحرك من بلد إلى بلد بدون جواز سفر ، من أجل البحـث عن هذا الأفَّاق نحتاج إلى فأس تضرب فى الأغـوار ، نحتـاج إلى مرآة ينكشف أمـامها قـلب الجبل ، وكأنه كتاب مفتوح . . وهكذا اخـتار أهل القرية أبى لهذا العمل بعد أن فكروا ، وتعقلوا الأمر .

فى ذلك اليوم رحـنا نعاين ، ونفحص تربـة هذا الجبل ، طوال النهار لم نترك مكانا إلا وبحثنا فـيه عن الماء . . وسط أشواك أشجار السدر الكثيفة ، وفى أعماق شقوق الصخور وفرجاتها ، وبين الحطب الجاف الأسـود المخيف ، وفى جحور الثـعابين ، وبيوت الثـعالب ، ومكان وحوش الجبل . . وحفرنا بحثا عن الماء جميع الينابيع القديمة ، لكـن حـفر هذه الينابيع كان كحفر الإنسـان للقبر بحثا عن الحياة . . لا أثر للمـاء فى أى مكان ، كانـت المياه مـثل لص خلّف وراءه آثاراً

خادعـة ، فعذّبنا خلفـه ، ثم غاب واختـفى فى مكان ما . . أين يا ترى راحت المياه واختـفت ؟ فى أى ركن ؟ وفى أى موضع ؟ وعلى أى عمق قبعت المياه ثم راحت تضحك وتسخر من محبيها ؟ !

لكن أهل القـرية لم يفقـدوا الأمل ، راحوا طوال اليـوم يمضون خلف أبى ، يرصدون آثار الماء ، وفى النهاية حين حل المساء ، وقف أبى على هضـبة عـالية وراح يمسح حـبات العـرق التى تكونت على وجهـه ، ويحول بناظره هناك بعـيدا حـيث كانت الشـمس تغرب ، وفجـأة وفى ضوء الشـمس الغاربة رأى داخل فُـرجة عـميـقة ، فى الصخور قطعة خضراء .

يقولون حيث توجه الخضرة يوجد بالضرورة الماء ، فالخضرة علم لدولة الماء ، والماء أمـة تجول هنا وهنـاك ، وحيث يمضى الماء يحـمل معه علمه .

وهكذا صاح أبى صيحة اندفع بعدها تجاه هذه القطعة الخضراء ، وهرول أهل القرية من خلفه ، وراح أبى يحفر الأرض بأظافره بسرعة فائـقة ، وبدأ سطح الأرض الذى كـان جافـا وصلبا فى البـداية يلين رويداً رويداً ثم يتحول إلى طين ، وفى النهاية اندفع تيار من الماء إلى أعلى وانطلقت صيحة السرور من مئات الحناجر الجافة :

- ماء . .   ماء . .   ماء . .

ملأ أبى كـفيـه بالماء ، ورفع يديه المرتعشـتين إلى فمـه ، كانت جميع الأنظار تتجه إلى وجه أبى ، ومئات القلوب تدق بعنف وتدعو الله : يا إلهى ندعوك أن تجعل الماء عـذبا ، يا إلهى ندعوك أن تجعل الماء عذبا . . وتذوق أبى الماء وصاح بسرور وفرح :

- الماء عذب !! الماء عـذب !! الماء حلو !! وصاح أهل الـقرية بصوت عال :

- الماء عذب !! الماء حلو !!

وتردد صدى صياح أهل القرية بين جنبات الوادى :

- عذب . . الماء عذب ، وجدنا الماء ، الماء عذب .

وبدأت الطبول تدق فى أرجاء الوادى ، وبدأت النسوة فى الغناء ، وراح الشباب يتـمايلون طربا ، بينما انطلق الأطفـال فى صياح مملوء بالفرح والبهـجة ، وبدأ أهل القرية بسرعة يـحفرون النبع ، ويملؤون الجرار ، فقد أصبح النبع بينهم ، وأصـبحوا هم من حوله ، يحيطون به ، يدورون حوله ، ينظرون إليـه نظرات ملؤها الحب ، كأم تتطلع إلى وليدها الجـديد فى سرور وبهجـة . . لن أنسى تلك الليلة أبدًا ، فى تلك الليلة لم يرجع أى فـرد إلى القرية ، فـقد ظل جـميع أهل القرية يحتفلون من حول النبع ، فى تلك الليلة ، وفى حضن النجوم ، تحت أشـجار السـدر ، راحت الأمـهـات يشعلن النـيران ويهـدهدن الأطفـال حـتى ينامـوا ، فى تلك الليلة راحت العـذارى من قـريتنا يتمـالين بالغناء فى نشوة ، غناء عـذب جميل مـثل مياه النبع ، فـيه حلاوة حـفيف أوراق الأشجار البـرية ، وانسياب ميـاه الشلال ، فى تلك الليلة بدت كل النسوة جميلات ، وبدت كل الأراضى خصبة ، واخضرت كل الجـذور وراحت الحبوب تُنبِّت . . وتتحـرك . . تنمو سيقانا . . وتمتد جذورا .

مرت قريتنا بتلك الليلة حين خرج أبى عطاء الله للبحث عن الماء ، الماء الذى كان نتاجا لكفاح يد الإنسان ، وكان نتاجا لمحبة فؤاده ، الآن جاءنا الماء ، كعروس تتبختر ، وهى تزف إلى بيت عريسها ، ذلك النبع الجديد يمضى بيننا اليوم فى حياء وخجل كعروس تمضى مرتبكة ، تضع قدمها لأول مرة فى بيت عريسها الذى لم تعرفه من قبل ! فى تلك الليلة كان فى كفى بعض من ماء ، وفى الكف الآخر يد « بانو » ، وكانت النجوم تلمع فى السماء .

ارتبطت أحلى ذكريات شبابى مع هذا النبع الجديد ، فعلى حافته أحببت « بانو » ، التى كان حسنها نادرا كالماء ، والتى كنت أراها فتطرأ على فؤادى أفكار تجعلنى أردد هذه الكلمات : كم من الينابيع العذبة الكامنة فى حضن هذه الأرض !! آه كم من الذكريات الحلوة تراكمت . . !! كم كانت الأزهار زاهية فاضحة فى فصل الصيف !! وكم كانت الأوراق لامعة بلون الذهب الأصفر فى فصل الخريف !! ثم الثلج الصافى فى فصل الشتاء . . !! كم كان حب « بانو » صامتا كالماء الذى سيتفجر من تحت الأرض .

كانت تأتى إلى حافة هذا النبع فى ظلمة الليل ، أو قبل طلوع الفجر ؛ حيث لا يوجد هنا أى إنسان سواى ، كانت ترانى فيضئ وجهها بنور بسمتها تماما مثلما ينطلق شعاع السَّحَر وسط ظلام الليل ، فتضع جرتها تحت مجرى النبع ، ويبدأ الماء يغازل الجرة بينما أنا أغازل « بانو » ، ويظل الحديث بيننا لطيفا هادئا حتى نملأ الجرة ، وتملأ قلوبنا بالسرور ، وقبل أن نمضى يكون الصباح قد قدم إلينا من بعيد

فى تؤدة وتأنٍ ، كـأن هبوب النسيـم حمل براعم أزهار اليـوسفى ، وألقى بها علَى الوجوه الناعمة . . فننتبه ونروح نتطلع هنا وهناك فى حيرة ، ثم أحـمل جرتها وأضعـها على المنديل الأحمر المعـقود فوق رأسها ، بينما هـى تبتسم مستديرة لتمـضى عابرة المنحدر ، وأظل أنا أتطلع ناحيتها ، وجاء وقت كانت النسوة الأخريات أيضا يتطلعن إلىّ ويبتسمن ، وساعتها تذكرت ذلك اليوم الذى سألت فيه جدتى :

- ماذا يُقصَد بالعاشق ؟ !

وأذكر أيضا تلك الليلة على حافة ذلك النبع ، حين كنت أعمل فى المنجم وأعود إلى الـبيت مرهقـا تعبا فأتـكوّم كالكرة ، وأنام من شدة التعب ، أفتح عينى فى الصباح .

بقيت لعدة أيام لم أذهب للقاء « بانو » عند النبع ، لكن لم أكن قلقا ، فـهى تقيم فى البيت المجـاور لبيتنـا ، فى تلك الأيام قدم ابن عمها « غضنفر » ، ثم رجع أيضـا ، لم تواتنى الفرصة للقائه ، فقد كنت عامـلا جديدا بالمنجم ، وكـان لدى شوق عارم لإجـادة عملى الجديد ، وكل إنسان يعرف أن كل من يذهب إلى منجم الملح يتحول إلى ملح .

ذات ليلة طلبت مـنى « بانو » أن ألقـاها عند النبع فى السـاعـة الثانية بعد منتصف الليل ، فقلت لها :

- إننى تعب ومرهق .

قـالت : « لا . . لا . . هذا أمر هام وضـرورى . . عليك أن تأتى » ، وهكذا ذهبت .

كانت الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل ، لم يكن هناك مخلوق سوانا عند النبع ، سألتها :

- ما الأمر ؟ !

فظلت صامتة لفترة ، فأعدت السؤال :

- أختاه ! ماذا حدث ؟

قالت :

- أنا ذاهبة تاركة القرية .

فتوقفت دقات قلبى ، شعرت كأن النبع المتدفق توقف فجأة ، وخرجت من حلقى حروف كونت كلمة : لماذا ؟

- تم الاتفاق على زواجى .

- مع من ؟

- مع ابن عمى - أنهى الخدمة العسكرية ، إنه فى مدينة « جكوال » يعمل مديرا فى البلدية هناك .

- آه ! أنت ذاهبة ؟ سألتها بلهجة مريرة .

- نعم .

لفّها الصمت ، ولفّنى أيضا ، ورحت أفكر هل أقضى عليها الآن أم أقتلها ليلة زفافها ، وبعد توقف لفترة قصيرة قالت بانو :

سمعت أن فى جكوال مياها وفيرة ، سمعت أن هناك منخفضا واسعا يستخرجون منه الماء متى شاءوا .

كان فى صوتها نبرات تدل على السرور ، لعلها كانت تريد أن تقول شيئا آخر ، لكنها لاحظت علامات الأسى على وجهى فسكتت .

اقتـربت منها أكثر حـتى كدت ألامسـها ، وأمسكت بضفـيرتى شعرها ، وتطلعت إلى عينيهـا بإمعان ، نظرت إلىّ للمحة واحدة ثم اجـفلت ، لم يكن فى نظراتهـا إنكار لمحبـتى ، بل كان هناك إقـرار بذلك ، فتركتُ ضفائرها ببطء ، وابتعدت عنها ، وبقيت واقفا .

أحسست كأن وفاء المحبة ، وعمق جـاذبيتها فى حاجة أيضا إلى قليل من الماء ، كـان فى نظرات بانو المنحنية فى ضـعف وذلة هروبٌ من الشكوى المؤلمة ، وكأنها تقـول : إنك تعرف أنه لا يوجد ماء فى أى مكان فى قريتنا ، أنا لم أسـتحم هنا منذ شهرين أو أكـثر ، إننى أصحبت أنفر من نفسى ، من جسمى .

وجلست بانو صامتة على حافة النبع ، وكنت أستطيع رؤية حلم المحبـة داخل عيـونها ، وسط هذه الظلمـة الحالكة ، لم تكن المحـبة المنطوية داخل الجسم الذى تنبعث منه رائحة العرق الكريهة ، والخرق المملوءة بالقمل والبـراغيث ، بل كانت المحبـة التى ينبعث منها عـبير الجسـم الذى طهرته الميـاه ، والملابس التى نظفتـها الميـاه مع الملابس الجديدة . . فوجدت نفسى بلا حول ولا قوة . . فانتحيت جانبا .

كانت الساعة الثانية ، فى ظلمة الليل ، بانو وأنا ، كُنَّا صامتين ، لا ينطق أحدنا بكلمة ، وساد الصمت والسكون ، وكأن الدنيا جميعا خلت من كل مخلوق ، صمت جعلنى أشعر كأن الدموع كلها جفّت فى المقل .

وراحت « بانو » الجالسة على حافة النبع تملأ ببطء شديد جرتها ، وراحت الميـاه تنسـاب بطيئـة كـسولة إلى الجـرة ، بينمـا راحت بانو

تنطق ببعض الكلمات ، توجهها تارة إلى الجرة ، وتارة إلىّ . . فكلام الماء هو أحلى من كلام الإنسان .

وذهبت بانو .

حين ذهبت بانو تبادرت إلى ذهنى حكاية الطفولة ، حين بكى الحب ، وتحولت الدموع إلى حبات ملح حجرية ، فى ذلك الوقت لم تكن هناك حتى دمعة واحدة فى عينى ، لكن فى قلبى ، تشكلت حبات ملح حجرية كبيرة ، كان فى قلبى منجم ملح ضخم ، منجم بأكمله داخل قلبى . . حيطان من ملح ، أعمدة من ملح ، غار من ملح ، وبحيرة كاملة من الماء المالح ، تتساقط فيها حبات الملح ، وتشكلت قشرة رقيقة من الملح على قلبى ودماغى وأحاسيسى ، وصار من المؤكد لى أننى لو خربشت أى موضع من جسمى ، فستنحدر الدموع وتناسب غزيرة ، ولهذا جلست صامتا دون حراك ، فلم يكن عندى ماء ، وبانو كانت ذاهبة إلى حيث يوجد الماء . . فى تلك الليلة التى عقد فيها قران « بانو » على « غضنفر » شاهدت حلما عجيبا ، شاهدت نهرنا « رفيل » السليب وقد عاد إلينا ، شاهدت ينابيع مياه عذبة تتفجر من جبل الملح ، وفى وسط قريتنا وقفت شجرة كبيرة جدا ، كانت الشجرة من أولها إلى آخرها شجرة ماء ، جذورها ماء ، ثمارها ماء ، ومن غصون هذه الشجرة ومن أوراقها ينسكب الماء ، يروى أرض قريتنا البور ، ورأيت الفلاحين يحرثون الأرض ، والنساء يغسلن الملابس ، وكل المخلوقات تستحم ، والأطفال يحملون أطواق الورد التى تزين صدورهم ، ويدورون

يرقصون حول شجرة الماء ، و « بانو » ترتدى ملابس نظيفة زاهية الألوان تتعلق بكتفى وتقول :

- ها هى شجرة الماء تنبت فى قريتنا ، والآن لن أتركك ، ولن أذهب إلى أى مكان .

كانت رؤيا عجيبة جدا ، لكن حين قصصتها على أبى ، راح يرتعد خوفا وقال :

- أنت لم تقصص هذه الرؤيا على أحد غيرى ؟ !!

فقلت له :

- لا يا أبى ، لكن لماذا خفت هكذا ؟ ما هذه إلا مجرد رؤيا !!

قال :

- نعم رؤيا لكن رؤيا حمراء .

فضحكت وقلت :

- لا يا أبى إن الشجرة التى رأيتها فى رؤياى لم تكن حمراء ، كان لونها بلون الماء تماما ، كانت هناك قوارير شفافة لامعة من الزجاج ، مياهها تلمع كضحكات الأطفال الأبرياء ، وتنطلق عالية كأنها نافورة ، ثم تعود وتسقط على الأرض .

قال :

- مهما يكن فهذا حلم خطير جدا ، لو سمع به رجال الشرطة أو ذكرته لأحد من الناس ، فسوف يُقبض عليك ، وتساق إلى حيث ألقوا بعمال المنجم الذين أرادوا استرداد نهر قريتنا ، ولهذا فمن الأفضل ألا تذكر هذا الحلم لأحد من الناس ، انساه وكأنك لم تر

هذا الحلم أبدا ، لأن إشاعة مثل هذا الحلم لن يكون له أى نتيجة تذكر ، فالنهر الجاف يبقى دائما جافا ، والعطشان يظل دائما عَطِشا .

لا أزال أذكر - حتى اليوم - الحسرة التى كانت تدور على لسان أبى ، ولا أزال أذكر أيضا أننى بقيت فى البداية صامتا لم أذكر حلمى هذا لأحد ، ولكن بعد مرور عدة أيام رحت فى خوف وهلع أقصص رؤياى تلك فى همس على رفاقى العاملين فى المنجم ، أهمس لهم بحكايته فى آذانهم ، وحين سمعوا كلامى انفجروا فى الضحك بدلا من أن يسيطر عليهم الخوف ، وحين سألتهم عمّا يُضحكهم قالوا :

- ما الذى يخيفك إذن ؟ ! هذا حلم طيب ، وقد رآه كل من يعمل هنا فى هذا المنجم .

- أتقولون الصدق ! نفس الحلم ! نفس الشجرة ! شجرة الماء .

- نعم .. نعم .. نفس شجرة الماء فى وسط القرية ، وينبوع الماء البارد العذب فى كل منجم من مناجم الملح .. لا تقلق ، فى يوم من الأيام سيتحقق هذا الحلم .

فى البداية لم أصدق كلامهم ، لكن مع العمل المتواصل جنبا إلى جنب مع زملائى ، بدأت أتأكد أكثر وأكثر من أن حلمنا سوف يتحقق بالضرورة ، وأن الكأس الفارغة لابد أن تمتلئ ، وأن الملابس الوسخة سوف تغسل وتصبح نظيفة ، وأن القلب الخائف سوف يعمر بالطمأنينة ، وأن الأراضى كلها ، والخرابات والصحراوات سوف تخضر وتنضر .

اعتـــراف

ذکیة بلگرامی

اعتراف

- ١ -

شعرت أنجم اليوم بإرهاق شديد ، بعد أن أعيتها آلام الصداع ، فكيف لها أن تنجو بنفسها مما هى فيه ، وهى تتقلد وظيفة متواضعة جداً فى مجلة أدبية متواضعة ، ينحصر عملها فى قراءة القصص القصيرة التافهة التى لا معنى لها ، تحاول تصحيحها وتعديلها أو إلقائها فى سلة المهملات ، وهكذا أصابها الضيق والملل ، وهى تعاود مرة بعد مرة قراءة قصص معادة مكررة ، تمضى على وتيرة واحدة ، ولو لم تكن مجبرة على ذلك لما اضطرت لقراءة سطر واحد من مثل هذه القصص .

على كل حال تشعر أنجم اليوم بإرهاق يفوق ما كانت تشعر به كل يوم ، لم تكن طبيعة عملها تمهلها لتناول طعامها أو حتى احتساء فنجان من الشاى ، وحين فرغت من عملها ، كانت الساعة تدق السادسة مساء . . اتجهت إلى موقف الحافلات التى كانت تعج بالركاب ، حاولت بشكل أو بآخر حشر نفسها فى الحافلة التى تقلها إلى وجهتها اليومية ، ووصلت إلى بيتها حين خيم الظلام على كل شىء .

- « وصلت يا ابنتى » سألت الأم بلهجة حنونة .

- « نعم يا أمى ، وصلت . . وأشعر الآن بجوع شديد ، ماذا طبخت اليوم يا ترى ؟ ! » .

صمتت الأم .

- « لا . . لا شيء ، ألم تتناولى شيئا فى المكتب ؟ » .

- « أماه . . لم يمهلنى العمل لأتناول شيئا ، ثم ماذا عساى أجد فى المكتب لأتناوله ؟ ! » .

- أوه . . يا لها من مشكلة ؟ ! » .

- « ماذا تقصدين يا أمى ؟ ! » .

- « فى الواقع لم أتمكن من إعداد شيء اليوم » نطقت الأم بهذه الجملة ، وهى تخفض رأسها .

- « ماذا تعنين يا أمى ؟ هل طارت الخمسين روبية التى أعطيتك إياها فى الصباح ؟ ! .

- « نعم يا ابنتى ! أخذها أخوك شاهد ليشترى اللحم فسقطت منه . . قسمتنا ونصيبنا . . » .

- « أف ! لماذا لم تطبخى قليلا من العدس ؟ » .

- « طبخت . . لكن القدر سقط من أختك جارية . . على أى حال غيرى ملابسك ، وسوف أعد لك شيئا » .

- « أمى . . لا عليك ، لست جائعة إلى هذا الحد ، قولى لجارية أن تجهز لى فنجانا من الشاى فأنا متعبة ، ورأسى تؤلمنى لشدة » .

أعدت جارية الشاى ، وقدمته إلى أنجم ، فشربت أنجم الشاى ، مع شريحتين من الخبز ، وكأنها تتجرع السم ، ثم لفت نفسها بالعباءة ، ورقدت فى الفراش ، أرادت أن تظل لفترة خالية الذهن حتى تتمكن من أن تستريح ، إلا أن هذا كان أمرا مستحيلا ، ففى ذهنها تموج أفكار مقلقة : قلق بشأن البيت ، وقلق بشأن مرض الأب ، وقلق بشأن قضايا أخرى عديدة لا حصر لها . . تموج كتيارات عنيفة

داخل رأسها تضرب هنا وهناك ، فلا تمكنها ولو للحظة من أن يتحرر ذهنها مما بداخله ، فقد قلب مرض الأب نظام البيت رأسا على عقب ، إذ أصيب بالشلل ، وصار الجانب الأيمن من جسده متوقفا تماما عن الحركة ، فأبعد عن العمل . . كانت مسألة علاج الوالد ورعايته تمضى على أحسن وجه ، لكن المشكلات والأعباء المالية تفاهمت ووصلت منتهاها .

كانت أنجم هى أكبر من فى البيت ، حصلت قبل عام على ماجستير الصحافة ، تليها أختها ميمونة التى كانت تدرس فى الصف الثانى بالمدرسة الثانوية ، ثم الأخت الصغرى جارية ومن بعدها شاهد ، كانت جارية تدرس فى الصف الإعدادى ، بينما كان شاهد يدرس فى الصف السادس الابتدائى .

كان الغلاء المتزايد يكسر وسط أرباب الأسر الغنية ، فما بالنا بهذه الأسرة التى يصل دخلها إلى مادون خط الفقر ، فحين وجدت أنجم بسرعة وظيفة عادية فى إحدى المجلات كان ذلك بمثابة الحصول على ثروة ، وهكذا كانت الأسرة تقتات ، وتعيش على العدس فى الغالب ، كانت ميمونة تعطى « دروسا خصوصية » لطفلين صغيرين ، بينما تم إعفاء شاهد من المصروفات المدرسية ، وكانت ميمونة تدفع مصروفات مخفضة تصل إلى حد الإعفاء التام أحيانا ، ومع هذا كانت مصاريف أخرى خاصة بالمدارس ، لم يكن دخل الأسرة يكفيها تماما ، وطالما رجعت جارية ، وطالما رجع شاهد إلى البيت ، بعد أن عوقبا فى المدرسة ، فيوضح كل منهما قضيته ، إلا أن الأم - التى اعتادت

على ذلك - تجعل أذنا من طين وأخرى من عجين ، أو تسمع من اليمين وتخرج من الشمال ، لم تر الأسرة شكل اللحم منذ مدة طويلة ، ففى معظم الليالى تعيش على المخللات والطرشى ، ومع هذا كانت الأسرة تحاول أن تتماسك ، وتعيش أمام الناس ، كأسرة متوسطة الحال ، لها شخصيتها واعتبارها فى المجتمع من حولها ، كانت الأم المسكينة فى شغل شاغل على بناتها ، فقد بلغت أنجم سنّ الزواج ، ويجب أن تبحث لها عن ابن الحلال ، لكن الظروف جعلت الجميع مكتوفى الأيدى . .

استراحت أنجم لساعة ثم نهضت ، وقد أعلنت الساعة الثامنة ليلا ؛ فتوجهت مباشرة إلى والدها وسألته عن حاله :

- « أبى ! أراك والحمد لله بخير ، ألا تعوزك حاجة ما ؟

- « لا يا ابنتى . . الحمد لله كل شىء على ما يرام » ، كان الأب دائما صابرا شاكرا قليل الكلام ، وكانت أنجم تعرف جيدا أنه لا يُبين أبدًا ، ولا يفصح عن مكنون قلبه ، ومن غرفة الوالد اتجهت أنجم إلى المطبخ حيث كانت ميمونة تعد بعض الفطائر الرقيقة .

- « إيه !! ما المناسبة السعيدة لإعداد هذه الفطائر ؟ » .

سحبت أنجم العجين الخاص بالفطائر وجلست . .

- « أختاه ! لقد دققت أوراق النعناع مع بقية البهارات الخاصة بالفطائر ، مما سيجعلك تتمتعين بنكهة الفطائر اللذيذة ، لقد أسرعت بإعداد الفطائر خصيصا من أجلك . . خذى تناولى هذه وهى ساخنة » .

- « لا ، أكملى إعداد الفطائر كلها ، ثم نجلس ونأكل معا » .

- « أختـاه ! لقد انتهى كل ما لديـنا ، انظرى صفيحـة الدقيق خاليـة تمـاما ، ولا يـزال فى الشـهـر يومان ، وبعـدهما تـسلمين راتبك » .

- « الله هو المالك ، كـل شىء يمضى بقـدرته » ، هكذا ردت أنجم على أختـها ، شم شاهد رائحة الفطائر ، فـقدم إلى المطبخ وهو يزعق :

- « أختاه ! أشعر بجوع شديد » .

- « خلاص . . تم إعداد الفطائر . . اذهب واجلس إلى المائدة » .

جلس الجميع حول المائدة ، وتناولـوا الطعام معا ، وشكروا الله وحمدوه ، كان الأب مـقلا فى طعامه ليلا ، يقتـصر على كوب من الحليب مع قضمتين من الخبز ؛ فشرب الحليب وأطعم الخبز . . وبعد تناول الطعام ، علقت ميمونة قائلة :

- « أختاه ! لمثل هذا الطعام فائدة كبيرة » .

فسألتها أنجم :

- « ماذا يا ترى ؟ ! »

فقالت ميمونة ضاحكة :

- « لا حـاجة لغـسـيل الأوانى والأطباق والمـلاعق ، كمـا أننا جميعا نجلس ونأكل فى طبق واحد » .

وانطلقت ميمونة ناحية المطبخ ، فغسلت وعاء أو اثنين ، ورتبت كل شيء ثم أغلقت باب المطبخ ، ثم كان عليها أن تستعد لاختبار الصباح ، فجلست لتستذكر دروسها ، بينما انصرفت أنجم لتساعد شاهد فى واجباته المدرسية ، أما جارية فدلفت إلى سريرها ونامت بسرعة كعادتها .

- ٢ -

فى تلك الأيام تقدم لخطبة أنجم شاب مناسب جدا ، فقد كانت أنجم بدورها جميلة ذكية ، مثقفة ومهذبة وعلى خلق ، ورغم أن الأم رضيت تماما بمن تقدم لابنتها إلا أن الظروف الحالية لم تكن تسمح أبدا لأنجم بترك بيت أسرتها ، وهكذا لم تخبر الأم ابنتها عن أمر الشاب الذى تقدم لخطبتها ، وردت من جانبها وبطريقتها على أهل الشاب :

- « إننا نقبل مصاهرتكم لكن بشرط أن تعطينا أنجم راتبها بعد الزواج » .

ولم يقبل أهل الشاب هذا الشرط ، وحين عرفت أنجم عن طريق ميمونة بالأمر غضبت - ولأول مرة - من أمها . . فما ضرورة أن تقول الأم ما قالته ، كان من الواجب أن تقول بوضوح نحن الآن غير مستعدين لمثل هذا الزواج ، وحين أبلغت ميمونة أمها برأى أنجم قالت الأم :

- « أنجم سيفوتها قطار الزواج ، ومن الضرورى أن تتزوج ،

ولهذا وضعت هذا الشرط ، ولو قبل أهل الشاب شرطى لكان أمرا طيبا » .

- « لكن يا أماه ! أختى لا ترغب فى الزواج الآن » ، هكذا أوضحت ميمونة الأمر لأمها ؛ فردت الأم :

- « ماذا عساها تقول المسكينة ، لو كان أبوك صحيحا لما بقيت أنجم هكذا بدون زواج حتى الآن » .

وفجأة حضرت أنجم ، وكانت قد سمعت كلام الأم .

- « أمى ! من فضلك ! إنك تعقدين الأمور ، وتخلطين الكلام دون حاجة أو داع ، أرجوك أوقفى الحديث فى هذا الموضوع ، إن فى بيتنا من المشاكل ما يكفى فلا تزيدينها » .

- « إننى يا ابنتى أود أن أقلل من المشاكل . . » .

- « أمى . . كل شىء سيكون على ما يرام ، فقط اصبرى قليلاً .

- « إنى صابرة يا ابنتى . . لكن الوقت لا ينتظر أحدا » قالت الأم هذه العبارة ، ونهضت لأداء الصلاة .

- ٣ -

ظهر إعلان عن وظيفة فى إحدى الصحف الكبرى فى المدينة ، فقدمت أنجم طلبا لشغل هذه الوظيفة ، وكانت قد حاولت من قبل فى أكثر من مكان ، إلا أنها لم توفق .

كان عليها أن تذهب إلى مكتب الصحيفة لإجراء المقابلة الشخصية ، فأخذت إجازة من المجلة التى تعمل بها . . قدم العديد

من الفتـيات والفتـيان لإجراء المقابلة الـشخصيـة ، وحين جاء دورها دخلت غرفـة الانتظار ، وهى بين مشـاعر الأمل والرجـاء ومشـاعر اليأس .

كان عـدد كبيـر ممن حضـروا يجلسون فى انتظار إجـراء المقابلة الشخصـية . . الرجل الجالس أمامـهم فى خريف عمره ، ذو طبـيعة هادئة ، يجلس بجواره رجل آخـر سمين ضخم ، وعلى جـانبيهـما رجلان آخران ، لم تستطع أنجم أن ترفع عينيـها إليهما . . قام هؤلاء جميعا بتوجيه أسئلتهم إليها ، فأجابت أنجم على أسئلتهم بكل ثقة .

- « حسنا . . سوف نطلعك على النتيجة بالبريد » .

نهضت فى صمت .

لم يكن لديها بصيص من أمل ، لكنها فى اليوم الثالث تسلمت خطابا من رجل البريد . . تحركت بداخلها مشـاعر عجيبة . . خليط من الحيرة والسرور . . فراحت تقرأ الخطاب الذى وصلها من الجريدة مرة بعد مرة ثم أسرعت إلى أمها :

- « أمى ! أمى ! وقع الاختيار علىّ يا أمى » .

- إيه ؟ ! أين ؟ ! فى أى وظيفة ؟ ! » .

- « حيث أجريت المقابلة الشخصية . . منذ يومين » .

- « كم ستتقاضين من راتب ؟ » سألت الأم مسرورة .

- « لا أدرى يا أمى ، هذا ما سأعرفه حين أذهب هناك » .

وتجمع الجميع : ميمونة وجارية وشاهد حول أنجم . . كانوا فى غاية الغبطة والسرور .

- « ما الأمر . . ؟ أخـبرونى بشىء مما عندكم » صاح الأب من بعيـد ، شـعـرت أنجـم بالخجل ، فقـد كان يجب عليـها أن تذهب أولا إلى أبيـهـا ، هـكذا فكرت ، فأبـوها المسكين لا يمكنه أن يمشى أو يتحرك ، وهو يحب أنجم حبا لا يعرف مداه غيرها .

- أبى ! أبى ! لقد نجحت فى المقابلة الشخـصية . . اختارونى يا أبى لأشغل الوظيفة المعلن عنها .

- أنى سعيـد جدا بسماع هذا الخبر ، وفـقك الله وأسعدك فى حيـاتك يا ابنتى » وراح الأب - لفـترة - يدعـو الله أن يحفظ ابنـته ويسعدها .

وظل الجميع فى تلك الليلة سهارى إلى فترة متأخرة من الليل ، وراحت أنجم تعد أخواتها وأخاها بوعود مـختلفة ، كان شاهد يعشق لعبـة الكريكيت ، وعدته بشـراء كرة ومـضرب ، أما جـارية فكانت تتمنى « ثوبين » جديدين ، بينما كانت ميمونة بحاجة إلى « صندل » جديد ، فراحـت أنجم تسجل طلبات الجمـيع ، وحين انتصف الليل رقد الجميع - فى سرور - كل فى فراشه .

فى اليـوم التالى وصـلت أنجم إلى مكتب الجـريدة ، فأوصلهـا الخادم إلى غـرفة رئيس التـحرير ، وفى كـرسى رئيس التحـرير كان العجوز الذى رأته يوم المقابلة الشخـصية يجلس شاخصا . . نظر إلى أنجم وابتسم :

- « اجلسى يا بنيتى . . مبروك . . لقد وقع الاختيار عليك » .

- « شكرا يا سيدى » .

- « متى يمكنك بدء العمل معنا ؟ » .

- « بعد يومين . . فى الواقع أنا فى حاجة إلى الاطلاع على المجلة التى أعمل بها . . ثم لدى أيضا بعض الأعمال الضرورية تحتاج أن أنجزها » .

- « حسنا . . حسنا ، إذن سوف تستلمين العمل بعد غد ، حينئذ سوف يتم إطلاعك على ظروف العمل وطبيعته » .

- « سيدى هل تخبرنى الآن فى أى مكان وبأى صفة سأعمل هنا ؟ » .

- « بالنسبة لك صفحة الأطفال مناسبة جدا ، سوف تكونين مسئولة عن هذه الصفحة ، وعليك أن تتواجدى هنا من الساعة الثانية عشرة حتى الساعة السابعة مساء ، وسوف تمنحين راتبا شهريا الآن قدره ثلاث آلاف روبية ، وبعدها سيتوقف الأمر على عملك والمكانة التى ستحققينها لنفسك » .

- « حسنا ! حسنا ! يا سيدى . . أنا سعيدة إذ وفقنى الله فوجدت فرصة العمل فى هذا المكان » .

- « إذن ، سوف تأتين بعد غد » .

- « نعم ، إن شاء الله » .

استأذنت أنجم ونهضت واتجهت من فورها إلى حيث كانت تعمل قبلا ، فكتبت استقالتها وقدمتها لرئيس التحرير ، وشعر العاملون بالمجلة - وهم يعدون على الأصابع - بالأسى والحزن لذهاب أنجم ، فقد استمرت لسنة كاملة تعطى هذه المجلة كل ما تملك من طاقة

وجهد ، وكانت تنال مقـابل جهدها وموهبتها ألفا وخـمسمائة روبية بالكاد ، ويعرف هذا الأمر جيدا مدير المجلة الأصلع البخيل .

وصلت أنجم ، حسب الموعد ، إلى مكتب الجـريدة ، فوجدت خطاب تعيينها جاهزا ، فأخذت الخطاب ، وكـتبت استمارة الالتحاق بالعمل ودعاها مدير التحرير إلى غرفته :

- « تفضلى . . اجلسى هنا قليلاً ، فولدى الآن على وشك أن يصل ، وسوف يقوم بإفهامك طبيعة عملك » .

جلست أنجم صامتـة ، بينما انشغل رئيس التحـرير فى عمله ، ولم تضطر أنجم إلى الانتظار كثيرا ، فقد انفتح الباب ودخل « معظم على » .

آه . . إنه نفس الشخص الذى طالما شعـرت تجاهه بالكراهية أيام الدراسة فى الجامعة ، يقف الآن أمامها فى صورة « محرر صحفى » ، وشعرت من قرارة نفسها ومن أعـماق قلبها بالألـم ، وتلاشت مشاعر السـرور بالحـصـول عـلى الوظيفـة فى لمحـة واحدة ، لم تبـدو على وجه « مـعظم على » علامات تدل على السـرور أو الفرح ، أو على مشاعر من أى نوع آخر .

- « هذا هو ولدى معظم ، يتولى مسئوليات الجريدة ، وأنا آتى هنا أحيانا » هكذا قدم هاشمى ولده إلى أنجم .

- « ومن اليوم سـتعملين تحـت إشراف معظم ، وسـوف يشرح لك طبيعة عملك » .

- « حاضر . . » نطقت الكلمة بصوت مكتوم .

- « معظم .. خذ أنجم إلى غرفتك ، وتناقشا فى موضوع العمل ، فلدى هنا عمل ضرورى » .

- كان وجه معظم يخلو من أى نوع من المشاعر أو التأثر .

- « تفضلى ! » .

خرج معظم من الغرفة ، فتحركت أنجم وراءه ، تجر قدميها وكأنهما فقدا الإحساس ، كانت حجرة معظم رحبة فسيحة رائعة الأثاث ، جلس معظم على كرسيه ، بينما جلست أنجم على الكرسى المقابل له ، وراحت نظرات معظم الخفية تتفحص وجهها .

- « فيما يتعلق بعملك ، ستتولى الآنسة ثريا إفهامك إياه .. بالنسبة لى أود أن أقول لك بعض الأمور : أولها أننى لا أقبل ولا أتحمل أبدا الكذب أو النفاق ، كما أن التقصير فى العمل أو اللامبالاة أمور تضر بصاحبها .. وثانيها أنه ليس هناك مجال فى الجريدة لمن يعمدون إلى الإجازات دون سبب » وصمت قليلاً .. ثم قال :

- « كنت موجودا أثناء المقابلة الشخصية ، لم أضم صوتى إلى جانبك ، لكن بالصدفة أثّر سجلك التعليمى ، ومميزاتك الأخرى على والدى ، وأنا أيضاً اضطررت إلى القول بأنك كنت أعظم خطيبة فى الجامعة ، وأنك كنت تشاركين فى الكتابة فى مجلة الجامعة ، فى الواقع أنا أتجنب دائما قول الكذب ، ونتيجة لصدقى ، وقف والدى فى صفك فوقع الاختيار عليك ، على كل حال ، يمكنك أن تذهبى الآن » .

ظلت أنجم من داخلها تود لو « خربشت » وجـه هذا الإنسان الأسمر المسمى بمعظم على ، فقد شعـرت بالإهانة ، إهانة لا تكاد تفارقها ، فراحـت تجر قدمـيهـا جرا ، وتمنت لو أنهـا خرجت من فـورها من مكتب الجـريدة ، على ألا تعـود أبدا إلى هذا المبنى ، لكنهـا تركت وظيفتها القديمة ، ولا يوجد لديها الآن ما يسد رمقها ، ووجود الأب المصاب بالشلل ، ووجوه ميمونة وجارية وشاهد التى علاها الأمل ، وابتسامة أمها الممزوجة بالطمأنينة والأمـان ، بعد سماع خبر استلامها وظيفتها الجديدة ، كل هذا أجبرها على الصمت .

خرجت تجـر أقدامهـا المنهكة من غرفة مـعظم على ، فقابلتـها ابتسامة ثريا المملوءة بالإخلاص ، فكانت مرهما طيب ما بداخلها من جراح ، فنسيت كل شىء ، وبدأت تناقشها فيما يتعلق بالجريدة .

- ٤ -

حين رقدت أنجم على فـراشها ليلاً تحـاول استجلاب النوم ، ابتـعد عنها النوم مئات الأميال ، وظلت جميع الأحداث تتراءى لها كأنها حلم ، تذكرت أيام الجامعـة ، كانت قد التحقت بقسم الصـحافة ، وكان والدها معافى وبصحة جيدة ، وكانت أمور البيت تمضى على خير وجه .

كانت « شمع » تدرس فى نفس صفها ، جمـعتهما صداقة قوية بحكم الزمـالة ، كانت شمـع فتاة مـتحـررة الفكر ، بل كانت فـتاة مستهترة إلى حد ما ، لا تقيم للأمور وزنًا ، كما كانت جميلة ، لها وجه تعلوه حـمرة تكسبه جـمالا ، ذات مرة أثيرت زوبعة لـفترة فى القسـم بسبب شمـع ، كان أحد الطـلاب ويدعى « زبير » قـد كتب

لشمع خطابين ، كـان زبير يدرس فى قـسم الأدب الأردى ، فأثارت شمعـة زوبعة . . كان زبير يبـدو شابا طائشا أحـمق ، وعرف زملاء أنجم وزميلاتهـا بخبر زبير ، ومع هذا كـان « معظّم » فى صف زبير يدافع عنه . . مـعـظم ذلك الشـاب الأسمـر الذى كـان أمينا لاتحـاد الطلبة . . من النظرة الأولى شعرت أنجم بالكراهية والنفور تجاه معظم ، كان الأمر يتعلق بدفاعـه عن زبير ، بينما الخطأ ، كل الخطأ يقع على زبير نفسه .

وهكذا بذر معظم على بذور الكراهيـة فى قلب أنجم ، وقد دار نقاش وعراك لفترة بين أنجم ومعظم على . . قال لها مرةً :

- « إذا لم يكن الإنسـان على علم بكـافة الأمـور وجب عليـه الصمت . . من ناحية الشكل أنت إنسان معقول ، لكن . . » .

- « وأنت من ناحية الشكـل بالنسبة لى غير مـعقول ، لا أدرى من اختارك أمينا لاتحاد الطلبـة » اغتاظت أنجم وهى تنطق بما قالت ، ثم تركـت المكان ، وذهبت بينمـا تسمّر معظم على فى مكانه حـيران لا يدرى ما يقول .

انتهت مسـألة شمع ، لكن كلما التقى مـعظم على بأنجم وجها لوجه ، ظهرت ملامح الكراهيـة الشديدة ، وعدم الارتياح على وجه كل منهما .

كانت أنجم تشترك فى مسابقة الخطابة ، وفى كل مرة تقع عيناها على وجه معظم الأسمر الذى كـان يجلس عادة فى المقاعد الأولى ، تشتعل من داخلها حماسا ، وكانت عادة تحصل على كأس المسابقة ،

فتروح تسترق النظر إلى وجه معظم الذى كان يخلو من أى مشاعر أو تأثر ، وكانت هى بدورها إذا ما مرت به لا تعيره أى اهتمام .

لم يكن بينها وبين معظم أى حديث مباشر ، لكن ذات يوم أوقفها معظم وهى ذاهبة إلى محطة « الأتوبيس » وقال لها :

- « إننى أفهمك جيدا . . من أنت . . ؟ ! من فضلك غيرى من طريقتك . . نحن هنا فى جامعة ، هذا ليس فصل لتدريس العشق والغرام . . هل تفهمين ؟ ! » .

نطق هذه العبارات ثم اندفع مبتعدا عنها فى خطوات سريعة ، وتسمرت هى فى مكانها وقد لفتها الحيرة ، ماذا كان يقصد بكلامه هذا ؟ لم تستطع أن تفهم قصده ، لكنها وبعد فترة طويلة ، عرفت أن ركوبها الدراجة النارية مع خالها جواد أثناء عودتها من الجامعة جعل معظم على يسئ الفهم ، وخاصة أن خالها جوادا كان يدانيها فى العمر ، وكان يدرس للماجستير فى نفس الجامعة . . وهكذا شعرت بالأسف على تفكير معظم على ، بل شعرت بالغضب الشديد ، ولم تكن بحاجة إلى أن تمسك بكتف كل طالب فى الجامعة وتقول : انظروا إن جوادا طالب الماجستير بقسم اللغة الإنجليزية هو شقيق أمى ، وهو خالى الوحيد . . . وازدادت كرهيتها لمعظم أكثر وأكثر ، ولم تذكر شيئا لأحد عن خالها جواد ، كان جواد شقيق أمها الوحيد ، ذكيا ، وسيما ، وفجأة شاءت إرادة الله أن تخطفه يد المنون ، انتقل جواد إلى الرفيق الأعلى على إثر حادث أليم ، وظلت أنجم لأسابيع لا تستطيع أن تستعيد طبيعتها السابقة ، كان

رفاق معظم ، ولمرات عديدة يشاهدون عيونها الحزينة ، ووجهها الذى علاه الأسى ، فيوجهون إليها عبارات تندر وسخرية ، وكانت هى بدورها تسمع ما يقال ، فيعتصرها الألم وتتحامل على نفسها ، وتمضى إلى حال سبيلها ، وذات يوم اقترب منها معظم قائلا :

- « آنسة أنجم ؛ آسف جدا . . البقية فى حياتك لموت جواد » .

- وظلت أنجم صامتة . . فقال معظم :

- « حمدا لله أنك لم تكونى معه على الدراجة النارية فى ذلك اليوم المشئوم » .

- ماذا كان يقصد ؟ وماذا كان هدفه من هذا الكلام ؟ . . ردت عليه أنجم وهى تكتم غيظها :

- « ألديك أمور أخرى تود قولها ؟؛ » .

- « لا . . هذا يكفى إذ لا يجب أن نحزن كثيرا هكذا على الموتى . . » نطق هذه الجملة ، وتركها ومضى إلى حال سبيله ·

بعد هذه الحادثة أخذت أنجم على نفسها عهدا ألا تكلم معظم على الإطلاق ، وقررت إذا ما رأته فى أى منعطف من منعطفات الحياه أن تغير طريقها ·

لكن ها هى الحياة خبأت لها الكثير ، فوضعتها اليوم وجها لوجه أمام معظم لتعيد لها ذكريات كراهيتها له ·

راحت تفكر وتفكر ، وتبتعد بتفكيرها أكثر وأكثر . . انتصف الليل وغلبها النوم . . . فى اليوم التالى شعرت أن جو البيت قد تغير ، أخوها ، أخواتها فى سرور وحبور ، والأم مطمئنة هادئة البال ،

والأب فرح مبتهج ، ذهبت أنجم لتطمئن على أبيها ، فراح يسمعها كالعادة كلامه اللطيف :

- « إنى سعيد حقا ياابنتى ، لأنك وجدتى الوظيفة التى كنتى ترغبين فيها ، أنا على يقين أنك ستحصلين على مكانة طيبة فى الجريدة بما لك من كفاءة وقدرات طيبة ، إنك تعملين الآن مضطرة ، وحتى لو لم يكن الأمر كذلك قبلا ، لكنى مسرور جدا بعملك الجديد ، بل زاد سرورى كثيرا . . . وفقك الله فى حياتك وسدد خطاك فقط تذكرى كلماتى هذه : لا تدعى ذيل الصدق يفلت من يدك أبدا ، يكون النجاح حليفك » .

طأطأت أنجم رأسها وهى تنصت إلى كلمات أبيها الحنون ، كانت تعرف أن أباها يحبها حبا جما . . ليته لم يكن معاقا ، ملأ الحزن قلبها وهى تنظر إلى أبيها ، لكن الوالد كان شاكرا وصابرا ، لدرجة أنه لم ينطق أبدا بأى شكوى ، بل لم يبد حتى أى نوع من التململ . .

فى اليوم التالى بدأت أنجم عملها . . وبسرعة اعترف الجميع فى الجريدة بكفاءتها فى العمل ، صارت صفحة الأطفال أكثر جاذبية مما كانت عليه قبلا ، كما صارت مملوءة بالمعلومات المفيدة ، وارتفع مستوى النكات ، وصارت أنجم كالأخت الكبرى لجميع الأطفال القراء ، الذين بدأت خطاباتهم تنهال بأعداد كثيرة على الجريدة .

لم تعد لها صلة تذكر بمعظم ، ورغم هذا فقد تصادفه على الأقل مرة أخرى فى اليوم ، كان ما بينهما من حديث يتعلق بالعمل فقط ولا شئ غير هذا .

ذات يوم وصل السيد هاشمى والد معظم إلى الجريدة ، وذلك بعد غياب طويل ، استدعى أنجم التى كانت بدورها تتوق إلى لقائه ، فهو قبل كل شىء الإنسان الذى اعترف بكفاءتها وصلاحيتها ، واختارها لهذه الوظيفة . . . وصلت إلى مكتبه ، فقابلها بابتسامة كلها عطف وحنان قائلا :

- « أنجم ! إننى مغتبط جدا ومسرور بعملك وجهدك ، ولو استمر حبك للعمل بهذا الشكل فسيزيد توزيع الجريدة كثيرا » .

- « شكرا يا سيدى » .

- « سمعت أن أكثر الخطابات الواردة للجريدة تصل باسمك ؟ !»

قال هذه العبارة وهو يبتسم ، فردت أنجم بخجل :

- « لا أدرى يا سيدى . . . » .

- « على كل حال ، إنى مسرور جدا ، هل هناك أحد فى عائلتك يعمل فى هذا المجال أيضا ؟ » .

- « لا يا سيدى » .

- « ماذا يعمل والدك ؟ » .

- « إنه مصاب بالشلل ، كان يعمل فى وظيفة حكومية ، وهو الآن راقد فى البيت » .

قالت الجملة الأخيرة وهى توجه أنظارها إلى موضع قدميها » .

- « أوه ! يا للأسف . . يا للأسف » قال السيد هاشمى هذه العبارة بحزن شديد وهو يهز رقبته ثم سألها :

- « هل هناك أخ أكبر ؟ » .

- « لنا أخ يصغرنا جميعا . . أنا أكبر أخوتى ، لى أختان أصغر منى والجميع فى مراحل التعليم » .

ذكرت أنجم كل شىء بالتفصيل حتى تنجو من أى أسئلة أخرى قد يوجهها إليها السيد هاشمى ، الذى صمت قليلاً ، فاستأذنت أنجم وخرجت من غرفته إلى مكتبها .

- ٥ -

ستة أشهر مضت منذ تسلمت أنجم عملها الجديد ، تحسنت خلالها الظروف المالية فى البيت ، حصلت ميمونة على شهادة الثانوية العامة ، وتنتظر الآن إجراءات الالتحاق بالكلية ، ووصلت جارية إلى مرحلة الإعدادية ، بينما انتهى شاهد من المرحلة الابتدائية ، تم ترتيب أمور علاج الوالد بطريقة ثابتة ، وراحت الأم توفر بعض النقود .

مضى كل شىء على ما يرام ، رغم أن أنجم لم تكن مطمئنة لأسلوب معظم فى المعاملة ، ومن العجيب أنها لم تجد فرصة ما تسمح لها بالاعتراض على أى تصرف من تصرفاته ، بل أكثر من هذا كان الجميع يمتدحون معظم ويعترفون بصدقه وإخلاصه وجديته فى العمل واستقامته ، لكن قلب أنجم و- منذ اليوم الأول - غير راض عن معظم ، وكان هذا نفسه حال معظم ، الذى لم يتحدث مع أنجم أى حديث غير ضرورى أبدا ، وكان كلامه معها لا تشوبه من قريب أو بعيد لهجة ناعمة أو لهجة تسامح أو عطف .

كـان بين أنجم وثريا - التى طالما تغنت بمحـاسن أعظم - علاقـة صداقة حـميمة إلى حد مـا ، ولم تكن ثريا تعلم أن بين أنجم ومعظم معرفة سابقة فى الماضى .

ذات مرة قالت ثريا :

- « أنجم ! أنت لم تبدى رأيك أبدا فى معظم ؟ !

- « وهل لهذا ضرورة ما ؟ ! » .

- « ألا تعتقدين أنه إنسان طيب ؟ » .

- « أنا لم أفكر فى أى أمر يتعلق به أبدا » .

- « لكنه فى النهاية رئيسنا فى العمل ، لو فكرنا . . . فما الخطأ فى هذا ؟ » .

- « ليس لدى وقت للكلام الفارغ » .

- « يساورنى شـعور أن بينك وبين معظم سـوء فهم أو أن هناك أمرا آخر ، أو . . . » .

- « من فـضلك يا ثريا ، تحـدثى فى مـوضـوع آخـر ، لا أريد التحدث فى مثل هذا الموضوع . . ما علاقتى بمعظم ؟ ولماذا أفكر فيه ؟ أليس لدى أشياء أخرى أفكر فيها ؟ » .

- حينئـذ دخل معظم الغرفة ، كـان مقطب الجبين ، فـقد سمع حوارهما ، فخاطب أنجم محاولا إخفاء مشاعره :

- « من فضلك ، تفضلى إلى حجرتى . . . » .

انطلقت أنجم خلف معظم فى صمت .

- « تفضلى ! اجلسى . . » .

فجلست . .

- « أنا آسف أعتذر ، فقد سمعت حواركما ، وإننى أود أن أقول لك شيئا ، كـان بيننا قبلا اختلاف فى الرأى أو عـدم انسجام ، واليوم أيضا ، كمـا أننى لم أنس الأحداث القديمة ، بل أتذكـرها جيدا بكل تفاصيلـها . . نعم سـررت كثيرا ، وأنا أسـمـعك تقـولين إن الحديث أو التفكيـر هو بالنسبة لك كـلام فارغ ، وأنه لا وقت لديك لمثل هذه الأمور . . حسنا جدا .

- « إننى ذاهبة . . . » .

- « يمكنك أن تذهبى . . آه خذى هذا المظروف ، أعطاه لى ابن أختى ، أرسل فـيه نكتـة لم أطلع عليها ، على كـل حال يمكنك أن تنشريها فى عدد يوم الجمعة » .

تسلمت أنجم المظروف الصغـير ، ثم خرجت من غرفـة معظم ، وأخذت تفكر معظم يكرهنى كراهيـة شديدة ، ولا يستطيع إخفاء هذه الكراهيـة ، إنه لم يتحـدث معى بعنف ، ولماذا يفـعل هذا . . إنه لم ينس بعد مرارة الماضى ، وحالى من حاله أيضا ، لكن لماذا أفكر فيه ؟

أدارت رأسها وانطلقت إلى غرفتها . .

سألتها ثريا :

- « خيرا ؟ . . هل طلب منك عملا ما ؟ »

- « لا . . لا شىء بالتحديد ، أعطانى هذا المظروف . . رئيسك ابن أخته أرسل نكتة لتنشر فى الجريدة » .

- « أوه . . هذا الأمر فقط ، انشريها فى عدد الجمعة القادم » .

ـ « نعم . . هذا ما قاله » .

- بعدها انشغلت أنجم بالعمل ، فقد بدأت هذه الأيام إعداد ألغاز علمية للأطفال ، وراح الأطفال يشاركون فيها بشوق شديد ، ووصلت الجريدة مئات الحلول للألغاز التى نـشرت قبلا ، وجلست أنجم تفحص الإجابات الصحـيحة ، عشرة أطفال حـصلوا على جوائز عن حلولهم الصحـيحة من قبل منـذ بدأت أنجم سلسلة الألغاز العلميـة ، انشغلت أنجم لرأسهـا . . وزادت نسبة توزيع الجـريدة ، ونالت شهرة كبـيرة ، وأعطاها السيد هاشمى مكافأة خاصة تشجيعا لها .

على كل حال غرقت أنجم فى العمل ، ودقت الساعة الثامنة دون أن تدرى ، وتذكرت فجأة النكتة التى أعطاها لها معظم ، لتنشرها فى عـدد بعد الغـد ، فـفـضت المظروف ، وطالعت النكتـة ، ثم فكرت قليلاً، وألقت بها فى سلة المهملات .

- ٦ -

فى طبعـة يوم الجمعـة . . وعلى صفحـة الأطفال لم تنشـر نكتة جمال ، الذى فـتح الجريدة بشوق وهو يحدث نفسـه : خالى قال إن النكتـة التى أرسلتـها سـتنشر اليـوم . . . لكنه لا يرى النكتـة فى أى صفحة ، فانطلق من فوره إلى خاله :

- « خالى . . خالى ! النكتـة لم تنشر . . » قال هذا وهو يلوى شفته ويقطب جبينه مفتعلا الغضب .

- « كيف يمكن هذا ؟ » قال معظـم : « لقد أكدت بنفسى على أنجم » .

بعدها طالع معظم بنفسه صفحة الأطفال ، نشرت نكات عادية لعدد من الأطفال ، لكن النكتة التى أرسلها معه جمال لم تنشر ، كان معظم يحمل فى قلبه حبا شديدا لابن أخته هذا ، والسبب هو أن أم جمال توفيت ، وحين تزوج والد جمال ثانية ، نقل معظم جمالا إلى بيتهم ، وشعرت الأسرة أن تلبية كل مطلب من مطالب الطفل حتى ولو كان تافهة بمثابة فرض يجب عليهم القيام به ، ثم إن نشر النكتة التى أرسلها مجرد رغبة يسهل تلبيتها . . وهكذا غضب معظم من أنجم غضبا شديدا ، وراحت الأفكار تعتلج بداخله :

- « لقد أهانتنى أنجم ، صحيح أنها تناصبنى العداء ، لكن هذا لا يعنى أن تعصى أوامرى . . ثم هذا السبب البسيط ؟ ! هذا أمر لا يصدق ، ولا يحتمل . . » .

فى اليوم التالى استدعى أنجم ، التى حضرت إلى غرفته ، كان يرتدى حلة كُحلية ، وكان فى تمام هندامه . . . راحت أنجم تخاطب نفسها : « كيف تحول لونه القمحى الأسمر إلى لون داكن ، ومتى غاب عنه قده النحيل الذى كان يميزه أيام الدراسة الجامعية » ، لقد اضطرت أن تفكر فيه للحظة .

- « نعم ياسيدى . . » .

- « لقد قلت لك شيئا أول أمس » .

- « لا أتذكر . . » لم تكن تتذكر فعلا أى شىء .

- « نعم . . كيف تتذكرين . . قلت لك كلاما ، وأنت أيضا ليس عندك وقت للكلام الفارغ . . » .

- « لكن ماذا حدث ؟ أنا عاجزة عن فهم ما تقصد . . » .

- « آنسة أنجم ! هذه جريدتى . . » ، وزادت لهجته حدة وهو يقول : « ابن أختى جمال أرسل مظروفا فيه نكتة ، لماذا لم تنشر فى الجريدة ؟ ! » .

- « آه ! تلك النكتة . . » .

- حينئذ فهمت أنجم كل شىء .

- « هل يمكن أن تذكرى السبب ؟ » نطق عبارته بلهجة قاطعة .

- « أنا لم أر أنها صالحة للنشر » ردت أنجم دون أدنى اكتراث .

- « ذلك لأنك تريدين معارضة ما أقول . . هية ؟ » .

- « لا . . بل لأن مستوى النكتة هابط » .

- « أهم من المستوى رؤية الفرحة على وجه طفل » .

- « معذرة ! أنا لا يمكن أن أنشر مثل هذه الأشياء التى تفسد الأخلاق ، أخلاق الأطفال ، أو تجعلهم غير مؤدبين » .

- « أرينى النكتة » لم يكن معظم على يقين مما قالته له . .

غابت أنجم ، وعادت وقد أحضرت الورقة التى كتب فيها جمال النكتة التالية :

قالت مدرسة أطفال للأطفال وهى تشاهد صورة جماعية ، هذه صورة تذكارية ، بعد سنوات حين يشاهد الناس هذه الصورة سيقولون. . انظروا هذا هو عاصف الذى أصبح طبيبا ، وهذا هو عارف الذى أصبح مهندسا ، وهذه وردة التى تدرس فى المدرسة . . وحينئذ قال أحد الأطفال : وهذه هى مدرستنا التى قضت نحبها . . .

- ٧ -

قرأ معظم النكتة وسكت ؛ فقالت أنجم :

« كتب جمال نكتة منقولة ، وفيما ينقله الأطفال أشياء ، ولكن لا أستطيع أن أفهم كيف لطفل من أسرة محترمة أن يهين مدرسته بهذا الشكل ، وهذا ليس نكته ياسيد معظم ، هذه لمحة فكرية لأمثالنا » .

أخفض معظم ناظريه . .

وخرجت أنجم دون أن تضيف شيئا . .

وراحت أنجم تنفض الغبار عن الصور القديمة ، بينما انغمست جارية وميمونة فى مشاهدة الصورة واحدة تلو الأخرى . .

حين يتم إخراج الصور التى شاهدوها مئات المرات ؛ فإن الجميع يجلس لمشاهدة نفس الصور مرة بعد مرة ، كانت أنجم فى زمان دراستها خطيبة مفوهة ، نالت العديد من الكؤوس فى مسابقات الخطبة ، ولديها الكثير من الصور لمثل هذه المناسبات ، ولكن الصورة التى تحمل لديها أجمل ذكرى ، هى تلك التى اُلتقطت لها مع خالها جواد ، وهما يقفان معًا يمسكان بالكأس . . كانت تلك مسابقة خطابية لها ذكراها ، نال فيها خالها الجائزة الأولى ،بينما نالت هى الجائزة الثانية ، ثم وقف الاثنان معا ، والتقطت لهما الصور التذكارية. . كم كان الخال جواد وسيما رائعا ، لكن يد المنون اختطفته ، رأت أنجم الصورة فاغرورقت عيناهابالدموع .

التقط شاهد الصورة ، وجرى بها إلى أمه ، شاهدت الأم الصورة فغرقت فى ذكريات الماضى . . كم مر الوقت سريعا ! يا لها

من أيام . . الذكرى الرابعة لوفـاة جواد ، تدعو الأم عادة بعض القراء لتـلاوة القرآن الكريم ، كانت أنجم تعـرف هذا . . أخذت الأم الصورة إلى أنجم وهى تقول :

- « أنجم ! ابنتى ! لعلك تتـذكرين . . ستـمر أربع سنوات فى الأسبوع القادم على وفاة خالك جواد » .

- « نعم يا أماه . . أتذكر جيدا » .

- هل ندعو القراء لتلاوة القرآن الكريم ؟ » .

- « سوف أدبر الأمر يا أمى لا تقلقى . . » .

- جمعت أنجم الصـور ورتبتها داخل مظروف كبـير ، وأخذت صورة الخال جواد التى تحمل فيها الكأس ووضعتها فى حقيبة يدها ، الصغيرة ، وفى اليوم التالى قالت لثريا :

- « ثريا ! يوم الأحد القادم سنقرأ القرآن فى ذكرى وفاة خالى، يمكنك أن تشاركينا . . »

- « حسنا ! سأحضر ، متى كانت وفاة خالك ؟ » .

- « منذ أربع سنوات » .

- قصت أنجم على ثريا الحكاية كاملة ، وأرتها تلك الصورة التى كانت وضعتها فى حقيبتها :

- « انظرى يا ثريـا ! هذه صـورتى مع خـالـى جـواد . . هذه الصورة التقطت قبل وفاته بشهرين » .

- « أف ! كم كان وسيما خالك !! الذكاء ينط من عينيه . . » .

- « نعم يا ثريا كان طيبـا جدا ، ولكنه عاش بيننا لأيام قليلة ثم راح . . » .

كانت صـورة جواد وأنجم فى يد ثريا حـين قدم معظم لأمـر ما ووقع نظره على الصورة ، أثناء الحديث ، فتـغير وجهه ، ورجع من حيث أتى ، يسـرع الخطى ، ولم تستطع ثريا أن تفـهم شيـئا ، لكن أنجم فهمت كل شىء .

- ٨ -

سيطر القلق على مـعظم على لعدة أيام ، وزاد من قلقه غـياب أنجم ، فلم تحـضـر إلى الجـريدة منذ ثلاثة أيام مـتـواصلة ... وصل طلبهابشأن الإجازة ، لكن معظم كان فى منتهى الغضب والضيق ... إلى متى تستمر فى إجـازتها ، ومرت الأيام الثلاثة بشكل أو بآخر ، لكن أنجم لم تحضر إلى مكتبـها ، وطلبت إجازة لثلاثة أيام أخرى ، مما أثار حفيظة معظم ، الذى لم ير من اللائق أن يسأل ثريا عن الأمر ، وثريا نفسـها لم تشأ أن تخـبره بشىء ، على كل حال حـضرت أنجم بعد غياب إسبوع كامل ، فاستدعاها معظم من فوره :

- نعم يا سيدى ! » .

- « هذا عمل فى جريدة ، ليس تدريس فى مدرسة حكومية... كلما أردت إجازة حصلت عليها ، ألا يوجد من يحاسبك ؟ ! » .

- « لقد طلبت إجازة إضطرارية ... » .

- « اضطرارية ... لهذه المدة الطويلة ، آنسة أنجم هذا كله غير محتمل ، يجب أن يكون لديك إحساس بالمسئولية » .

- وكان رد أنجم ممثلا فى قوة تحملها ... فسيطرت على غضبها وهى تقول :

- « ما رأيك ؟ أليس لدى إحساس بالمسئولية ؟ »

- « من لديهم إحساس بالمسئولية لا يأخذون مثل هذه الإجازة الطويلة » .

- « إنك تريد أن تقول شيئا آخر ... » .

- « لا ... لا أريد أن أقول لك شيئا ... من فضلك اذهبى من هنا ... » ، نطق بهذه الجملة بعد أن سمع كلام أنجم الذى قالته بلهجة مريرة ...

استدارت أنجم وفتحت الباب بقوة ؛ فصدر صوت طرقعة شديدة... وخرجت ... راحت ثريا توجه لها العديد من الأسئلة ، لكنها لم ترد عليها ، وفتحت درج طاولتها وأخرجت ورقة كتبت فيها استقالتها ، ثم وضعت الورقة على طاولة معظم وعادت إلى بيتها ...

- ٩ -

قرأ معظم الاستقالة ، فقطب جبينه ، لم يصبه ذهابها بأى غم، ولم تبدو عليه ملامح التأثر ، فقط كان قلقا على صفحة الأطفال ، من سيتولى تحريرها فى الوقت الحالى ، بالإضافة إلى أن الوالد سيغضب غضبا شديدا لما حدث ، فهو من المؤيدين بشدة لأنجم ، ورغم كل هذا، فقد كان معظم غاضبا بشدة من أنجم ، فبالإضافة

إلى غيابها طوال الفترة السابقة ، راحت تحدثه بأسلوب ساخر ، وبتهكم ، فأعادت إليه مرارة الماضى بكل صوره وأشكاله ، وفى مقدمة هذه الصور « صورة جواد » ...

سيطر القلق على ثريا بعد ذهاب أنجم المفاجئ ، فلم تفهم شيئا مما حدث ، فانطلقت مباشرة إلى غرفة معظم ...

- « سيدى ! أين ذهبت أنجم ؟ لقد خرجت دون أن تذكر لى شيئا... ؟ » .

- كان معظم فى قمة غضبه :

- « قدمت استقالتها » .

- « استقاله ! لكن لماذا ياسيدى ؟ » دهشت ثريا » .

- « سألتها عن غيابها ... وصل الأمر إلى مداه ... إنه استهتار حصلت فى الأيام السابقة على إجازة مرتين ، ثم غابت الآن لمدة أسبوع ، نحن فى جريدة ، لسنا فى ملعب كرة ، أليس كذلك ؟ ؟ ! إذا لم تتحمل المسئولية ، وأخذ الأمور على محمل الجد ، فإن تركها للعمل أفضل من بقائها فيه » .

- راحت ثريا تفرك أصابع يديها :

- « سيدى ... إن ما حدث أمر سيئ للغاية » .

- « إن العمل لا يتوقف بذهاب أحد يا آنسة ثريا ، تسلمى مؤقتا صفحة الأطفال ، وسوف أتدبر الأمر سريعا » .

- « لم أقصد الجريدة ، لكن يا سيدى أفكر فى أنجم » نطقت ثريا بالجملة الأخيرة فى هدوء ، وضغطت على كل كلمة قالتها .

- « ماذا ؟ » سألها معظم ممتعضا ، لأنه لم يفهم ما قالت ثريا .

- « سيدى ... قبل أسبوعين أخذت أنجم أجازة ليومين ، وكان السبب ذكرى وفاة خالها ، والإجازة فى المرة الثانية بسبب مرضها هى نفسها ... » .

- « انظرى يا آنسة ثريا ! ذكرى وفاة الأخوال والأجداد تمر على مدار السنة فى كل بيت ، هذا لا يعنى تعطيل العمل فى المكاتب بالحصول على أجازات » .

- « سيدى أنت لا تدرى ؛ كان جواد يرحمه الله خالها الوحيد ، ثم أنه مات فى عز شبابه ، سأخبرك بكل شىء بل سأريك صورته ، أنظرها هى بالصدفة فى حقيبة يدى ، نسيت أن أعيدها لأنجم ... »

- أخرجت ثريا الصورة التى التقطت لأنجم مع خالها جواد وهما يحملان الكأس فى فرح وسرور ... حملق معظم فى الصورة وتملكته الحيرة ...

- « هذا ... جواد ... خال أنجم ؟! » قال هذا وقد غرق فى التفكير ، وكأنه يعود بنفسه إلى الماضى البعيد ...

- « نعم يا سيدى ... هل تعرفه ؟ » .

- « معرفة سطحية ... » .

بدأت رأس معظم تدور ، ومر على ذهنه شريط الذكريات... ذكريات الماضى ... ثم خرج من ذهنه أيضا ، فقال بلهجة متقطعة :

- « ولعلك تعرفين أيضا لماذا أخذت أنجم إجازة هذا الأسبوع ؟ »

- « نعم يا سيدى » .

- « أخبرينى ... » .

- « لقد أنتقل والدها إلى الرفيق الأعلى » .

- « آه ! يا للأسف ! لماذا لم تخبرينى بالأمر ؟ ! » .

- « منعتنى أنجم ... لا ترغب أن تذيع شيئا يتعلق بآلامها وحزنها وأساها ... يا سيدى إنها فتاة محطمة من الداخل ، فهى لم تكد تنسى أحزان وفاة خالها ، حتى مات أبوها ... » .

لزم معظم الصمت التام ، وراحت أصابعه ترسم خطوطا على الطاولة ...

- « سيدى ! أرجوك أن تستدعى أنجم »

لم يرد معظم ... فتركته ثريا وخرجت .

- ١٠ -

غضبت أنجم غضبا شديدا ، وشعرت بكراهية شديدة لمعظم ، لم تتألم أبدا بتركها لوظيفتها فى الجريدة ، بل شعرت كأن عبئا ثقيلا انزاح من فوق رأسها ، فبعد وفاة والدها ، تغير شكل الأعباء والمسئوليات المنوطة بها ، وكان عليها على ضوء مسئولياتها الجديدة أن تستعد لمواجهة المصاعب والمتاعب بطريقة عملية ، وأهمها المصاعب المالية ، خططت مع نفسها ... لكن تنفيذ ما خططته يحتاج إلى وقت ، وهو ما كانت تفتقده دائما ، لكن الآن لديها الوقت ، وهى تريد أن توفر دخلا معقولا وثابتا يكفى لأمها وأختيها وأخيها الصغير ...

وصلت إلى البيت فوجدت الصمت يطبق عليه كالعادة ، فقد أسكت موت الأب جميع من فى البيت وأصابهم بما يشبه البكم ، ذهلت الأم وسألت أنجم :

- « كيف جئت اليوم مبكرا ؟ ! » .

- « تركت الوظيفة يا أمى ... » .

أضطربت الأم :

- « لكن يا أبنتى » ؟ !

- « لا تقلقى يا أمى ! لقد فكرت فى حل جميع القضايا ... ميمونة ... جارية ... شاهد ... تعالوا هنا ، الأمر سيستقيم بعد أخذ رأى ومشورة الجميع » .

حضروا جميعا والتفوا حولها ...

قالت أنجم :

- « يا أمى ! إن أكبر مشكلة تواجهنا هى مشكلة « الفلوس » ، النفقات كما تعلمين تزداد يوما بعد يوم ، وشاهد لا بد أن ينال قسطا وافرا من التعليم ، ولا يزال الجميع فى عمر الزهور ، لا بد أن نفكر فى ميمونة وجارية ، وكل هذا لا يمكن أن يتحقق بدون فلوس » .

فردت الأم وهى فى حيرة شديدة :

- « فى أى شيء فكرت إذن ؟! »

- « أماه ! لا تتعصبى ، انظروا جميعا إلى الأمور بعين الحقيقة ، بيتنا يحتوى على ثلاث غرف نوم ، ويمكن أن يُباع اليوم بمليون وربع أو مليون ونصف ، ومن ثم يمكننا أن نشترى شقة طيبة ثلاث غرف

نوم بنصف مليون أو أكثر قليلا ، ثم نستثمر المبلغ المتبقى ، فيكون لدينا مصدر دخل معقول ، لقد فكرت كثيرا واتخذت هذا القرار » .

- قال شاهد فرحا مسرورا :

- « صحيح يا أختى سنوفر هذا المبلغ » ؟ !

- قاطعته الأم موجهة حديثها إلى أنجم :

- « يابنتى ! استشيرى بعض الناس فى الأمر » .

- « لا يا أمى ... لسنا بحاجة لاستشارة أحد ، سوف نحل مشاكلنا بأنفسنا ، سيقول الآخرون لا تبيعوا البيت ، عيشوا حياة الحرمان طوال حياتكم ... تحملوا المصائب والمصاعب ... يا أماه إن الآراء التافهة موجودة لدى كثير من الناس ... من سيقوم بمساعدتنا مساعدة عملية ؟ ! الكلام التافه سهل ... يا أمى إلى متى نعانى ونقاسى ، يا أمى إلى متى يتلهف أخى الصغير وتتلهف أخواتى على الحصول على ما يرغبون من أشياء بسيطة ؟ ! »

- « كيف سيتم هذا » ؟ !

- « سوف أدير كل شىء ، سوف أتحدث مع أحد المسئولين بالمكتب العقارى ، وسوف أنشر إعلانا ، فالآن لدى وقت كاف لعمل كل هذه الأشياء ، وبعدها سوف أبحث عن وظيفة مناسبة » .

وافق الجميع على رأى أنجم ، كان لحديثها وزن لدى الجميع ، وهكذا نفذت ما خططت له تماما ، فبيع البيت بثمن طيب ، ووجدوا شقة فسيحة جميلة ، فرشوها بأثاث جيد ، استثمروا بقية المبلغ فى

إحدى الشركـات ، ليدر عليهم دخلا شهريًا مـعقولا ، كل هذا تم فى حوالى شهر أو أكثر قليلا ، لكن الأمور كلها الآن على ما يرام ، كانت ميونة وجـارية ومعهما شاهد فى غـاية السرور ، بيت جديد ، فرش جـديد ، أثاث جديد ، ورغم أن موت الأب كـان يخيم على الوجه ، إلا أن أنجم منحت الجميع راحة ذهنية كاملة .

- اطمأنت الأم من أعماقـها ، لم تكن على يقين من أن الأمور ستمضى هكذا ، ولم تعد بحاجة لأن تمد يدها لأحد طلبا للمال ...

- « أنجم يا ابنتـى ... أنا لا أصـدق حـتى الآن أننـا نجلس فى بيتنا، ونحصل على ستة آلاف روبية شهريا ، كمل أن بيتنا هذا جميل ومريح ... » .

- « أمى ! الناس يشترون متاعبهم بأنفسهم ، لقد شاهدت كثيراً من الأسر ، يعانون المتاعب طوال حياتهم ، أولادهم يتألمون من أجل الحصول على قروش بسيطة ، ورغم هذا يستمر هؤلاء فى شراء قطع من الأراضى واحدة بعد الأخرى ، وبيـوت هؤلاء الناس تعانى دائما من المشكلات المالية ... صحيح لابد للإنسان أن ، يبنى بيتا ليقيم فيه ، لكن التضييق على الأولاد لمجرد « تحويش » ممتلكات هنا وهناك ليس من العـــقل فى شىء ... انظرى إلى صديقتك الخالة عارفة ! » .

- « نعم ... نعم ذكّرتينى !! عارفة لم تزرنى منذ أيام طويلة !»

- « المسكينة فى مـأزق ، قلقـة ، مـضطربة ، فـفى هذه الأيام يتقاعد زوجها » .

- « نعم . . صحيح إن قلة الدخل معناه القلق والاضطراب » .
- يا أمى ، إن عندهم بالإضافة إلى بيتهم الخاص ثلاث قطع من الأرض كل واحدة كذا فدان ، فلو أرادوا ، باعوا قطعة واحدة واستثمروا ثمنها وحصلوا على دخل معقول ، ماذا سيفعلون بقطع الأرض هذه ؟ ! » .
- « صحيح ما تقولين » صدقت الأم على ما قالته أنجم .
وبينما كانت أنجم تتحدث مع أمها أعدت أختها الشاى وجاءت به ، فبادرتها أنجم قائلة :
- « ياه ! ما هذا النشاط ؟ ! إنك تستحقين جائزة » .
رشفت الأم رشفة وقالت :
- « شاى لذيذ جدا! » .
فقالت أنجم :
- « أمى ! نكهة الشاى تتغير بتغير نوعية الفنجان ، لعلك لا تصدقين ، إن تناول الشاى فى فنجان جميل يجعل طعم الشاى ألذ »
ردت الأم :
- « هذا صحيح » .
واستمر الجميع يتبادلون الأحاديث ، ثم انصرفوا كلٌ إلى عمله...

- ١١ -

ظنت أنجم أن استقالتها ستترك رد فعل ، على الأقل سيحاول السيد هاشمى الاستفسار عن سبب الاستقالة ، وسيسعى لإعادتها ،

لكن شيئا من هذا لم يحدث ، ولم يحاول أحد من الجريدة الاتصال بها حتى إن ثريا نفسها لم تأت لزيارتها بالبيت ، لم يكن فى بيتها هاتف يمكّنها من محادثة ثريا ، ثم إنها انشغلت لدرجة أنها لم تجد فرصة للتفكير فى أحد ، لكن الآن بعد أن استقرت الأمور ، كما تهوى وترغب ، راحت تفكر ثانية فى معظم وجريدته ... فعلت خيرا بترك تلك الوظيفة ، يا لهم من أناس لا إحساس ولا شعور عندهم ، لم يأل أحدهم جهدا ، ولم يكلف أحدهم خاطره ليسأل عنى ... وكانت غاضبة أكثر من موقف ثريا ، فلو أرادت لقدمت لزيارتها فى البيت ، فقد تركت عنوانها الجديد فى بيتها القديم .

كانت انجم فى تلك الأيام تخرج للتسوق مع ميمونة ، واليوم التقت فجأة فى السوق بشمع وأختر ، صديقة شمع ، شعرت انجم بسرور بالغ إذ تلتقى بهما بعد مدة طويلة ، كانت شمع قد تزوجت ، وتقيم بالقرب من شقة انجم ، وسألت شمع عن عنوان انجم ووعدتها بالزيارة ... وسرعان ما وفت بوعدها فى اليوم التالى وجاءت لزيارتها، ورغم أن الصداقة لم تجمع بين انجم وشمع إلا أن زمالة الدراسة وزمالة فصل واحد ، جعلتا للقائهم فرحة ، وقد جاءت شمع معها بصديقتها أختر ، حتى تحلو الجلسة ، ويحلو الكلام ، ويتجاذبن جميعا أطراف حديث الذكريات .

أثرن معا ذكريات أيام الدراسة بالجامعة ، وتذكرن قصة «زبير» فانفجرت شمع وصديقتها فى ضحك متواصل ، قالت أختر :-

- « كان شابا أحمق ، استغفلته شمع كثيرا »

- « ماذا يعنى هذا ؟ » سألت أنجم فجاة .

- « ما لنا ولهذا ... انسيه ... انسى هذا الأمر ، كان هذا زمن خفة العقل » ردت شمع مبتسمة .

- « فأصرت أنجم :

- « بالله ! أخبرانى ما الأمر ؟ » .

فقالت أختر :

- « الحقيقة أن شمعا كانت تستغفل زبير ، كانت تجد لذة فى إثارته حتى يبدو وكأن عقله قد خفّ ، وجن جنونه ، كانت تروح وتجئ أمامه ، وكانت تثيره بلفتاتها ، كان هذا الخطاب الطويل المملوء بالحب واللوعة ، وأرسله إلى شمع ، وبالصدفة عرفت بعض الفتيات بالأمر ، فاضطرت شمع إلى الدفاع عن نفسها وتغطية موقفها، فأثارت الضجة التى حدثت ، وهكذا أصبح زبير المسكين البرئ الذى لا ذنب له فى موقف المتهم » .

سمعت أنجم الحكاية بالتفصيل ، وسكتت ، وتذكرت كلمات معظم .

- « إذا لم يكن الإنسان على معرفة بحقيقة الأمور ؛ فيجب عليه - على الأقل - أن يظل صامتا »

فى الواقع لم تكن أنجم تدرى حقيقة الأمر ، وراحت تناقش معظم ، وتتعارك معه ، دون وجه حق ، واتهمته بالسوء ...

غادرت شمع وأختر بعدفترة ، وتركتا أنجم غارقة فى عالم من الأفكار ... لم يكن معظم ذلك الإنسان الذى ظنته ، ثم إنها لم

تستطع أن تظهر له جانب اللين فى أى وقت من الأوقات ، لم تنس أيضا سلوك معظم معهـا فى مكتب الجريدة ، كما أنها لا تريد أن تنسى ذلك ، فى تلك الأيام كانت مشغولة عن التفكير فى أمورها الخاصة بالبحث عن وظيفة ... وإذا بثريا تأتى فجأة لزيارتها ...

تعانقتا ... وتبادلتا العتاب والشكوى ...

- « ها قد جئت ؛ لهذا يجب أن ينتهى غضبك » .

- « لكن لماذا القطيعة كل هذه الأيام » .

- « كنت مشغولة ... جاء أخى من أمريكا ... نعيم » .

- « حسنا هذا هو السبب ، كان عليك أن تخبرينى على الأقل... ذهب نعيم ؟ ! » .

- « رجع بعد أسبوعين ، واليوم جئتك فى خدمة ! » .

- « قولى ... تكلمى ... »

- « فى الحقيقة نحن نريد أن نُزوّج نعيم »

- « لكن الآن ؟ نعيم أصغر منك ! » .

- « نعم أصغر منى بسنة ... ما شاء الله يتقلد وظيفة طيبة ، هذا بينى وبينك ، لا تخبرى أحدا ، إن عمرى ليس صغيرا كما أبدو ... » .

- « حسنا ... من هى بنت الحلال هذه التى سيتزوجها نعيم ؟ »

- « أنا فى الحقيقة جئت وفى ذهنى ميمونة ... أمى طلبت منى الحصول على موافقتكم ، على أن تأتى هى فيما بعد » .

- « ياه ... ميمونة ... ميمونة لا تزال تدرس ، ثم بهذه السرعة؟ » .

- « كل شىء ممكن ... يمكن لميمونة أن تكمل دراستها فى أمريكا ، ناقشى الأمر مع أمك ... » .

فوجئت الأم بهذا الأمر ، ومع ذلك تم الزواج ، تزوجت ميمونة من نعيم ، كانت الأم تتمنى أن تتزوج أنجم أولا ، إلا أن أنجم عارضت كلام أمها بشدة ، وأمامها مثال واضح جدا وهو ثريا نفسها، فنعيم أخوها الأصغر ، ومع هذا فقد تزوج أولا ، فالأمر يتعلق بظروف الوقت ، وضرورة الموقف نفسه ، فلم تكن أنجم على الإطلاق من القائلات بمثل هذه العادات والتقاليد ، أو مثل هذا الكلام التافه الذى يجرى على ألسنة الناس أحيانا .

عاد نعيم إلى أمريكا وبقيت ميمونة فى بيت أسرته ، ترك زواجها فراغا فى بيت أسرتها ، كانت ثريا تزور أنجم أحيانا ، فتخبرها أن معظم لم يحدث أن ذكرها بخير أو شر ، وكانت ثريا نفسها تعجب من هذا الأمر ، لكن أنجم لم تهتم مطلقا ، فلم تكن تغير معظم أى اهتمام ، لكن قلبها أحيانا ما كان ينقبض ... كم كان إنسانا بلا حس ، لا يعرف حتى معنى المروءة ، ولا يعرف فى الحياة سوى الكراهية ، ربما لم يشعر بحب تجاه أى إنسان فى هذه الحياة الدنيا ...

لم تكن ترغب أبدا فى التفكير فى معظم ، ورغم هذا كانت تتذكره أحيانا .

فى تلك الأيام كانت الأم قلقة على أنجم ، كانت تريد أن يتم زواجها بأسرع ما يمكن ، فكانت تقيم الليل تدعو الله من كل قلبها من أجل أنجم ، وأخيرا جاء خطيب لأنجم ...

كانت الأم فى غاية السعادة ومنتهى الفرح ، لم تكن أنجم تدرى تفاصيل الأمر ، لكن بعض النسوة زرن البيت ، وأعجبن بها وذهبن ... وأنجم لاتدرى عن الخطيب شيئا ... وحين أخبرت من هو الخطيب ... دارت رأسها بشدة للحظة ...

لقد جاء « معظم على » لخطبتها ...

أراد قلبها أن يعلن الرفض ، وأخبرت ثريا برغبتها تلك إلا أن ثريا عنفتها بشدة ...

- « لكن ياثريا ، إنه يكرهنى ... يريد أن ينتقم منى ... » .

- « هذا هو ظنك ... تمسكى بتلابيب العقل ولا تتلفظى بكلمة ... »

ظلت أنجم تتمنع ثريا ، لكن أخبرت الأم بموافقة أنجم ، وحضرت الأم بنفسها لتسأل أبنتها رأيها ، فبقيت أنجم صامتة ، أرادت أن تحرك شفتيها لكن الصوت لم يخرج ، واحتضنتها أمها ، وضمتها بشدة ، وأمطرتها بالقبلات .

- ١٢ -

نُصبت الزينات ، وأعدت « كوشة » العروس ... وأُقيمت الأفراح ... وأخيرا ...

جلست أنجم فى غرفتها بمفردها ، بعد أن ذهب المدعوون ، كان قلبها يدق خوفا ؛ كانت تعرف أن معظم على قادم ، وسيقول لها :

- « بيننا سوء تفاهم ... بيننا كراهية متبادلة ستستمر على الدوام... والدى اختارك للعمل بالجريدة ، وهو الذى اختارك اليوم أيضا إنى أكرهك كراهية شديدة ... » .

- ودمعت عيناها من جراء هذه الفكرة التى دارت فى ذهنها ، وأصيبت يداها وقدماها ببرودة شديدة ، كان هذه أيضا من مشيئة القدرة الإلهية أن يرتبط اسمها باسم ذلك الشخص الذى لم يكن يرغب حتى فى التحدث معها ...

ثم وصل معظم ... فشعرت كأن أنفاسها تلاشت ، فأغلقت عينيها بشدة ، فظهرت ظلال رموشها على خديها ...

رفع معظم الخمار من فوق وجهها :

- « ياه ! كل هذه الدموع ! ! لماذا يا أنجم ... أتبكين ؟ ! »

جفف دموعها بمنديله ....

شعرت كأن لهجة معظم غريبة عليها ... راح يقول لها :

- « أنا لم أقل لك قبلا ... ولولا زواجى بك الآن لم قلت لك هذه الحقيقة ... إننى معجب بك منذ أيام الجامعة ، لم أكن من الشباب المستهتر الذى ينظر إلى هذه وينظر إلى تلك ... لقد كتمت إعجابى بك ، وحبى لك بداخلى ، كنت أتوق دائما لمشاهدة مشاركاتك فى مسابقات الخطابة ، وكان ذوقك الأدبى متوافقا مع ذوقى ... أنجم يا حياتى !

- « إذا كان قد حدث بيننا سوء فهم ، فقد تلاشى الآن ، إن الحياة معك كانت غاية أمنياتى ، إننى أعرف أنك لا تفضليننى كشاب، ورغم ذلك قبلتينى كزوج لك ، وإننى أشكرك على هذا ، فاليوم اكتملت حياتى ... أكملت نصف دينى ، و أصبح كل شىء بزواجى بك كاملا مكملا ... » .

ظل معظم يتكلم ... ويتكلم ، وغرق صوته في دوامات من العواطف ، فصار كالهمس ، وشعرت أنجم أنها تحب معظم منذ ميلادها ...

استمر معظم يوجه حديثه لها :

- « لقد تأخرت في الوصول إلى بيتك ؛ لأنكم كنتم في فترة حزن على وفاة والدك ، لكن حين عرفت بخبر زواج ميمونة ، لم أتأخر لحظة في المجئ ... أنجم ! سامحيني على أخطائي ... إني أحبك حبا جمًا ... هل تمنحيني حبك ؟ » .

وأمسكت أنجم بيدى معظم ، ورفعتهما إلى عينيها لتعلن اعترافها بحبها له ...

الصدمة الثانية

ذكية بلكَرامى

الصدمة الثانية

كنت أعرف جيداً أنني على قدر كبير من الجمال .. بياض تخالطه حمرة وردية ، جسم متناسق كله رشاقة وحيوية ، وشعر أسود فاحم مسترسل ، وكما تقول صديقاتي كنت أبدو « حلوة جداً » حين أضحك.

كنت الأبنة الوحيدة لأبوي ، وكان لي أخ يكبرني قليلا ، وكانوا جميعا أبي وأمي وأخي - يقومون على خدمتي ويفتدوني بأرواحهم ، إذ كانوا يرون أن من واجبهم تلبية جميع مطالبي وتحقيق رغباتي كلها جميل والرضوخ لعنادي .. كان لنا بيت جميل ، نعيش فيه حياة كلها راحة ودعة ، فالله وهبنا كل شيء ، وكان يجب عليّ أن أسجد لله شكرا على نعمة هذه وأن أسبح بحمد الله على ما وهبنا إياه ، ولكن سلوكي كان على عكس ما ينبغي ، فقد ركبني شيطان الغرور والكبر ، وفي نشوة الإحساس بالعظمة لم أكن أعمل خاطراً لأحد كان ، كنت أغتر بجمالي ، وأشعر أنني فقت جميع نساء العالم جمالاً حتى إنني كنت أجلس أمام المرآة وأتطلع إلى وجهي وأتخيل أميرا وسيمًابهي الطلعة سيأتي من بلاد الحور ويحملني معه ويطير ، كان هذا هو السبب في أن أحدا من أبناء الأسرة لم يشد ا.. اهي أو كما نقول نحن الفتيات « لم يملأ عيني » ، والأدهى من هذا أنني رحت أسخر منهم جميعا ، وكانت عماتي جميعهن يرغبن في أن يخطبني لأحد أبنائهن ، ولكن كنت دائما - أمام أبي وأمي - أسخر من أبناء أقاربي سخرية فاضحة : ماذا يعني لو صار « إعجاز » ابن عمتي

طبيبا ؟ ! قامته قـصيرة .. قزم كيف أقبله زوجا ؟ وابـن خالتى « أسعد » صـار مهندسا ، إلا أن لون بشـرته أسود .. لا حول ولا قـوة إلا بالله .. لو حدث وتزوجتـه لصرنا مـعـا كالكشـرى الملئ بالعـدس « أبو جـبة » ، أمـا ابن عمى « وقـار » فقد حـصل على الماجستير ويعمل فى وظيفـة طيبة ، إنسان طيب إلا أن شعر رأسه قد اختفى ولو أن شكله مـقبول إلا أن « صلعتـه » لا تعجبنى ، وهكذا عارضت الارتباط بأى شاب من أسرتى ، وحاولت أمى أكثر من مرة أن تفهمنى :

« نائلة ! يا بنيتى هذا أمـر مشين أن تسخـرى من شكل وصورة كل إنسـان من حـولك وتعـتـبـريه أقل منك ، ويـجب أن تتـوبى وتستغفرى الله حتى لا يغضب عليك بسبب غرورك هذا » .

لكنى كنت أسمع كلام أمى من « أذن » وأخرجه من الأذن الأخرى .

فى الكلية عقدت صداقات مع بنات من كل صنف ، إلا أن كلا منهن كـان فيها عـيب مـا ، فكنـت أشـير إلى هـذا العـيب بطـريقة أو بأخرى وكانت البنات يحملن بداخلهن كراهية لى ، ومع ذلك كن باقيات على صداقتهن لى ؛ إذ كانت مـعظمهن يستفدن منى .. مثلا لما كنت آخذ دروسا خصوصية فقد كان عندى إجابات جميع الأسئلة ، فكن يحصلن عليـها منى ، وهذا بالإضافة إلى أننى كنت أنفق كـثيراً من المال فى مقصف الكلية ، وكنت أغدق عليهن ، وفى مقابل ذلك كن يتحملن غرورى واعتدادى بنفسى وحتى سخريتى منهن ..

وهكذا حصلت ذات يوم على البكالوريوس ، وأعلنت وقتها أننى لن أواصل دراستى أكثر من هذه المرحلة ، وأقام والدى وليـمة ضخمة

بهذه المناسبة ، ودعا إليها جميع أفراد العائلة ، وبعدها بدأت عروض طلب الزواج تنهال على ، وكانت العروض من الأقارب ومن غيرهم أيضا ، إلا أننى رفضت مناقشة هذا الأمر جملة وتفصيلا . .

ومرت الأيام وكانت أمى قلقة جداً لأمرى ، وعنفتنى ذات يوم فعارضتها قائلة :

« يا أمى لماذا تنسين أنى جميلة ومن حقى الزواج من رجل وسيم ، وإذا كان كل رجل فى هذه الدنيا يبحث عن فتاة جميلة أليس لى الحق أنا أيضا فى أن أفعل ذلك وأبحث عمن يعجبنى ؟ فإذا رفض أهل الشاب أن يزوجوه من فتاة قبيحة ويرون من حقهم هذا الرفض فلماذا لا تعيبين عليهم هذا الفعل ؟ ولماذا أنا التى تتزوج من أصلع أو قصير القامة أو أسود ؟ لا يمكن . . إذا لم يكن فىّ أى عيب فلماذا أتزوج من فيه عيب ؟ رجل أسود يتجرأ ويطلب الزواج من فتاة جميلة . . تبًا له . . على أمثاله اللعنة . .

أفرغت كل ما فى قلبى ورحت أصب جام الغضب على أمثال هؤلاء الرجال ، ولم تنطق أمى بشىء ردا على هذه الخطبة التى ألقيتها على سمعها ومضت فى صمت وتركتنى . .

وذات يوم اختاروا لأخى فتاة . . كان أخى يكبرنى بسنوات ، وكان والداى يرغبان فى أن يكون زواجه بعد زواجى ، إلا أنهم اضطروا إلى التفكير فى طريقة أخرى بعد رفضى للزواج ، وخطبت أمى له « نوشين » إحدى بنات صديقاتها القدامى ، وقد التقيت بها وأعجبتنى كثيرا ، ولأن الأسرتين « معرفة » قديمة فلم تكن هناك حاجة لتأخير

الزواج ، وهكذا وبسرعة أصبحت نوشين زوجة أخي ، وجاءت لتعيش معنا فى بيتنا ، وفى أيام قليلة اعتادت زوجة أخى على وعلى أهل بيتى ، لكنى شعرت أنها لم تستحسن أفكارى ولم تعجبها عاداتى . . وذات يوم قالت لى بكل اتزان :

« نائلة . . يجب عليك أن تفكرى فى مستقبلك وتتخذى قرارك بسرعة كى لا يفلت الوقت من يدك ويمر قطار الزواج ، فهو لا ينتظر طويلا والرجل ليس بصورته ، ولكنه بسيرته ، ولا يعيبه شكله إذا كانت أخلاقه حميدة ، فانظرى بلا شك إلى تعليمه وإلى أصله ؛ أى أسرته ، أنا لا أقول لك تزوجى من رجل قبيح الخلقة . .

ولكن الطريقة التى ترفضين بها الزواج ممن تقدموا لك طريقة غير لائقة .

« يا زوجة أخى أنا لا أريد أن أعيش حياتى على عكس ما أهوى وأريد ، ثم لماذا أنت قلقة على ؟ وماذا يفيدك التفكير بحالى . . أمى وأبى لا يزالان على قيد الحياة وبخير ، دعك من هذا القلق واتركيه على كاهلهم فهم أحق بتحمله منك » .

أصابها ردى بامتعاض فسكتت على مضض . .

كان جلوسى فى البيت بعد ذلك مدعاة لأن يتغير مظهرى فرحت أحيك ملبوساتى على مختلف أشكال « المودة » ، ورحت أرتديها بحب ورغبة ، وكان جميع شباب العائلة الذين رشحوا قبلا للزواج منى قد تزوجوا بينما صار أخى أبا لابن صغير . .

مرت ثلاث سنوات على حصولى على البكالوريوس ، إلا أننى كنت -

حتى ذلك الوقت - لا أزال واقفة فى نفس المكان على مفترق طريق الحياة . . ولم يأت حتى ذلك الوقت أمير أحلامى . . وهكذا راح الوقت يمضى والأيام تمر ، والعجيب أن يزداد غرورى أكثر وأكثر ، ويزداد شعورى بالتعالى على الآخرين . . وربما سبب لى عدم تقدم عريس وسيم يطلب يدى شيئا من الغضب بطريقة لا شعورية . . لا يهم فكم كان عمرى ؟ ثلاثة وعشرون ، لم يكن هذا الأمر يصيبنى باليأس ؛ فقد كنت على يقين من أننى سأحصل على ما أتمناه : شاب وسيم يأتى إلى فى يوم ما ، وسيرى العالم كله هذا وسيقول الناس : زوجان كالشمس والقمر . .

كانت الحياه بالنسبة لى جميلة رائعة . . لم يحدث أن تألمت أو أصابنى ما يشعرنى بالحزن أو الأسى ، لم أكن أعرف ماذا يعنى الحزن أو على أى شىء يطلق هذا الاسم ، ولكن وذات يوم انتهى فجأة كل ما هو جميل فى حياتى .

كنا فى مشوار بالسيارة أنا وأبى وأمى . . وإذا بسيارة نقل ضخمة تصدمنا . .

توفى أبى مع أمى فى الحال ، وتوفى السائق أيضا ، ولم ينج من هذا الحادث الأليم سواى . .

حين عدت إلى البيت بعد خروجى من المستشفى أدركت أن رجلى اليمنى قطعت ، وتحت ذراعى اليمنى عدد من الغرز خاطوا بها جراحى ، ورحت أتطلع إلى المرآة خائفة مرتعدة . . آه لم يحدث شىء لوجهى . . كان لا يزال على عهدى به جميلا ، وكان شعرى

الأسود الطويل كـما هو . . أما أنا لم أعد كمـا كنت ، صرت فتاه يتيمة معوقة . .

ظل أخى وزوجـته يحـاولان مواساتى ويـجبران بخـاطرى . . وجاءت العائلة كلها فرادى وجـماعات لأداء واجب العزاء . . وانتهى الأمر لكن بالنسـبة لكل من حولـى ، أما أنا فقد أظـلمت الدنيا فى وجهى . . فأمى التى لم أكن أفكر - ولو للحظة - أن تبتعد عنى قد ابتعدت عنى إلى الأبد .

كان مولد طفل لأخى مدعاة ؛ لأن تـنشغل زوجة أخى أكثر ؛ فأكثـر فكانت كل بضعة أيام تذهب بالأطفال إلى بيـت أسرتها وأبقى أن وحيـدة فى البيت ، أدور حول نفـسى ، أقطع الوقت الذى صار يمـر علىّ بطيئـا ، لقد اعـتادت زوجـة أخى على الذهاب إلى بيت أسرتهـا لكن ذلك كان فى وقت كانت أمى موجـودة فى البيت وأبى أيضا فلم أكن أشعر وقتها بالوحدة ، إلا أن الوضع مختلف الآن فقد صارت الوحدة قدرى .

تقوقـعت على نفـسى ، وانتهت زيارات صـديقاتى لى ، فـقد تزوجن . . ولم يعـد لى صديقة واحـدة . . تمرغ غرورى وكـبريائى الكاذب فى التـراب ، كان الناس ينظرون إلىّ فـيخـافون ويرتـعدون ويوجهون لى عـبارات التعاطف والمواسـاة التى كانت تصل إلى قلبى فتوخزه كشوكة تدميه . . وراحت العجائز من عائلتى يثرثرون :

« لو كانت نائلة تزوجت من أحد أفراد العائلة لكان الجميع عونا لها ، لكن من يسأل عنها فى حالتها هذه ؟!

كان شبـاب العائلة الذين رفضتـهم قبلا يبدون تعـاطفا تجاهى ، كانوا يعـيشـون حياتهم العـادية كمـا هم مع أهل بيتهم فـى اطمئنان وسعادة ، بينما كان قلبى يدمع دما . . أين راحت أيام السعادة ؟ من سلبنى اللحظات المليئـة بالسرور والهناء ؟ وصدقت زوجة أخى فـيما قالته لى من قبل . . لقد فلت الوقت من يدى وتركنى القطار ومضى دون انتظار . . وراح «عكازى» هذا يقلقها كلما تحركت هنا أو هناك، وكنت كلما تحركت ناحية الثلاجة لإحضار الماء ، أو كلما تحركت من غرفـة لأخرى لأحضـر شيئـا ما كان صـوت عكازى وهو يدق على الأرض يقلق الأطفال فيستـيقظون من نومهم. . كم من مرة قالت لى زوجـة أخى: نائلة ! اطلبى الماء أحـضـره لك . .الأطفـال الصغـار يستيقظون بسبب الإزعاج وإعادتهم إلى النوم ثانية أمر شاق » .

كانت كلمـاتها سهـام تصيب كبـدى . . كان هذا صحيـحا . . كنت معوقة . . وكان صوت « عكازى » يسبب إزعاجا للآخرين . . لكن مـاذا يمكن أن أفعل؟ وأين بل كـيف أخـفى مكان رجلى التى قطعت ؟ كنت أعرف أن علىّ أن أقضى بقيـة حياتى فى هذا البيت ، كان هذا أمرا مـقررا ومفهوما لـدى زوجة أخى ، ولهذا كنت أسكت ولا أرد ولو بحرف على ما تقوله ، وتناسـيت بل أقلعت عن التفكير فى كل ما كنت أرغب فـيه وأتمناه ، ومع هذا فقد كـانت زوجة أخى دائمة الشكوى منى ، وراحت أحيانا تذكرنى بتقصيرى وبأخطائى فى الماضى مما جعلنى عصبية سريعة الغضب ، وزاد هذا بالتالى من توترى ، أما أخـى فـقـد رزقـه الله بالكـثير من الأولاد . . واحـدا تلو الآخر مما جعـله أكثر انشـغالا وانفعالا أيضـا ، وكانت زوجـته تعرف أن أخى

يتحـمل مسئـوليتى طوال العمـر ، ولم تكن هى على استـعداد ذهنى لتقبل هذه الفكرة . .

ذات يوم وبعـد أن ذهبت زوجة أخى إلـى بيت أهلها خـرجت مـستندة عـلى "عكازى" إلى حديـقة بيـتنا . . حـديقة جـمـيلة رغم مسـاحتـها الضيـقة ، تملؤها الورود الزاهرة من كل نـوع ، لكن ماذا حدث ؟ ألوانـها صارت فى عـينى باهتـة وعبيـرها لم يعد له تـأثيره السحـرى القديم الذى اعـتدت عليـه من قبل . . جلست عـلى أحد الكراسى الموجودة بـالحديقة ورحت أفكر فى تلك الأيـام التى مضت . . هل تعود ؟! ومن بعـيد شاهدت جـمال - أحد أقـاربنا - قادم ، وجمال كان يكبرنـى بعدة سنوات ولم يكن قد تزوج بعد . . لكن من الآن آقل عمرا منى . . ؟لـقد اقتربت الآن من الثلاثين ونـظرا لجمالى الفتان كان من الصعب ملاحظة كـبر السن فى ملامحى . . كان جمال من ناحيـة الشكل والصورة إنسانا عـاديا بوجه عام ، وكـان بطبيعـته إنسانا شريفا عزيزا وابنا مطيـعا لوالديه ، وكان فى زمن مضى يسرح شعره بالزيت ويرتدى ملابس زاهية الألوان فضفاضة لا يهتم بكيها أو ترتيبها ويروح يتجول هنا وهناك ، لكنه الآن يرتدى ملابس يبدو منها هندامه واضحا ، كـما يلبس حـذاءه الـذى يلمع دائمـا نظـرا لمسـحه « بالورنيش » ، وبصفة عامة لم يحدث أن دار بينى وبينه أى حديث ، لكنه وبعد فتـرة طويلة ، وفى ذلك الوقت بالذات ، يأتى إلى بيتى . . وفى غير وجود زوجة أخى ، فلم يكن هناك بد من الترحيب به . .

جلس جمال على الكرسى المواجه لى وسألته - وكالعادة - عن أحوال والديه ، وبعد حديث استمر فترة ليست بالطويلة إذا به يقول :

نائلة ! عندى لك كلام . .

نعم ! هل هناك شيء تفضل قل ؛ « قلت هذا بمنتهى الرزانة والاتزان لا . . لا شيء بالتحديد لكن لدى اقتراح . .

أنا لا أفهم ولم أفهم حقيقة ما قال .

فى الواقع أننى أتألم وأنا أراك هكذا وحيدة ، وأننى قلق فى معظم الأحيان من أجلك .

أخى جمال . . هذا هو القدر المكتوب .

نائلة ! أود . . أعنى . . أقصد أننى أريد أن أطلب يدك . . ولا اعتراض عندى على .

سمعت كلام جمال فشبت النار فى جسدى وسرت فى عروقى ، هذا الشخص الذى لم أكن حتى أميل إلى أن أبادله أى كلمة . . يأتى اليوم . . يعطف على . . يطلب يدى ، فقلت وأنا أخفى غضبى بداخلى :

أتدرى ماذا تقول ؟

« نعم نائلة » ، وصار أكثر حساسية وانفعالا واستطرد قائلا : فكرت دائما فيك . . أحببتك لكنى لم أجرؤ أبدا على الإفصاح بذلك ، فقد اعتبرت نفسى غير جدير بك ، وبعد هذه الحادثة أيضا لم أجرؤ على التحدث إليك لأن وظيفتى كانت متواضعة ، أما الآن فقد رقيت إلى وظيفة أحسن وتحسنت ظروفى المادية ، وأنت الآن وحيدة ، ولذلك فقد جئتك اليوم حاملا أمنياتى الكامنة فى قلبى منذ سنوات فإن رضيت وقبلت حدثت أمى فى الأمر .

يالزمانى . . . إنسان مسكين كالح الوجه يعطف علىّ ؛ فيطلب يدى . . لم أدر كيف سيطرت على أعصابى وكتمت غيظى وغضبى على غير العادة فقلت له :

« أخي جمال ! لا أود سماع هذا الكلام الفارغ ؛ أنني أتعجب بل أجدني في حيرة كيف واتتك هذه الجرأة . . من الأفضل لي أن تغادر قبل أن تأتي زوجة أخي ، وإلا فإن ما بي سيفيض ، ولا يمكنني أن أتمالك أعصابي" .

لم يكن جمال يتوقع أن يصدر عني هذا الرد ، فنظر إليّ دهشا متحيرا وقال : "نائلة فكري مرة أخرى . . كان في قلبي لك حبا طاهرا ، ولا يزال وسوف يبقى " .

" وتحاملت على نفسي وأخذت "عكازي" ، واندفعت لأدخل البيت ، وجعلني الغضب في حالة يرثى لها ، .ورأى جمال أنه ليس من اللائق أن يظل جالسا ، فنهض وعاد من حيث جاء .

في تلك الليلة رحت أذرف الدمع غزيرا ، هكذا كتب على قدري ورحت أنال جزاء غروري ، وأتجرع الألم علقما ، لم أكن قد فكرت أبدا في الوجه الآخر للحياة ، لكن لماذا كل هذا يحدث لي ، على وجه البسيطة آلاف وآلاف من الناس ارتكبوا أيضا أخطاء وأغلاطا بطريقة أو بأخرى ، ولم يأت يوم حسابهم أبدا ، فلا يزالون ينعمون وينالون نصيبهم من السعادة ، ولا يزال حبل سعادتهم ممتدا ، لكن حبل سعادتي انقطع ؛ فسقطت من علياء السماء إلى الدرك الأسفل من هذه الأرض ، ثم إنني قرأت في الكتب : إن اللّٰه يبتلي عباده الصالحين ، وأنه ينعم عليهم برحمته بعد هذا البلاء ؛ فهل أنا يا ترى من عباد اللّٰه الصالحين ؟ ! هل أنا الآن في مرحلة البلاء والاختبار ؟ !

ومتى تنزل عليّ رحمة الله ؟ . . . ! بدأت هذه التساؤلات تدور في عقلى ، وهى تساؤلات لم توجد لها إجابة واضحة عندى .

ومضت أيام شعرت خلالها بأن حديثا جادا يدور بين أخى وزوجته يتعلق بالتأكيد بأمر يهمنى ؛ لأننى كنت كلما اقتربت منهما انقطعت سلسلة الحديث ، لم تكن لدى رغبة بأى موضوع يتحدثان فيه ، فقد كنت أعرف أن أمير أحلامى لن يأتى أبدا ، كما لم أكن أبدا على استعداد - ذهنيا - لقبول شخص مثل جمال ؛ فقررت من داخلى قرارا لا رجعة فيه ، وهو أن أعيش حياتى وحيدة ، فلا ضرورة مطلقا للزواج ، وكم من الفتيات يقضين حياتهن هكذا بدون زواج ؛ فلأكن واحدة منهن . . إلا أن جميع أفكارى ونظرياتى وقراراتى ذابت بعد أن أجلسنى أخى - وحضرت زوجته بالقرب منه ثم قال:

"نائلة ! لقد رتبنا لك أمرا من أجل مستقبل طيب ، وكان الله معنا وأعاننا على هذا الأمر " . . نعيم " إنسان طيب ، فهل لديك اعتراض على قبول الزواج منه ؟ " لفنى صمت أخرجنى منه ما قالته زوجة أخى :

"نعيم ابن عمى إنسان شريف عزيز ، كما أنه رآك مرة أيضا " .

رفعت ناظرى تجاه زوجة أخى ، كانت فى نظراتى إليها تساؤلات تموج فى صمت . . فنهضت واقتربت منى وجلست بجوارى ثم راحت تربت على ظهرى قائلة:

"لا تقلقى نعيم يعرف مأساتك ، أنت من ناحية الشكل والصورة جميلة . . وافقى على مقابلته "

" لكن يازوجة أخى . . لا بد أن يكون هناك سبب ما يجعله يقبل الزواج من فتاة معوقة مثلى " . . . وكان نطقى بكلمة فتاة قد جعلنى أتلعثم ، فسكت ولم أكمل عبارتى ، فعاجلتنى زوجة أخى بقولها :

" لا تقلقى نفسك ولاتفكرى بشئ فقط قابليه " .

" لا . . أريد أولا معرفة أصل الحكاية . . ماذا قلتم له ؟ "

راح أخى وزوجته يتطلعان إلى بعضهما ، وكأنهما يحاولان إخفاء أمر ما لا يريان أى داع لإخفائه وعدم الإفصاح عنه . . فقلت :

" يا زوجة أخى . . يجب أن تكون الأمور واضحة تماما ، وأنا لست بهذا الضعف ، ثم إن الزواج ليس بالأمر الضرورى أيضا " .

لزواج أمر ضرورى جدا يا نائلة . . أنت لا تدرين حالة أخيك وكم هو قلق من أجلك !؟

"لهذا رحتم تبحثون لى عن أمثال نعيم . . لكن على أى شرط ؟ إذا لم تخبرانى بالحقيقة فلن أستمع لكما ، قلت هذا ، وحملت "عكازى" وشرعت أترك المكان إلا أن أخى استوقفنى قائلا :

" اجلسى يا نائلة . . سوف أخبرك . . ما سأقوله لك صحيح مائة بالمائة . . نعيم إنسان شريف له محل تجارى ، تعيش معه أمه وأختاه ، وهو مسئول عن إعالتهم ، وحدث أن تعرض متجره للسرقة وهو الآن فى ضائقة مالية شديدة ، وهو لم يتزوج حتى الآن .

كانت أمة تبحث له عن فتاه ثم حدث ما حدث لمتجره فتوقف التفكير فى مسألة زواجه ، لكنه إذا وجد عونا ماليا وتحسن وضعه التجارى والمالى فلن يكون هناك أى مانع فى التفكير فى مسألة الزواج من جديد . . نائلة لا حرج ولا مضايقة فى هذا الأمر ، سوف نساعده ماديا فتتحسن أوضاعه التجارية ، وأنت سوف تذهبين وتعيشين فى بيت رجل شريف" .

" هكذا الأمر . . جعلتمونى سلعة تقيمونها فى البورصة " ؛ وتحطمت بداخلى أشياء ؛ فقلت وأنا أحاول وإخفاء ما بداخلى من مشاعر :

" كم المبلغ الذى اتفقتم عليه ؟"

" سوف نعطيه مائتى ألف " .

وقالت زوجة أخى بسرعة :

" هذا هو المبلغ الموجود فى حساب المرحوم الوالد " .

" اسمعى يا زوجة أخى . . أنا لا أوافق على هذا الزواج "

" لكن لماذا . . . ؟"

" أنتم تبيعوننى بمائتى ألف روبية . . هذا هو قدر محبتكم لى ؟ أنا لست سلعة تباع بمال ، ولن أسمح لأن أكون كذلك ، وزواجى لن يكون لقاء أى مبلغ مهما كان " .

" نائلة ! لا تأخذى الأمر بهذه الحساسية الشديدة " ، قال أخى هذا وهو يحاول إفهامى :

" نعيم رجل شريف لن يجلب لك سوى السعادة على الدوام " .

" أخى على الأقل أنت لا تكرهنى إلى هذه الدرجة ؛ فلا تجعلنى لا أرى أمامى سوى الموت .

اغرورقت عـيناى بالدموع ، كانت دائمـا تقدح فى حقى قـاعدة ذاهبة عائدة ، ولم يكن أمـامى من سبيل إلا الصمت . . وبعـد فترة عرفت أن نعـيما تزوج من أرملة غنيـة ، وأنهما يعـيشان حـياة هادئة مطمئنة ، ولم يـكن لهذه الأخبـار أى أثر يذكر فى نفسى ، وخـاصة حين كانت زوجة أخى تعمد إلى سرد حكاياتهم أمامى .

فى تلك الأيام سـافر أخى إلى ألمانيـا لمدة سنة ، وكانت زوجـته تقـضى معظم وقـتهـا فى بيت أهلهـا ، وفى بيتنا فى الركن الخـاص بالخدم قدمت أسرة لتقيم فيه فاطمأنت زوجة أخى ؛ إذ لم أكن وحيدة فى البيت . . لكن الوحدة كانت قدرى المكتوب ، لم يكن لدى سوى ذكريات الأيام الخوالى أجترها بيـن حين وآخر . . ماذا كنت ؟ وكيف صرت إلى ما أنا فيه ؟ الظلمـة من حولى ، أبحث عن شعاع من نور وسط الظلمة الحالكة . . فلا أجد . . لكن . . فـجأة . . وجدت أشعة النور تتجمع . . وتنقشع سحب الظلام !

فى ذلك اليوم وكعادتها دائما أخذت زوجة أخى الأولاد وذهبت إلى بيت أهلها . . . وكعادتى أخذت " عكازى " واتجهت إلى حديقة البيت ، ورحت أتفـحص تلك الورود التى كانت بالنـسبة لى حـياتى واهتماماتى . . وإذا بى أرفع نظرى إلى البيت المقابل لبيتنا . . فُتحت نافذة فى الطـابق العلوى . . وخلفها وقف رجـل غريب عن الحى ، بدا وكأنه يلحق من بعـيد فى السماء ، وشاهدت السـحب وكأنها تغطى وجهـه حينا وتكشف عنه حـينا آخر . . كنت أعـرف أن بعض الناس قد استأجروا هذا البيت منذ أيام ، لكن لم أعرف عنهم شيئا على الإطلاق . .

نعم كان هـذا هو وجهه الذى طالما تـصورته فى مخـيلتى وطالما تخيلته فى أحلامى ، كان هذا هو وجه الأمير القادم من موطن الحور الذى طالما حلمت بالتـحليق معـه فى السمـاوات . . انتابتنى الحـيرة ولفتنى الدهشة . . هل يصل الخيـال فى العالم إلى هذه الدرجة فأرى ما أتخيله هكذا أمامى فى النافذة ؟!

لكن الأمور تتـغير مع الأيام ، لم أعـد أنا التى كنت . . ولعله أيضا وجد بغيـته . . وغرقت فى بحر الحيرة وأنا أطيل النـظر ناحيته حتى وقع نظره على بينما كنت أقف متكئة على " عكازى " وشعرى الطويل ينسـاب على كتـفى يصل إلى أردافى ، على وجـهه الحـزين ارتسمت عـلامات الحيـرة للمحة ، ثـم ارتسمت فجـأة على شفتـيه ابتسـامة ساحـرة . . فتراجع عن الـنافذة ؛ أما أنا فـعدت إلى داخل البيت أحاول أن أتمالك قلبى المضطرب التى تسارعت دقاته .

رحت أفكر لفترة فى هذا الأمير الغريب ، لكن ذهنى اضطرب . . كم تمنيت أن أعرف عنه شيئا .

فى اليوم التـالى رحت أطيل النظر مرات ومـرات ناحيـة النافذة لكنى لم أر أحدا ، وعندها أدركت حماقتى . . كيف يظهر فى النهار ؟ لكنى كنت كمجنونـة تنظر ناحية النافذة ، وحين جـاء المساء شاهدته خلف النافذة . . كانت عيناه لا تتجهان ناحية السحاب فى السماء بل كانت تتجه نحـوى . . راح ينظر إلىّ . . فى نظراته شوق وهيام . . بدا لى مختلفـا عن بقية البشر . . على وجـهه ارتسمت براءة الملائكة وازدادت دقـات قلبى ، لـم أسـتطع الوقـوف طويلا فـى الحـديقـة فتحاملت على عكازى ودخلت البيت .

بدأت لعبة « الاستغـماية » هذه بيننا فى صمت ، لم أكن أعرف عنه شيـئا ، واعتـقد أنه أيضا لم يكـن يعرف عنى أى شىء ، ورغم هذا شعرت وكأننى قابلته منذ سنوات طوال . . كان يسكن فى قلبى ، وكان هو من تصـورته فى أحلامى ، وبدأت أهتم بملابـسى وبمظهرى وخاصـة وقت المساء رحت أخرج ثيـابى التى خزنت فى « دولاب » الملابس لمدة طويلة أردت أن أزين بها جسمى . . فـقد كنت أشعر أنه ينتظرنى كل مساء ، وكانت أزهار السرور تتفتح فوق وجهه الحزين إذا مـا رآنى أخـرج إلى الحـديقة . . لـكن لماذا هذا الحـزن المرتسم على وجهه دائما ؟ لماذا يبـدو الألم على وجه هذا الرجل الجميل ؟ لم أدر حقـيقـة الأمر إلا أن السـعادة عـرفت طريقهـا إلىّ فى تلك الأيام ، وصارت الحـياة جميلة فى عـينى ، وعادت البهـجة إلى روحى . . وحـين رجعت زوجـة أخى من بيت أهلهـا توقفت عن الخـروج إلى الحديقة فى المساء من باب الاحتياط والحذر .

ومرت عـدة أيام لم أره فيهـا ، لم أكن أدرى هل ينتظرنى على أحر من الجمر أم لا . . لكنى بنفسى كنت متوترة أتوق شوقا إليه .

لم أعد أتبادل الحديث مع زوجـة أخى إلا نادرا ، خاصة بعد أن رفضت الزواج من نعيم قريبها ، فقد أثر هذا فيها ، وكان جرحا فى صدرها سيستمـر على ما يبدو طول العمر . على كل حال وفى ذلك اليوم دقت باب بيتنا فتاة جميلة جاءت من البيت المقابل لبيتنا ، بهدف التعرف علينا ، فجلست زوجة أخى مـعنا ، كان اسمها « روبى » ، وكـانت جمـيلة جدا عـمـرها على أكثـر تقـدير عشـرون عامـا ،

ذكرني شكلها بالأيام الماضية حين كنت في مثل عمرها ، أخبرتنا أنها انتـهت من توها من امتـحـان البكالوريوس وبدأت الإجازة ، ولهـذا فكرت في زيارتنا للتعرف علينا .

عرفت كل شيء عن جـيراننا من روبي ، فهي تعيش مع أخـيها الأكبـر «نديم» الذي فقد زوجـته أثناء وضعـها طفلها الثـاني ، وكان لهذه الحادثة وقعهـا السيئ على روبي ونديم ، والآن عمر بلال ثلاث سنوات وبلغ الطفل عامه الأول . . عـرفت من روبي أيضا أن أخاها نديم لم يخرج من هذا الحزن أبدا . .

سمعت أحوال هؤلاء الناس وحزنت كثيرا ؛ إذ عرفت سر الحزن الواضح على وجه نديم . . . بعد أن أدت زوجة أخي واجب الضيافة لروبي راحت تتـحدث معـها لفـترة ثم تركـتنا وذهبت ، وإذا بروبي تقول لي :

« يا أختاه إنك جـميلة جدا ، كنت أراك من النافـذة ، أعجبت بك كثيرا ، وأخي أيضا يمتدحك كثيرا . . معذرة فربما كان هو أيضا يشاهدك من النافذة » .

سمـعت كلام روبي ، فـراح قلبي يخفق ويدق بسـرعة وراحت تذكـر لي مدى إعـجاب أخيـها بي ، ولم تـقل شيـئا غيـر ذلك ، ووعدت بأن تزورنا ثانية .

جاءت روبي ثانية ، كـان معها بلال والطفل ، كـانا ما شاء الله جـمـيلين ، حـملت الطفل إلى صـدري فـالتـصق بي في حنـان ، ورغـم أن بلالا كان في الثـالثة من عمره إلا أنه قليل الكـلام ؛ فقد

جـعلته وفـاة الأم المبكرة من النوع الذى لا يتكلم كـثيـرا . . راحت روبى فى ذلك اليوم تخـتلق الأسباب لتمـتدح أخاها : وسامـته . . ذكاؤه . . أحاديثه عن الحياة السعيدة ، ثم قالت :

« يا ليت هناك من تأخذ بزمامه فتحول حزنه إلى مسرات » . .

بعد ذهابها بقيت ساعات أفكر فى نديم وبلال والطفل . .

بدأت روبى تكثر من زيارتها لنا وكانت تأتى دائما ببلال والطفل ، كانت زوجة أخى تجـلس معنا أحيانا ثم تتـركنا وتذهـب ، وقامـــت روبى بطريقة لا شـعورية بالتـقريب بينى وبين نديم ، كـانت تحدثنى أحاديث لا حصر لها عن نديم ، ولـم أكن أدرى ماذا كانت تقول عنى لنديم ، فقد أخبرتنى أنها تحدثه عنى .

وفى يوم من الأيام حـملـت "ألبـوم " الصـور الخـاص بهم ، وجـاءت كعـادتهـا لزيارتنا ، لم تكن زوجـة أخى فى البـيت آنذاك شاهدت كل الصور : صور والديها وصورة زوجـة نديم كثيرة رحمة الله عليهـا . . كانت امـرأة جميلة ، لـكنها لم تكن بمثل جـمالى ، وشاهدت صورا كثيرة لنديم . . شخصـيته جذابة . . طلعته بهية . . وعيناه تشعان بالذكاء . . كان هو النموذج الذى أتمناه فى فتى أحلامى ، كان وجـهه هو الوجه الذى طالما حلمـت بصاحبه ، لـقد وهبنى الله قربـا ممن كنت أحلم به . . وفهـمت جيـدا مرام روبى والهـدف من كلامـها معى ، فـقد كانت تود أن أقـترن بأخيـها ،وأن أمنح ولديه الحب والعاطـفة ، وذلك لأن موعـد زواج روبى نفسـها قـد تحدد ، وبعـد ذهابـهـا من البـيت لـن يكون هناك من يرعى بـلالا والطفل

الصغير . . وقبلت هذه الصفقة التى تمت فى صمت ودون إعلان . . قبلتهـا وتمنيتها من كل قلبى ، فنديم لم يكـن لديه أى اعتراض على «عكازى» هذا ، ولماذا لا أشـرف على رعاية أولاده ، كـان نديم ثريا وله مكانته فى المجتمع ، يملك مصنعا يديره بنفسه ، لم يكن ينقصه شىء من أمور الحـياة ومـستلزماتهـا . . وشعـرت أن هذا من حسن حظى . . أن تأتى إلى بيتى المحبة والثـــروة والجمال . . .

لكنى كنت أريد تطبيقا عمليا لكل هذه الأفكار ، فلم أكن قادرة على أن أفـصح عـمـا فى داخلى . . وحـين تأكـدت روبى أننى لن ارفض أخاها زوجا لى تحدثت مع زوجة أخى وأحـضرت معها صورة لنديم .

لم أعرف ما دار من حـديث بين روبى وزوجة أخى ، لكن بعد ذهاب روبى جاءتنى زوجة أخى :

"نائلة ! اليوم بلغتك روبى رسالة أخيها ، هؤلاء الناس يريدون عقـد الزواج فورا ، لكنى رأيـت أنه ليس من المناسب إعطاءهم الرد الآن ؛ فأخوك ليس هنا وهو الذى يمكنه اتخاذ القرار " .

«يا زوجـة أخى أنا لست طفلة» هكذا كان ردى علـيها فـورا بل تابعت كلامى :

" فأنا بنفسى أستطيع أن أتخذ قرارا يتعلق بى " .

سمعت زوجة أخى حديثى ، ونظرت إلىّ بتهكم وقالت :

«نائلة ! انك تعتبريننى عـدوة لك بينما كنت دائما - والله شاهد على ما أقول - حـريصة على سعادتك ، كـان فى زواجك من نعيم سعادتك لكنك رفضت ، وهو الآن يعيش مع زوجته حياة نموذجية ، ونعيم لم يكن على الأقل متزوجا من قبل ، ولم يكـن لـه أولاد » .

وفار الدم بداخلى :

«لم يكن بلا شك مـتزوجـا ، لكنه كان إنسـانا قبيح الخـلقة ، وأنت تعرفين أننى أفضل فى هذه الدنيا كل ما جميل» .

«لم يكن قبيح الخلقة يا نائلة» . . نطقت هذه العبارة بلهجة فيها عنف شديد «لك أن تقولى ما تشائين . . كان قبيح الصورة وطماعا . . كان يريد أن يشترى عجزى مقابل مائتى ألف روبية» .

«هذا هو تفكيرك يا نائلة . . على كل حـال أنا أقوم بواجبى . . لن أقول شيئا ضد رغبة أخيك» .

«لابالله عليك يا زوجة أخى . . لن تفـعلى هذا . . لن ترفضى زواجى من نديم . . لو كـان عنده أولاد فـهـو رجل جمـيل الوجـه جذاب . . لقـد رأيت صورته «ولم أخـبرها أننى كنت أشـاهده لعدة أيام » إذن هذا يعنى أنك اتخذت قرارك» .

«نعم ، افهمى الأمر هكذا » .

«إذن ، اذهبى وانهى أمر زواجك بنـفسك ، لن اتدخل فى هذا الأمر» .

قالت هذا ، ونهضت من جانبى ، وبقيت أبكى لفترة طويلة ، ورأت زوجة أخى عينى الحمراوين فقالت :

«حاولى أن تفهمى الأمر ، إنه يتحدث فى أمر الزواج السريع ، يريد أن يتمم الزواج خلال أسبوع ، وفى صمت دون احتفال ، فكيف لى أن أتحمل هذه المسئولية بينما أخوك غيز موجود هنا.؟» !

«لا تتحملى هذه المسئولية أبدا يا امرأة أخى . . أنا مستعدة لتحمل هذه المسئولية . . سوف أتحمل مسئولية أى أمر سيئ قد يحدث . . فقط أتمنى أن تتعطفى علىّ وتتكرمى بالموافقة . . فقط كلمة واحدة . . نعم» .

وربما تراجعت زوجة أخى أمام إلحاحى فأبلغت روبى بالموافقة وتحدد يوم الخميس التالى للزواج . .

وبدا الأمر عجيبا بالنسبة لى . . الحلم الذى رأيته طوال حياتى يتحقق . . يصبح حقيقة بعد أن كان خيالا . . وأمير بلاد الحور سيصبح من نصيبى . . الأمير الذى أعجب بى رغم عجزى ، ورغم عكازى ، ثم إنى فتحت أبواب قلبى لولديه ، وبدأت أشعر بحب جارف تجاههما ، شعرت كأنهما ولداى ، ولدا من رحمى ، كانا يظلان بجوارى لساعات فأضمهما إلى صدرى أطفئ بهما ظمأ قلبى . . وكانت السعادة تغمر روبى فى تلك الأيام ؛ فراحت تسمعنى حكايات السعادة التى تغمر نديما أخاها . . . فقد كانت تقوم بعمل الوسيط بيننا . . .

لا ينبــغى أن أنتظر أكـثــر من هذا . . وحل يوم الخــميس السعـيـد . . اشترك فى عـقد القران بعض الأقـارب وبعـض أهــل الحى . . جعلوا منى عروسا بحق ، وكما قـال الناس كان جمالى فتانا ، وكان عـرسى عرضا لجـمال الحوريات . . وجلـست فى «الكوشة» لفـترة ثم خـرجت لأجلس فى الكرسى المعـد لى بجـوار نديم بـين بـاقات الورد . . التقطوا لنا الكثير من الصور التذكارية ، وأثناء ذلك سمعت عبارة : «القمر مع الشمس لكن» . .

وقرأت الفاتحة على (مأتم عـقلية) أولئك الناس الذين لا يعرفون كيف يتـعاضون عن مواطن العـجز لدى الآخرين . . ماذا لو فـقدت رجلى اليمنى . . ومـاذا لو كانت لنديم زوجة سابقـة توفاها الله . . وماذا لو كان عنده طفلان . .

انتقلت بعد ذلك إلى غرفـتى فتناولت طعامى ، ولما كان ذهابى إلى بيت العريس لــن يكلفنى الكثير ؛ إذ سـأنتقل إلى البـيت المقابل لبيتنا ؛لهـذا لم يكن الأمر مقلقا أو متـعبا بالنسبة لى ، فـقد انتقلت ماشية من بيتنا إلى بيته مع روبى وزوجة أخى . .

مشـينا بخطوات وئيدة ، أمـسكت روبى وزوجة أخى «بفسـتان الفرح» أقصد ثوب الزفاف . . ثم تركـتنى زوجة أخى فى غرفة نديم وذهبت ، تحـدثت روبى معـى لفتـرة ثم أغلقت البـاب وذهبت هى الأخرى رفعت عينى أنظر إلى الغرفـة التى أجلس فيها . . كم كانت رائعة . . الأثاث الفخم . . آه هذه الستائر الجميلة . . كم هى جميلة هذه الغرفة . . غرفـتى تتوسطها السجادة الكشميرية الرائعـة بنقوشها

المنمنمة الدقيقة ثم الزخرفة التى زينت الجدران . . عشت لحظة سحرية ورحت أغبط نفسى على ما أنا فيه من سعادة وحظ ، وجاء نديم .

فأخفيت وجهى بين ركبتى . . إلا أننى وجدت نفسى أرفع وجهى على الفور ! . . لقد وصل إلى أذنى وقع دقات عكازين فأذهلنى ذلك . . ونظرت فرأيت تحت إبطى نديم عكازين وهو يقف أمامى برجليه الاصطناعيتين !! . .

كانت الصدمة الأولى صدمة شديدة بالتأكيد فقدت فيها أمى وأبى وفقدت فيها رجلى اليمنى . . لكنها كانت رغم ذلك صدمة تحملتها . . أما الصدمة الثانية فقد كانت من الشدة بحيث ربما لا يمكننى تحملها . .

أعرف أن روبى كانت ستتزوج خلال أيام وستذهب ، وأننى سوف أقضى بقية عمرى فى بيت إنسان حسن الطلعة عاجز . . ناقص الأعضاء . . أرعى أطفاله . .

أين ذهب الحب الذى ملأ قلبى لبلال والطفل ؟ !

لماذا لم أعد أشعر بجمال طلعة نديم ؟ !

لماذا صارت الدنيا فجأة قبيحة فى نظرى ؟ !

راحت هذه الأسئلة وعديد من الأسئلة الأخرى تدور وتدور فى ذهنى . . لكنى لم أجد جوابا لأى منها ، فقد اضطرب عقلى وأحاطتنى الظلمة من كل جانب ، ورحت أغرق فى بحر من الظلمات سحيق !!

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدي أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ – الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسي سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبري محمد عبد الغني
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومي
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار ڤاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ - صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبـة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ –نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ –الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاي الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ - شامبليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

العنوان	المؤلف	المترجم
٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - بيكارت — ديف روبنسون وجودي جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة — وليم كلي رايت — ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الغجر — سير أنجوس فريزر — ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني — نخبة — ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٣ — جوردون مارشال — ت بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود — زكي نجيب محمود — ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات — إدوارد مندوثا — ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن — جون جريين — ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة — هوراس / شلي — ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة — أوسكار وايلد وصموئيل جونسون — ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة — جلال آل أحمد — ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية — ميلان كونديرا — ت : بدر الدين عرودكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج٢ — جلال الدين الرومي — ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ — وليم جيفور بالجريف — ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢ — وليم جيفور بالجريف — ت : صبري محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية — توماس سي . باترسون — ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر — س. س. والترز — ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط — جوان آر. لوك — ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بربارا — رومولو جلاجوس — ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا — أقلام مختلفة — ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما — فرانك جوتيران — ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة — بريان فورد — ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات — إسحق عظيموف — ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية — فرانسيس ستونر سوندرز — ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندي الحديث والمعاصر — بريم شند وآخرون — ت : سمير عبد الحميد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٨٦٢٣ / ٢٠٠١





هذه المجموعة القصصية المترجمة عن اللغة الفارسية تصدر للمرة الأولى بالعربية، مع دراسة مختصرة عن فن القصة القصيرة فى الهند، وقد عمد المترجم إلى اختيار هذه المجموعة القصصية المختارة لثلاثة أدباء هنود: أديبان لهما مكانتهما فى الأدب الحديث، هما "بريم تشند"، و"كرشن تشندر" اللذان يعدان - فى نظر النقاد- من عمالقة هذا الفن فى الأدب الهندى والأردى، كتبا باللغة الأردية والهندية، فأبدعا فى فن القصة؛ وأديبة معاصرة، هى "ذكية بلكرامى" التى لا تزال تثرى فن القصة فى الهند بما تكتبه وتنشره فى المجلات المعاصرة. ظهر الأديب الأول فى النصف الأول من القرن العشرين، بينما الأديب الثانى ظهر فى النصف الثانى من القرن نفسه، أما الأديبة ذكية بلكرامى فهى تعيش اليوم بيننا، ولهذا فإن ما يقدم مترجماً إلى العربية من قصص فى هذا الكتاب يعد فرصة عظيمة للمهتمين بالدراسات الشرقية والدراسات المقارنة، وبخاصة فى أدبنا العربى الذى مرت القصة القصيرة فيه بظروف تكاد تكون شبيهة بالظروف التى مر بها هذا الفن الأدبى فى الهند سواء من ناحية العوامل الخارجية المتمثلة فى الظروف الاجتماعية أو العوامل الداخلية المتمثلة فى طبيعة الأدباء أنفسهم

